

أرض جوش

رواية

أحمد المصرى

(الطبعة الأولى)



دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة .

اسم الكتاب : أرض جوش
اسم المؤلف : أحمد المصرى
رقم الإيداع : ٢٠١٩/٢٣٥٦
التقييم الدولي : ٢-٤٨-٦٧٨٠-٩٧٧-٩٧٨
تصميم الغلاف : اكرام عيد.
المدير العام : محمد عيد
المدير التنفيذي : عزة إبراهيم

٠٢٣٩٧٦٩١٧٦/٠١٠٠٦١٤١٦٤٥

لا يسمح بإعادة طبع ونشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه أو نسخه في أي نظام إلكتروني أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر أو المؤلف وإلا تعرض فاعله للمسئالة القانونية.

كل الحقوق محفوظة

دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة .

الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة .

أرض جوش

قصة مستوحاه من التاريخ



تأليف:

أحمد المصري

حقوق الملكية الفكرية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، ولا يجوز تبادل هذا الكتاب جزئياً أو كلياً بطريقة غير شرعية؛ سواء من خلال إتاحتها للتحميل على مواقع الويب أو تبادله عبر رسائل البريد الإلكتروني، كما لا يجوز نسخ جزء من النص بدون إذن مسبق منه.

إهداء

إلى أمي التي صبرت و كافحت لأجلي ...

إلى أخي الذي كان و لا يزال عوناً لي ...

إلى محبي السلام في كل مكان حول العالم ...

إليك أنت عزيزي القارئ ...

أهدي إليكم جميعاً هذا العمل ...

جدول المحتويات

الجزء الأول (القاهرة 2015 ميلاديا)

- المشهد الأول (في الطائرة) 1
- المشهد الثاني (الجثة) 20
- المشهد الثالث (في المستشفى) 39
- المشهد الرابع (في المعبد) 49
- المشهد الخامس (في المنزل) 58
- المشهد السادس (في الدير) 82

الجزء الثاني (اواميس 1615 قبل الميلاد)

- المشهد الأول (في الهاوية) 107
- المشهد الثاني (يوم الزينة) 120
- المشهد الثالث (شعب إسرائيل) 137
- المشهد الرابع (مقابلة سلام) 153
- المشهد الخامس (المحاكمة) 174
- المشهد السادس (في السجن) 183

الجزء الثالث (طيبة 1573 قبل الميلاد)

- 200..... المشهد الأول (الهروب الكبير)
- 212..... المشهد الثاني (أون ذات العماد)
- 228..... المشهد الثالث (منف الرائعة)
- 244..... المشهد الرابع (الطريق إلى أرض الأجداد)
- 262..... المشهد الخامس (مدينة السلام)
- 277..... المشهد السادس (العبور)

أرض جوش

الجزء الأول

القاهرة 2015 ميلاديا



المشهد الأول في الطائرة

"سيداتي سادتي هنا قائد الطائرة و زملاؤه الملاحون يرحبون بكم علي متن الخطوط الجوية المصريه ، و رحلتها المتجهه الي مطار الخرطوم الدولي ، علما بأن الرحلة سوف تستغرق ساعتين و ثلاثين دقيقه تقريبا ، اليوم هو الأحد الموافق الثاني و العشرين من شهر مارس ، و الساعة الآن النامنة و الربع مساءا بتوقيت القاهرة ، من أجل سلامتكم نرجو النفضل بالاستماع لتعليمات السلامه التاليه ، الخطوط الجوية المصريه تمنى لكم رحلة آمنة"

أرض جوش

و بينما كان قائد الرحلة المتجهة إلي مطار الخرطوم الدولي يلقي التحية علي المسافرين عبر الميكروفون في مقصورة الطائرة ، تلقي يحيي مكالمة تليفونية من أخته غاده ، فأسرع يحيي بالرد عليها قبل إقلاع الطائرة وإنقطاع الشبك ، كان صوتها مرتعشا ، يحمل نبرة مرتجفة ، بينما كانت تودعه بعبارات قد ملأها القلق ، لم تكن هذه هي المرة الاولي التي يسافر فيها يحيي خارج البلاد ، وايضا لم تكن تلك المرة الاولي التي تودعه فيها غاده قبل اقلاع الطائرة ، لكن تلك المرة تحديدا كانت مختلفه كثيرا ، أو ربما كان يحيي يظنها كذلك ، سريعا حاول يحيي طمئننتها ، وتهدئة روعها ، و حاول توديعها بضحكة داعبة مجوفة مختلفة ليست كالعادة ، و بينما كادت غاده تجهش بالبكاء الحار ، و كأنها لن تسمع صوته مجددا ، أخبرها يحيي بضرورة إنهاء المكالمه علي الفور إستعدادا لإقلاع الطائرة ، و طرق جبينها بقبله مغلفة بكثير من الحنين الي حضان الوطن .

تحركت الطائرة من طراز بوينج 737 علي مدرج المطار بسرعه منخفضه ، حتي اقتربت من الاقلاع ، فازدادت سرعتها بدرجه

أرض جوتش

كبيرة تنزع القلوب ، ثم اقلعت الطائرة بسلام ، و لم يكن الأمر مفرعا لهذة الدرجة التي تصورها يحيي ، ربما رهاب ركوب الطائرات الذي يصيبه في كل رحله طيران يقوم بها ، هو السبب في تسارع دقات قلبه الي هذا الحد المبالغ فيه ، والذي كاد ان يتسبب في تصلب اطرافه ، و فقدانه السيطرة علي اعصابه ، انتهى الخطب اذن حينما بدأ في فتح عينيه التي أغلقها لا إراديا عند الإقلاع ، وحينها بدا الأمر علي ما يرام ، و قد انتهى الهلع الان ، و بدأ يحيي في تمالك أعصابه ، فتبددت مخاوفه ، و هدأ روعه ، و ارتخي جسده المتيبس المتصلب ، ليبدأ في الاستمتاع برحلته .

كان ذلك في مساء يوم الأحد الموافق الثاني و العشرين من شهر مارس عام 2015 ، و كما ذكرت على الرغم من أن تلك الرحله لم تكن هي المرة الأولى التي يسافر فيها يحيي خارج البلاد ، لكنها كانت المرة الأولى التي يشعر فيها بالقلق و التوتر الشديدين ، قد يكون ذلك القلق الغير معتاد أمرا طبيعيا ، نظرا لأنها رحلة غير اعتيادية ، بل كانت رحله استثنائية بشكل كبير ، فهي المرة الأولى بالنسبه له التي يرافق فيها الوفد الرئاسي و الوزاري المصري المتجه الي الخرطوم عاصمة السودان للتوقيع علي

أرض جوتش

وثيقه اتفاق المبادئ العامه بين مصر وأثيوبيا والسودان بشأن سد النهضة ، و سوف يتثنى له المشاركة في المؤتمر الصحفي الثلاثي ، الذي سوف يجمع بين رؤساء الدول الثلاث ، و سيتم إنعقاده بعد وصول الرئيس المصري صباح اليوم التالي الإثنين الموافق الثالث و العشرين من شهر مارس ، و لكن الجريدة الرسمية الحكومية التي يعمل بها يحيي قررت ارسال فريقها الصحفي برفقة وفد الخارجية المصري قبل وصول الرئيس المصري و الوفد الرئاسي المرافق له الي الخرطوم بليلة واحدة على الاقل ، وذلك للإعداد للقاء الصحفي المرتقب ، و مراجعة جدول الزيارة الرسمي ، و الذي وزعته رئاسه الجمهوريه علي معظم الصحفيين المشاركين في المؤتمر بالاضافه للوزراء وكبار المسؤولين ، و قد اطلع يحيي قبل سفره علي برنامج الزيارة وقرأه جيداً ، حيث سوف يعقد رؤساء الدول الثلاث جلسه مباحثات مصغرة ، ثم بعدها جلسة مباحثات موسعه تشمل كبار المسؤولين والوزراء ، في ظل حضور وفود الدول الثلاث المشاركه في الاجتماع ، و من ثم سوف يتم التوقيع علي اتفاق المبادئ العامه بين الدول الثلاث بشأن سد النهضة ، و الذي أثار

أرض جوتش

العديد من الخلافات في الآونة الأخيرة بين دول حوض النيل ،
فبينما إرتقت كلا من مصر والسودان ان بناء ذلك السد سوف
يهدد أمنهما المائي ، وسوف يشكل خطرا محققا بالبلدين ، كانت
أثيوبيا ترى أن بناء هذا السد يمثل حلما قوميا لتوليد الكهرباء و
خلق الإستثمارات و النهوض بالبلاد ، لكن خبراء المياه و السدود
النهرية المصريين و عدد من الخبراء الأجانب أكدوا على أن بناء
ذلك السد سوف يؤدي الي بور العديد من الاراضي الزراعيه
وتصحرها ، بالاضافه الي تهديده المباشر للمصريين بالعطش و
ندرة المياه ، و قد تم إبلاغ الصحفيين مسبقا انه سوف يتم
الإعلان عن قرارات جديده هامة للغاية في إطار بنود المبادئ
العامه لسد النهضة ، كما تم تحديد المواضيع التي سوف يتم
مناقشتها في المؤتمر الصحفي ، و شددت رئاسة الجمهورية علي
الصحفيين بضرورة إتزام المهنية في طرح الاسئلة ، كما شددت
علي عدم تجاوز الأسئلة للإطار العام الذي تم توضيحه في برنامج
الزياره ، و عدم الخروج عن النص المتفق عليه ، و المواضيع
التي سوف يتطرق لها المؤتمر الصحفي المرتقب ببالغ الاهميه.

أرض جوش

إنها المرة الأولى التي يكلف فيها يحيى بتوجيه أسئلة علي رئيس الجمهورية في مؤتمر صحفي كبير ومهم مثل ذلك المؤتمر ، وبالطبع هي المرة الأولى التي سوف يقابل فيها يحيى الرئيس المصري وجها لوجه ، كانت الأفكار الشتى تجول في خاطره ، كانت تلك الأفكار تتنازع و تتداخل بكثرة في عقله ، وكأنها تتدفق بقوة من قمة أعلى شلال في أفريقيا، أو كأنها تهبط بأشد سرعة من أعلى قمة جبل كليمنجارو أعلى جبل في أفريقيا، والثاني عالميا، والذي يكسوه الجليد طوال العام، رغم وقوعه في منطقة استوائية حارة ورطبة معظم السنة، حاول يحيى الإسترخاء لإخماد الضجيج بداخله، لذا قام بوضع سماعات الرأس في أذنيه، للإستماع إلي بعض الموسيقى الهادئة المسجلة بشاشة العرض الصغيرة أمام مقعده، و لقد إبتهج كثيرا عندما عثر على العديد من مقاطع الموسيقى المفضلة لديه، و بالتحديد للموسيقار الروسي العالمي "تشايكوفسكي"، و تحديدا رائعته العالمية "كسارة البندق" التي تروق له كثيرا ، وضع يحيى وسادة العنق خلف رأسه ، و بسط قديمه قليلا إلي الأمام ، حيث حصل علي مقعد رجال أعمال مريح للغاية بمقدمة الطائرة، و بدأ أنه من

أرض جوش

المهم أن يتوقف إلي حين عن التفكير، فبدأ في ممارسة الإسترخاء الذهني الذي قرأ عنه كثيرا، و لقد أفاده للغاية في التغلب علي كثير من حالات الرهاب المختلفة التي كان يعاني منها ، والتي كانت تصيبه في كثير من المواقف ربما ستكتشفون بعضا منها لاحقا .

لم يدرك يحيي أنه غفا طويلا إلا عندما أضج مضجعه صوت رجل أفريقي يجلس بجانبه ، كان صوته الغليظ موحش للغاية ، للحد الذي كاد يجعله يتقيأ عندما إنتبه له فزعا ، نظر إليه يحيي من فتحة صغيرة بين جفني عينيه الثقيلتين، حيث كان يجاهد لفتحهما بسبب الإرهاق الشديد، و بينما كان ذلك الرجل الإفريقي يتكلم، ظل يحيي ينظر إليه وكأنه لا يسمعه ، حتي دعك عينيه بقوة ، وأنزل سماعات الرأس عن أذنيه ، و سأله في ضجر: **" ماذا تقول ؟ "** ، إن ذرات اللعاب المتطايرة كانت تتناثر بكثرة على وجه يحيي من الفم الكريه لذلك الرجل الإفريقي، و كأنما يتحلل الطعام في فمه وليس في معدته، و قال له بالانجليزية و هو يوكزه علي كتفه : **" استيقظ يا رجل .. المضيفة تتحدث اليك ... انظر حولك ! "** ، إستدار يحيي بنظره فوجد المضيفة إلى جانبه،

أرض جوش

و قد أرهقها كثيرا طول الإنتظار، و بعد تهيدة رقيقة سألته المضيفة ماذا يحب ان يتناول من لحوم؟ ، فأجبها يحيي برغبته في تناول وجبة اللحم البقري مع قليل من عصير التفاح، و بينما هو ينظر إلي حسنها الذي يكفي ليطمئن الفؤاد و يملأ الروح بالسكينة، أفزعه ذلك الرجل الافريقي بصوته الغليظ البغيض ، عندما أجب المضيفة برغبته في وجبه اللحم المقدم مع بعض الفودبكا ، كان رجلا شديد سواد البشرة ممتلئ الي حد ما، ولديه كرش ممتد أمامه لبضعة سنتيمترات، ليس بالطويل حيث بدت ساقه قصيرة، و أردافه كانت كثيرة الشحم واللحم، و كان لديه رقبة قصيرة ممتلئة ومكتنزة أسفل وجه مربع ذي جبهة مربعة عريضة ، و يحمل علي وجهه وجنتين عريضتين بارزتين الي حد ما، و فكا عريضا، و حدودا ممتلئة، قد ضغطت علي العينين فبدتا صغيرتين تكادا ان تختفيا .

كان الرجل الإفريقي ينظر ليحيي كثيرا دون تحدث ، راسما علي وجهه ضحكة سخيفة ، تبرز خلالها أسنانه الصفراء كشمس الغروب ، ولثته الملتهبة كلما انفتح ثغره المتسع ، لمع في ذهن يحيي سؤالا ساقه الفضول اليه ، قاطبا حاجبيه نظر يحيي إلي

أرض جوش

ذلك الرجل الإفريقي في حدة صامتا لوهلة ، ثم سأله دون ترحيب مسبق : " ما اسمك ؟ " ، فأجابه الرجل الإفريقي بكل سخف و بصوت غلييظ، و كأنما امتزج صوته بالشحم المتناثر في وجهه قائلا : "اسمي دانيال .. يمكنك مناداتي بدان ... و أنت ما اسمك؟" ، أجابه يحيي و قد أدار وجهه عنه متجنباً رزاز لعابه المتطاير : "أنا اسمي يحيي" ، قال دان بينما هو ينظف فمه : " نعم يحيي .. يعني جون بالانجليزيه .. اسم جميل جدا لدي أخ أصغر مني يحمل ذات الاسم ايضا" ، أسرع يحيي بالرد عليه قائلا : " و لكنني يحيي و لست جون" ، فضحك دان بصوت عال ضحكة متقطعة، و استطرد قائلا : " و ما الفارق يا صديقي ؟! .. كلها كنيات مختلفة بلغات متعددة لأسم واحد!" ، فعقب يحيي علي كلامه قائلا : "ربما كذلك ! .. إذن أخبرني من أين أنت ؟" ، فأجاب دان : "ألا يبدو علي ؟!" ، أجاب موسعا ثغره و كأنما هم أن يتشاءب، ثم استطرد قائلا :

"أنا متعدد الجنسيات لكن موطني الاصلي شمال اثيوبيا .. أنا من قبيلة متجزرة العراقه و النيل .. كان والدي يعمل حطابا و مزرعا .. لكن اجدادي اعتادوا الحل والنرحال .. حيث كانوا

أرض جوش

يتنقلون كثيرا بين الأودية الخصبة و حول منابع المياه .. كان والدي متمردا علي تفاليد قبيلتنا .. فلقد كان لا يجوز له ان يتزوج بفناه من خارج قبيلتنا .. اعتقادا منهم بأن اخلاط الانساب و امتزج دماء القبيلة بدماء قبائل اخري غير أصيله قد يتسبب في حل لعنه الآباء الخالدين في الملكوت .. و قد يتعرض عرقهم الأصيل الي الأندثار والفاء عقابا لهم علي تلك الفعله .. لكن والدي أصر علي الزواج بوالدي .. و الني كانت سليله إحدى القبائل الأخرى الني كانت تحكم البلاد آنذاك .. و كان نبيجه لذلك أن غضب عليه أفراد قبيلتنا .. و عقدوا اجتماعا حضره شيوخ القبيلة .. و حكموا فيه علي والدي بحرق جسده بعد فصل رأسه عن سائر الجسد ، إن أصر علي موقفه بالزواج من تلك الفئاة .. لأنه حسبما كانوا يعتقدون انه صار ملعونا من أرواح الأجداد .. و يجب النخلص من روحه بالحرق ..حتي اذا صار جسده رمادا يقومون بنثر ذلك الرماد علي قمه الجبل .. بعد ان يتم مزجها ببعض من دماء أقرانه من شباب القبيلة .. حتى تنظهر روحه عند مثلها امام الآباء في العالم الآخر .. و لذلك اضطر أبي للهروب عبر حيلة ذكيه لجأ اليها ليتمكن من الفرار .. و بينما كان

أرض جوش

رجال الفييلة يعدون العدة لحرى جسده أمام حشد هائل من أفراد الفييلة ليشهدوا ذلك العقاب .. نجح والدي بالفعل في الهروب و النجاة بروحه " .

كان يحيي مشدوها بحديث هذا الرجل الإفريقي كثيرا ، بينما هو يتحدث إليه، و يسرد تفاصيل هذه الحكاياه المشوقة، و قد إرتسمت علي وجهه خلال حديثه علامات الجدية ، وكأنه عاصر تلك الاحداث بنفسه، و ليست مجرد قصة عن أبيه كان يرويها له في صغره، و قد تغير صوته فبدا خافتا هادئا كما لم يبد عليه من قبل، بالفعل استحوذ الحديث الشيق لهذا الرجل علي لب يحيي كثيرا ، و شعر بالفضول لإستكمال روايته، رغم أنه في بادئ الأمر كان لا يروق له الحديث معه علي أبيه حال .

يحيي : " قلت أن والدك لجأ الي حيله ذكيه ممكنه من الهرب من رجال الفييلة في تلك الليله !! .. لكنك قطعت حديثك و لم تذكر كيف كانت تلك الحيله النني وهبت لك الحياة بعد نجاه والدك " دان : " نعم أنت محق !! فلولا تلك الحيله لما رأيت نور الحياه .. و لما جئت الي عالمنا هذا ! "

أرض جوش

يحيي: " كما لو أنك لا ترغب في سرد المزيد عن تلك الليلة
الصاخبة والهامة في تاريخ والدك !! "
دان: " لا .. ليس كذلك !! لكنني أرغب في الذهاب الي دورة المياه
!! هلا سمحت لي بالمرور؟! "
يحيي: " نعم .. بالطبع .. تفضل .. !! "
دان: " اذن !! .. خذ هذا الكتاب اقرأ فيه حتى أعود اليك مجددا..
فإني لن أغيب !! ".

تعجب يحيي كثيرا لأمر هذا الرجل الافريقي، كان الرجل ثثارا
للغاية، حتي أنه كان يستفيض في الحديث بدون توقف، كان
متحدثا لبقا لولا ذلك الرذاذ ذي الرائحة الكريهة المنبعث من
فمه، لكنه كان يتحدث كدبلوماسيا محنكا أو سياسيا مخضرمًا،
أو لربما كان كذلك، ذلك ما كانت توحى به هيئته ، فلقد كان
يرتدي بذلة سوداء أنيقه جدا، و كانت تتدلى من رقبته ربطة عنق
شديدة الحمرة، و حقيبته الجلد ذات الأزوار الذهبية اللامعة كانت
تشبه إلي حد كبير تلك الحقائب الدبلوماسية التي كان يراها
يحيي في لقاءاته الصحفية مع العديد من الدبلوماسيين
ومسؤولي الخارجية، لكن يحيي عاد لتجاهل أمر ذلك الرجل في

أرض جوش

الوقت الذي كاد الفضول أن يقتله بحكم مهنته كصحفي لمعرفة المزيد من ذلك الرجل الإفريقي، و علي الرغم من أنه لم يثر أي فضول لديه في أول الامر، إلا أنه كان يرغب في معرفة كيف تمكن والده من الهرب، وما هي تلك الحيلة العبقريّة التي ألمح إليها دون إستطراد .

تأخر دان كثيرا، و كأنه لم يزر دورة المياه منذ أيام ، ماذا يفعل هنالك كل ذلك الوقت ؟، ربما أنه إلتقى بأحد أصدقائه على متن الطائرة، و تبادل معه أطراف الحديث، لأنه لم يكن من المنطقي بأي حال من الأحوال أن يبقى طيلة ذلك الوقت بداخل دورة المياه، الأمر صار مريبا إلي حد بعيد، لكن يحيي شعر برغبة جارفة لتقصي أثره، ثم عدل عن تلك الفكرة، و قبع في مكانه، و هم بوضع سماعات الرأس علي أذنيه مجددا، ثم تردد فأنزله عن أذنيه حينما نظر لذلك الكتاب الذي نصحه دان بقراءته قبل ذهابه الي دورة المياه .

كان الكتاب موضوعا علي المقعد فوق لحاف من الصوف خاص بكل مسافر علي الطائرة، للتغطية أثناء النوم، حملق يحيي في ذلك الكتاب طويلا، ثم إذ به ينتزعه من مكانه، و يتمعن في

أرض جوش

إستكشف عنوان غلافه، الذي حمل إسم " القوة البديله "، و أما في ظهر الكتاب فقد كتبت نبذه مختصرة عما يدور بداخله، وعليه كتب المؤلف هذه الجملة التي توقف يحيي عندها كثيرا: " ليس من العجيب او المستغرب أن نرى بينما ننظر إلي الأشياء ، بل العجيب ألا نرى بينما نحن نبصر جيدا/... "، ثم استطرد الكاتب في وصف كتابه في بضعة أسطر، كان يتكلم فيها عن كيفية تحول الإنسان الي ماكينة آلية، يمكنها ان تتقن و تبداع، و تحدث عن إمكانية تحويل العقل البشري الي آلة رقمية، يمكنها إبتكار كل ما يراد لها أن تبتكره، و عن التغييرات النفسيه التي طرأت علي انسان القرن الحادي و العشرين، و كيفية التحكم في مشاعره و عواطفه و أفكاره و رغباته عن بعد .

في اللحظة التي كاد فيها يحيي أن يفتح الكتاب لإستعراض فهرسه، كان الرجل الافريقي يضع يده علي كتفه متسائلا بتنمر مريب: " يبدو ان كتابي المفضل لدي قد نال اعجابك أيضا "، نظر إليه يحيي نظرة طويلة حادة متعجبا، بينما كان دان يحاول المرور الي مقعده، ثم أعاد يحيي بصره إلي ذلك الكتاب من جديد مجيبا علي دان قائلا: " يبدو كذلك !! .. لكن لا أكذب عليك لم

أرض جوش

تنح لي فرعه من قبل للقراءة في مثل هذا النوع من المواضيع
...لكنها فرصة رائعة لأن أبدأ في تحويل مسار نوعية كني
المستهدف قرائنها في المستقبل .. و لكن علي كل حال هو كتاب
مشير للإهتمام".

توقف يحيي لوهلة عن الكلام، و ليرضي شهوة الفضول بداخله
سأل دان عن سبب تأخره كل تلك المدة، لكن دان انزعج كثيرا
من سؤاله، مما جعل يحيي يستاء بشده منه ، لأنه لم يكن يقصد
إطلاقا بهذا السؤال أي إحراج له، لكن بدا علي دان أنه كان يود
أن يقول ليحيي أنه أصابه عسر هضم شديد، ثم عاد دان ليقول
ليحيي : " تعرف ما السر الذي يحمله هذا الكتاب بين طياته؟! "،
بنظرة متعالية ألقى دان هذا السؤال علي مسامعه، و بنظرة
طامحة في المعرفة أجابه يحيي : " و ما هذا السر يا ترى؟! "،
فأجابه دان بينما إلتقط كتابه بسرعة من يدي يحيي: "هذا الكتاب
هو سر وجودي في هذا العالم الآن .. و هو سر نجاة أبي من الحرق
في العهد البائد "، ثم توقف عن السرد، و كأنما ينتظر يحيي
ليبدي تعجبه ويتسائل وكيف ذلك !!، لكن دان بدا أنه يرغب في
تغيير دفة الحديث، لذلك تعمد سؤال يحيي عن سبب توجهه

أرض جوش

للسودان، فأخبره يحيي بأنه صحفيا يعمل لدى إحدى الصحف الحكومية بمصر، و أنه مسافر بغرض تغطية أحداث إبرام إتفاق المبادئ العامة المتعلقة بسد النهضة في السودان، فقال له دان في تمر صفيق : "هل تعلم بأننا سوف نقطع عنكم الماء؟"، تغيرت ملامح وجه يحيي، فيما بدا عليه الغضب من وقاحة ذلك الرجل، فأجابه: " و لهذا السبب قررت أنيوبيا بناء سد النهضة؟.. صحيح ؟ .. ولكنكم تدعون عدم الإضرار بدول المصب .. و تؤكدون على ان الغرض من بناء السد هو التنمية في أنيوبيا والتي بدورها تتطلب توفر الكهرباء الذي يمكن توليده من ذلك السد العملاق.. يبدو أنها أكذوبة تحاولون ترويجه لتمويل بناء السد !"، فضحك دان ساخرا من قوله، و بينما هو يقهقه قال: "إيها السياسة يا عزيزي .. لا تعرف الأخلاق .. و لكن أيضا إن ذلك هو حقنا الطبيعي في مياه النيل .. فأنت كما تعلم أن النهر الأزرق يشكل نسبة 80 بالمائة من مياه نهر النيل .. و لكن تلك المياه تصل إليه في الصيف فقط .. بعد الأمطار الموسمية على هضبة أنيوبيا .. و هذا يعني بلا شك أننا منبع النيل الرئيسي الذي يهب الحياة لمصر .. لذلك فإن أنيوبيا هي شريان مصر الحيوي.. الذي

أرض جوش

إن إنقطع ففدت مصر روحها.. كما لها اليد الطولى على مصر و شعبها"، لم يتمالك يحيي غضبه، حيث أثاره كلام ذلك الرجل الوقح، فأنفعل بشدة، و قال له: "لقد كانت مصر و ستظل تقطع أيادي أي شخص يحاول المساس بكرامتها و هيبتها .. و أما النيل الذي تدعي أنه ملك لكم بحجة أنكم تنحكمون في منشأه .. فهو ليس هبة او فضل منكم علينا .. و إنما يرجع الفضل لرب النيل الذي شق له طريقا حتى يصل إينا و لايزل جاريا في عروق مصر منذ آلاف السنين .. إن ذلك المطر المنهمر الذي يسقط على هضابكم ليس بمقدور أحد أن يتحكم فيه و إنما للنيل رب يحميه"، ثم توقف يحيي فجأة عن الإسترسال، و ذلك عندما حدث أمرا مروعا قطع سيل الكلام: " السادة الركاب.. برجاء الإنزام بالجلوس في مقاعدكم.. و التأكد من ربط أحزمة الأمان.. لا داعي للقلق .. حدث نقص مفاجئ في وقود الطائرة..مما سيضطرنا للهبوط في أقرب المطارات للشحن".

ملأ الصراخ جنبات الطائرة، و صاح الجميع في هرج و مرج لا يمكن السيطرة عليه، كان الأمر مرعبا جدا، و ظن الركاب بحدوث عطل ما بالطائرة، بينما كان قائد الطائرة يحاول طمئنتهم بهذا

أرض جوش

الكلام لا أكثر، لذلك فقد عمت الطائرة حالة غير طبيعية من العويل و الصراخ، بينما يحيي أصابه ضيق في التنفس، و شعر بالإختناق نتيجة لشدة الصراخ علي الطائرة، لكن المضيفات كن حريصات أشد الحرص علي تهدئة الركاب، و التأكيد عليهم بضرورة إتزام الهدوء، و إتباع التعليمات في حالة حدوث أي طارئ، بدأ الأمر بنوبة صراخ حاده، لكن بعد ذلك بدأ الجميع في الهدوء، عندما شعروا أن الأمر ليس خطيرا الي هذا الحد، و لا يستدعي كل ذلك القلق، حيث الطائرة مازالت تطير بسرعتها المعتادة دون أي طارئ عليها، وفي تلك الأثناء أغلق يحيي عينه، و توسل الي الله لينجيه من ذلك الحدث الصعب، ثم فتح عينه ليجد الرجل الافريقي ينظر له، و عينه مليئة بالثقة والهدوء التام، و كأن لا شئ يدور من حوله، و دون أن يظهر أي انفعال أو توتر، كان رجلا مريبا حقا، وكانت ردة فعله هذه مستغربه بشدة، أي نوع من البشر هو ذلك الرجل؟!، أطلال دان التحديق بيحيي، حتى قال له بكل ثقة و هدوء: **"اتعلم لماذا هدأ الركاب الان بعد هذا الصراخ الهائل؟!"**، أجابه يحيي دون أن ينطق بكلمة، فقط أوماً بغمه فيما يعني لا أعرف، فاذا بالرجل الافريقي يطرق بكفه علي

أرض جوتش

ركبة يحيي موضحاً: "لقد جعلتهم يهدأون و يؤمنوا بأن الأمر ليس علي هذا النحو من الخطورة .. ولا يتطلب هذا الكم من الانزعاج .. إنه ذلك السر الذي حدثتك عنه".

و ما أن أنهى الرجل كلامه حتى باغت يحيي ألم شديد في بطنه، على أثره شعر بالرغبة في التقيأ، أثنى رأسه الي الأسفل محاولاً افراغ معدته، حتى تقيأ بشكل لا ارادي ، فوجد دماً قد خرج من فمه، و اذا بالدم يسيل و يفيض علي الأرض كأنه سيل منهمر ، غمر الدم أركان ارض الطائرة ، و لم يلبث ان تحول الي بحر دماء أغرق كل الطائرة ، عاد الجميع للصراخ حينما رؤوا الدماء من حولهم ، و فجأة بدأت الطائرة تتهاوى بسرعه منفلته، و فقد قائد الطائرة التحكم فيها ، و بينما يتأهب الجميع للحظة الموت ، تحدث قائد الطائرة عبر الميكروفون قائلاً :

"السادة الركاب !!!"

أعتذر لكم بشدة .. لقد كذبت عليكم .. لقد انفجرت إحدى مخازن الوقود.. و نشب حريق هائل في مؤخرة الطائرة .. و إبفلت زمام الطائرة .. و ليس علي سوى أن أخبركم بأن الحياة

أرض جوش

جد قصيرة.. و ربما تكون هذه هي نهاية الرحلة.. فاستعدوا
للموت.. فلفد حل عليكم برأسه البغيضة.. ليننزعكم من
أحبائكم وأهليكم.....

أيها الركاب الأعزء!!..

أهلا بكم في الجحيم.....!! " .



المشهد الثاني

(الجته)

إستيقظ يحيي فزعا من ذلك الكابوس المروع، كان رأسه ثقيلًا للغاية، و كأن علي رأسه صخرة صلده شديدة الثقل، و كان يتصبب عرقا للحد الذي صارت معه وسادته وكأنها قطعة إسفنج إمتصت كل العرق بداخلها، نهض يحيي بسرعة مرتجفا من فراشه، عندما دقت عقارب ساعة الحائط بغرفة نومه في تمام الساعه العاشرة مساء، كان صوتها مزعج لدرجه أنها نزعت النوم من جفنه تماما، بل صار من المستحيل أن يعود إليه النوم مجددا، بعد حلم طويل مزعج و موحش للغاية، جعل يحيي

أرض جوش

يرتجف بشدة علي سريره بينما يجاهد محاولا النهوض، كانت تلك الساعة المعلقة بغرفته بمثابة المنقذ الذي أنقذه من الهلاك، أو كملاك الرحمة الذي أعاده إلي الحياه مجددا، لكن على النقيض من ذلك شعر يحيي مؤخرا أنها باتت مصدر ازعاج شديد له ، فما عادت تدق إلا و توقظه من كابوس بشع، لم تكن علي هذا النحو من النحس بادئ الأمر، عندما اقتناها قبيل عودته إلى مصر من إحدى متاجر بيع الخردوات في وسط العاصمة التايلاندية بانكوك، و ذلك اثناء تجوله في منطقته السوكومفيت ذات الطابع العربي، كان صوتها يروق له كثيرا، فهي مصنوعة من طراز نادر قديم و كلاسيكي، ذكرته بساعه الحائط ذات البندول المتحرك في منزل جدته القديم، و الذي كان صوتها صاخبا و رنانا بقوة، كان صاحب المحل التايلاندي قد اجتذب معه اطراف الحديث، بينما كان يحيي يجول في أركان المحل العتيق، ملقيا نظرات ثاقبة عميقة علي البضاعة المعروضة، لم يكن يحيي يفهم ذلك الرجل التايلاندي بشكل واضح وجلي، فقد كان يتحدث بالطبع اللغة التايلانديه، لكن انجليزيتة الممزوجة ببعض مخارج الالفاظ الجنوب شرق آسيويه كانت تشتت ذهنه، لا يتذكر

أرض جوتش

يحيي تحديدا في أي موضوع كانا يتحدثان ، لكن البائع التايلاندي كان يسوق له هذه الساعة علي وجه التحديد، يتذكر فقط ان ذلك البائع التايلاندي أخبره ان عمرها يتجاوز الثمانين عاما، و أنها صناعه يدويه محترفه من عمل جده ، الذي ورث هذه الحرفة عن أسلافه ، كان بندولها ذو مرآه شديدة الصقل، و لها بريق خاطف جدا، حتى أنه عندما نظر فيها خيل له انه رأي وجهه و كأنه خارج لتوه من صالون الحلاقة، بدا خلالها شعره مشرقا نضرا و كأنه مبلل رغم انه لم يك كذلك، لقد رأي نفسه فيها كما لم ير نفسه في مرآه من قبل .

سأل البائع التايلاندي يحيي بكل ترحاب: "هل أنت عربي؟!"
أجاب يحيي قائلا: "بل انا مصري!! .. وهذه هي الزيارة الأولى لي لبلدكم الرائعه و المذهله حقا "

فأجابه بوجه باش مغلف بابتسامة عريضة: "انها تايلاند الرائعه حقا المتعدده الثقافات ... هنا في هذه المنطقه بالتحديد أظنك تشعر و كأنك تتسوق في بلد عربي ... أليس كذلك؟!"

أرض جوش

يحيي: " نعم أنت محق ... أدهشني ذلك جدا .. فكل شيء هنا يحمل طابع عربي .. المحال .. المطاعم .. تحمل أسماءا عربيا .. فعلى مقربة من هنا توجد العديد من المطاعم التي تقدم أكالات يمنية و سورية و عمانيه و وعراقيه ومغربيه و فلسطينيه ، حتى أنني لنوي أنهيت وجبة إيطاري بمطعم مصري خالص .. و لقد تناولت وجبه فول و طعمية مصرية خالصة، بطعم و نكهه مصريه ، و سعدت كثيرا بمقابله بعض المصريين الذين يعملون ويدبرون هذا المطعم "

قاطعه البائع التايلاندي مضييفا : " نعم يتواجد هنا الكثير من الجاليات العربيه التي تعمل في بانكوك منذ فترة طويله " عقب يحيي على كلامه قائلا : " نعم !! و لقد جاء مدير المطعم المصري الاصل و الذي يحمل الجنسيه النايلانديه لمصافحتي .. و تحدثنا قليلا عن اسباب هجرته الي تايلاند .. و سبل العيش و ظروف المعيشه في بانكوك .. و أخبرني بأن زوجته المصرية متوفيه و لديه ابنين تعيشان مع والدته العجوز .. و قد جاء الي هنا منذ وقت طويل .. و لقد استأجر هذا المطعم الذي أدر عليه ارباحا كثيرا .. و أحبته فناه تايلانديه عرضت عليه الزواج فنزوجها و ساعدته علي الحصول علي الجنسيه .. لكنه بعد وفاة زوجته في مصر بدأ يفكر مليا في العوده الي مصر .. و تصفية أعماله في بانكوك .. والاستقرار بالوطن والنفرغ لنديه بننيه اللين صرنا في أمس الحاجة اليه في تلك المرحله العمرية الصغيرة "

أرض جوش

البائع التايلاندي: " هذا أمر مؤسف للغاية !! "
يحيي : " لكنه اخبرني بوجود العديد من المصريين الذين يعملون في تايلاند .. و بالفعل خلال تجولي في هذا السوق تمكنت من الحصول علي العديد من الصور مع جاليات عربيه عدة .. قابلت خلالها شاب فلسطيني يعيش هنا منذ أمد بعيد .. و آخر سوري جاء بعد إبدلاع الحرب في بلده منذ فترة قصيرة .. و رأيت الكثير من السياح الخليجيين الذين اعتادوا علي المجرع الي هنا .. خاصة في آخر العام حيث الشهور الجافه .. هذا بالاضافه الي جميع جنسيات العالم المختلفه من جميع الفارات .. انها بلد رائع حقا .. و فرصه عظيمه ان تكون في تايلاند لنقابل الناس من جميع انحاء العالم في مكان واحد ... دون أن تحتاج لزيارة جميع دول العالم ...!!

أجابه بكل ود: "رائع...عظيم.. تايلاند بلد منفتح تحب بالجميع لكن ان أمكن لي أن أسألك .. هل أنت هنا بغرض السياحه أم العمل ؟ "

أخبره يحيي أنه جاء الي تايلاند بتكليف من رئيس مجلس ادارة الصحيفة التي يعمل بها ، و قد أوعزت له الصحيفة بعمل تقرير صحفي مصور عن فرص السياحه للمصريين في تايلاند ، بموجب اتفاق بين الصحيفة و سفارة تايلاند بالقاهرة للتسويق للسياحه في تايلاند، عبر مجموعة من المقالات الترويجيه المصورة بالجريدة التي تحظي بعدد كبير من القراء، بينما تهدف السفارة التايلانديه لزياده عدد السياح الأجانب الزائرين لتايلاند، و على

أرض جوش

الرغم من أن يحيى لم يمض علي عمله الجديد بالصحيفه سوى ثلاثة أشهر فقط، إلا أنه حظي بإعجاب مجلس الادارة بعد عدة مقالات جلبت لهم المزيد من الأعلانات المدفوعه، مما أثر علي زياده مبيعات الجريدة، و لذلك أجرى يحيى العديد من المقابلات الصحفيه مع بعض شركات السياحه و الجاليات العربيه في تايلاند، كما تعرف على صديق تايلاندي ساعده كثيرا في إنجاز مهمته، و لقد نظم له برنامجا رائعاً لزيارة العديد من أشهر معالم الجذب السياحي في تايلاند، و حصل خلال تلك الزيارة علي عدة صور رائعة ، و التي كانت إضافة مبهره لتقاريره عن هذا البلد .

لم ينتبه يحيى لحاله بينما أطلال النظر في مرآه ساعة الحائط شديده الصقل، إلا عندما رن هاتفه بصوت عال، إرتجف جسد يحيى، و كأنه مازال نائماً و لم يستيقظ بعد، مسرعاً ذهب يحيى لألتقاط هاتفه ليبري من المتصل، لكن الإتصال إنتهى على الفور، فتح يحيى هاتفه، و بحث في قائمة المكالمات الواردة عن آخر إتصال به، لكنه لم يجد أي مكالمه وارده قبل دقيقة، شعر يحيى بالريبة من ذلك الأمر، فلقد سمع الهاتف يرن قبل لحظات، لكن آخر مكالمه وارده كانت نهاراً، دعك يحيى عينيه بشدة، ظن أنه لا يزال نائماً، و شعر أنه رأسه لاتزال ثقيلة، و أحس بدوار و ألم

أرض جوش

شديد في بدنه، و بينما هو على تلك الحالة من الوعي واللاوعي لمح الوقت في هاتفه، فاذا به في تمام العاشرة و الثلث مساء، "يا الهي .. كيف مر الوقت سريعا هكذا؟.. لم أنبه للوقت في ساعه الحائط طيله تلك المده الني كنت أحملق فيها و أستعيد الذكريات اني لا أستطيع التركيز .. و أشعر بعقلي يتخبط و كأنني مشوش للغاية " ، هكذا تحدث يحيي الي نفسه .

مسرعا ذهب يحيي لغسل وجهه ، لقد تأخر كثيرا ، كان عليه ان يستيقظ مبكرا قبل ذلك في الثامنة مساء ، حتى انه تذكر قيامه بضبط ساعه الحائط المزودة بمنبه لتدق في تمام الثامنة ، ماذا حدث لها جعلها تتأخر ساعتين لتوقظه ؟ ، يبدو أنها تعمدت أن تدق في العاشرة لتؤخره ، الآن عليه أن يسرع للذهاب الي المطار في أسرع وقت ممكن ، و يجب أن يصرف عنه تلك الأفكار المتشائمة نتيجة ذلك الكابوس في منامه ، و أقنع نفسه أن ذلك محتملا نتيجة التوتر الذي يمر به بسبب تلك الزيارة الى السودان ، لحضور المؤتمر الصحفي الذي سوف يعقد بين رؤساء مصر واثيوبيا والسودان ، لذا قرر أن ينفذ عن رأسه غبار التشاؤم ، و هم بالأسراع حتى لا تفوته الطائرة .

أرض جوش

هم يحيي بصب الماء علي وجهه ، ثم تردد ، تذكر أنه يجب عليه الحصول علي حمام ماء بارد ليستفيق ، و ينسى ذلك الكابوس المرعب الذي لايزال حاضرا في ذهنه ، و لما انتهى هم بغسل أسنانه بالفرشاة ، فوضع عليها المعجون ثم بدأ باستعمالها ، و كعادته سرح شعره بينما كان يقوم بتنظيف أسنانه ، فاسترق النظر الي مرآه الحمام ، و أطال التحديق فيها ، حتى شعر انه مسلوب الاحساس بالزمن ، أحس و كأن الوقت توقف في تلك اللحظة ، شعر يحيي بهبوط في ضغط دمه ، و عينه أصابها شئ من الزغلة ، و يدها صارتا ترتعشان وترجفان بشدة ، و قد أحس ببروده في أطرافه وكأنها تجمدت كقطعة ثلج ، رأى يحيي دوامات تدور حول بعضها البعض أمام ناظره ، ازدادت ضربات قلبه ، و تسارعت ، شعر كأنه يدور مع تلك الدوامات الوهمية ، و كل شئ من حوله يدور معها ايضا في أفلاك بعيده ، أضحت الدنيا تدور به بينما هو على هيئته واقفا أمام المرآه متصلبا في مكانه ، و كأن أحدا ثبت قدميه بمسامير نافذه ، " لا أستطيع غلق عيني .. لا أستطيع ... لقد تأخرت كثيرا عن ميعاد طائرتي .. من الجيد أنني قمت مسبقا بإعداد امتعتي و حقائبي ... لم يبق سوى حقييتي

أرض جوش

الصغيرة، الني سوف أضع بها بعض المتعلقات الخفيفة و الاوراق الهامه و حاسوبي اللوحى الصغير الحجم " ، كان قلب يحيى يدق بتطرف ، بينما كان يكتب تلك الرسالة الي صديق له. على الفور ارتدى يحيى ملابسه ، و بدا كل شئ جاهزا الآن ، لكنه تذكر فجأة أن سيارته قد تعطلت ليله أمس ، لقد أصابها عطل ، و لا يمكنه الاعتماد عليها لنقله الي المطار ، مسرعا فكر بالاتصال بصديقه عادل الذي بعث له برسالته ، حمل يحيى هاتفه و بدأ يبحث عن اسم صديقه في قوائم الاتصال بالهاتف ، لكنه لم يجده ، أعاد يحيى المحاوله مرة أخرى ، و أخيرا وجده ، لكن الرقم يصعب الاتصال به ، ما الخطب؟! ، خرج الي الشرفه لربما الشبكة رديئة بالداخل ، و عاود الاتصال بصديقه عادل ، لكنه وبينما هو يحاول الاتصال به ، وجد عادل يتصل به ، على الفور أجابه يحيى دون انتظار ، بدا على صوت عادل الانفعال الشديد ، اخبره عادل انه حاول الاتصال به عدة مرات منذ العصر ، لكن هاتف يحيى كان مغلقا في كل مرة يتصل به ، انتابت يحيى القشعريرة ، و أجاب عادل بأنه لم يغلق هاتفه مطلقا ، و لم يجده مغلقا حتى عندما استيقظ من نومه ، بل وجده علي الشحن ، و

أرض جوش

كانت بطاريته ممتلئه لآخرها ، تعجب عادل كثيرا لسماع هذا الكلام ، و سأل عادل مستنكرا: " صديقي .. هل انت متأكد مما تقول؟! .. كيق تقول ذلك؟! .. أقسم لك أنني اتصلت بك عدة مرات دون أي جدوى .. وهاتفك دوما كان مغلق "

يحيي : " عادل .. أخبرني متى كانت آخر مرة اتصلت بي فيها؟" أجابه عادل بنبرة متعجبه : " من نصف ساعه تقريبا !! "

و بشئ من التوتر سأله يحيي مجددا : " عادل أرجوك أنظر في هاتفك .. وأخبرني تحديدا متى آخر مرة اتصلت علي فيها !! " ، و بإنفعال شديد قطع عادل سؤاله صائحا : " ليس لديك وقت لمثل ذلك الجدال الفارغ الغير مجدي !! .. هل نسيت ميعاد طائرتك؟! زملاؤنا المرافقين لك جميعهم وصلوا المطار الآن وهم في انتظارك .. ان رحلتك في تمام الساعة النانيه صباحا . والآن الساعه الحاديه عشر مساءا!! .. ماذا تفعل كل ذلك الوقت يا يحيي؟! .. هل أنت في وعيك؟! .. لقد أكدت أنت بنفسك علي ان أوقفك بإتصال مني ، كما طلبت مني أن أعطي اليك لأنفلك الى المطار بعد أن أنهى عملي .. هل تذكر ذلك؟! " يحيي : " نعم صدقني أتذكر كل هذا !! .. انذكر أنني طلبت منك

أرض جوش

أن توقظني .. و أكدت عليك الفدوم لنقني للمطار .. الآن فقط
تذكرت أنني طلبت منك ذلك لأن سيارتي تعطلت ليله أمس " ،
ثم استطرد يحيي متسائلا: " أخبرني اذن أين انت الآن؟ " ، أجاب
عادل منفعلا: " لقد كان عندي ضغط عمل كبير هذا اليوم .. و
لم أتمكن من الاستئذان للمجئ اليك " .
بنبرة صوت حادة عقب يحيي على كلامه قائلا: " اذن اخبرني أين
انت الآن؟! .. انا أسألك!! " .
عادل: " أنا على الطريق الدائري السريع .. و أمامي ساعه تقريبا
حتى أصل اليك .. هناك حادث ضخم على الطريق .. و توقف
الطريق على اثر هذا الحادث .. و لا استطيع التحرك نهائيا..
السيارات كلها من حولي واقفه .. لقد تعلفت في هذا الطريق " ،
صائحا في وجهه غاضبا قال يحيي : " ماذا تقول؟! .. ساعه
كامله؟! .. هل انت تمازحني؟! " .
عادل: " ليس هناك وقت للمزح!! أقول لك الطريق مغلق ..
ولا يمكنني الوصول اليك في خلال ساعه .. هل تريدني ان اخبرك
أنه عليك انظاري .. و أنا أعلم يقينا أنني سأناخر عليك؟! " .
تمالك يحيي أعصابه و عقب متسائلا: " اذن ماذا أصنع الآن؟! "

أرض جوش

.. لقد ورطني هكذا "

أجاب عادل متحمسا: " هدى أعصابك .. لا عليك .. أنا أعرف سائق قريب منك و هو صديق لي .. سأنصل به الآن و سأخبره بسرعه النوجه الى شارع الفصر العيني بوسط الفاهر، و سأخبره بأن يكون في العنوان في أسرع وقت .. وسأعطيه رقمك .. ليتمكن من الانصال بك عندما يكون أسفل العمارة الني تسكن بها " .

أثنى يحيي على عادل كثيرا ، و حمد الله على ذلك ، و أخبره انه سوف يستعد للرحيل ، و سوف يجدد التأكد من حملة جميع أوراقه ، و تجهيز جميع الحقائب ، والنزول الي الاسفل بالحقائب لينتظر السائق ، و أغلق معه الاتصال .

لم يبق أمام يحيي سوى وقت قليل جدا، من المفترض أن يكون في المطار الآن ، هم بإخراج حقائبه من غرفه المعيشه ، و على عجل تأكد من أنه لم ينس أي شئ ، و لطبيعته المسوسه قليلا قام بفتح الحقائب مجددا ، و فحصها من جديد ، مستغلا بذلك الوقت حتى يصل السائق ، لقد كان يحيي قلقا للغاية ، يذهب يمينا و يسارا ، و يتحرك كثيرا في أرجاء المنزل ، للتأكد من استعداده للرحيل ، و بعد أن أخرج كل حقائبه الى صاله المنزل

أرض جوتش

، و بدا كل شئ على أتم الاستعداد ، شعر يحيي بحاجته الي
فنجان قهوه تركي ليحصل على قسطا وفيرا من التركيز ، أسرع
يحيي بالولوج الي المطبخ ، وسريعا قام باعداد القهوة ، ووضعها
على النار ، و انتظر بجانبها حتى صارت جاهزة ، و خرج الى الشرفه
ليحصل على بعض الدخان بينما يحتسي القهوه في الهواء الطلق
، شعر بالاسترخاء عندما استنشق الهواء العليل من شرفة منزله
، كان الطقس رائعا في مطلع فصل الربيع ، مجددا أرسل يحيي
رسالة نصية الي صديقه عادل ليسأله عن سبب تأخر السائق ،
ثم جاءه الرد بأن السائق في الطريق ، و أنه أبلغه ذلك منذ عشر
دقائق ، حيث قال له أنه سيكون أسفل البناية في خلال عشر
دقائق ، ما يعني انه يجب عليه الاسراع للنزول الي أسفل العمارة
.. و في تلك الاثناء جاءه اتصال من رقم غير مسجل ، فأجابه
مسرعا: " ألو .. أيوة حضرتك انا نازل الان !! "

" يا يحيي أنا عادل .. هذا رقم العمل .. لم يبق معي رصيد ..
السائق أخبرني انه اتصل بك فوجد الرقم الذي أعطيته اياه خاطئا
.. فعاود الاتصال بي ليخبرني بأن هاتفه سوف يفقد شحنه .. وهو
الان ينظرك أسفل العمارة ... هيا أسرع !!! "

أرض جوش

على الفور فتح يحيى باب المنزل على مصراعيه ، و هم بإخراج
حقائبه خارج المنزل ، ثم تذكر انه وضع هاتفه على الكرسي في
الشرفة ، " تبا لذلك النوتر اللعين " ، ترك باب المنزل مفتوحا
على مصراعيه ، وأسرع الى الشرفة لالتقاط هاتفه ، و مسرعا عاد
الى باب المنزل استعدادا للنزول ، اقترب يحيى من الباب فإذا
به يتجمد مكانه ، حينما وجد جثته ملفوفة بكفن ملقاه أمام عتبة
منزله....

" مستحيل .. مستحيل .. هذا أمر مستحيل "

المشهد الثالث (في المستشفى)



من فتحة ضيقة من نافذة جفنيه ، أبصر يحيي نفسه يرقد ممددا على سرير أبيض ، ملثف بغطاء أبيض ثقيل ، بدأ يحيي بفتح نافذة عينه ببطء ، حتى أدرك أنه موجود بغرفته في مستشفى ، و يلتف حوله عددا من الاشخاص ينظرون اليه بشغف ، اعينهم تبدو عليها القلق ، بينما هم يتهامسون فيما بينهم بكلام لم يدركه يحيي جيدا في أول الأمر ، لكن تدريجيا شعر يحيي بأنه يستعيد روحه و إحساسه بجسده ، عندما حاول تحريك ذراعه ،

أرض جوش

فكاد أن ينزع المحلول المعلق من يده ، في الوقت الذي أحس فيه بألم شديد في ساقه منعه من تحريك قدميه ، انتفض الجميع من حوله ، و أمسكوا به حتى لا يحرك المحلول المعلق له ، و بصوت عال هلل الجميع قائلين : " يحيي !! .. حمدا لله على سلامتك !! " ، اقتربت عادة من يحيي بحذر ، ووضعت يدها علي كتفه قائلة : " الحمد لله على سلامتك يا أخي !! أخبرني كيف تشعر الآن؟ " ، حرك يحيي عينه ببطء ، ونظر نحوها قائلا بصوت منخفض جدا : " أنا لست بخير !! أشعر بألم شديد ! ماذا حدث لي ؟! " ، حاول يحيي مجددا تحريك يده بعنف ، فصرخ الجميع بشده صرخه قوية مدوية .

يحيي : " أين أنا؟؟ .. ما الذي جاء بي الى هنا؟؟!! ... أخبروني!! " قال عادل محاولا تهدئة يحيي : " اهدأ أرجوك يا يحيي ... هذا الانفعال خطر عليك !! " .

ازداد انفعال يحيي ، و قام بتحريك قدمه في محاولة للنهوض من مكانه ، صاح الجميع في صوت واحد قائلين : " يحيي هذا لا يصح .. اهدأ أرجوك !! " .

يحيي : " ما الذي جاء بي الى هنا؟ .. أخرجوني فورا الآن " .

أرض جوش

خرج عادل مسرعا من الغرفة لإستدعاء الممرضة ، و قالت عادة
: " انت بخير يا أخي .. لا تقلق .. فقط اهدأ !! ليس هناك ما يدعو
لكل ذلك الفزع الذي يصيبك !! " .

عاد عادل و خلفه الممرضة ، أسرعت الممرضة نحو يحيي ، و
بينما تقوم بحقن المهدأ في المحلول ، قالت ليحيي و هي تنظر
له مبتسمة : " كيف هو حالك الآن ؟ .. باذن الله تعالى ستكون
بأفضل حال .. لكن فقط عليك عدم التحرك كثيرا .. و لا داعي
للعصبية المفرطة الني تقوم بها " .

يحيي : " انا أريد أن أعرف كيف حدث لي هذا ؟ .. و لماذا أنا هنا
بتلك المستشفى اللعينة ؟ " .

الممرضة : " أنت بخير .. تعرضت لحادث بسيط .. و قدر الله لك
النجاة .. هذا يدعوك للرنخا لا الغضب "

يحيي : " لا بد أن أغادر هذا المكان .. انا لا احب المستشفيات ..
و لا أطيق البقاء هنا .. " ، ثم استطرد قائلا : " لكنني لا أستطيع
تحريك قدمي .. أشعر باللم فظيع في ساقتي .. لا بد أنني تعرضت
لحادث كبير ... عادة أرجوكي أخبريني ماذا حدث لساقتي ؟ .. هل
بترت ساقتي أنا لا أشعر بها ؟ " .

أرض جوش

أنهت الممرضة عملها ، و بينما هي تستعد للخروج ، قالت : " لا تقلقوا .. سيكون بخير .. بعد اذنكم ! " ، فأذنوا لها بالإنصراف ، و خرجت على الفور ، أقترب وليد - صديق يحيي بالعمل - من يحيي محاولا تهدئة روعه ، و قال : " يحيي !! هل تشعر بتحسن الآن؟ .. لقد فرعنا عليك كثيرا .. أنصل بي وحيد و أبلغني أنك حضرت الى هذه المستشفى في سيارة اسعاف .. لم يكن هنالك وقت لمعرفة المزيد .. كنت فالعمل حينها .. لكنني استأذنت مسرعا ، بعد ان أبلغت أستاذ ممدوح بخبر حادثتك " .

قاطعته الأستاذ ممدوح - رئيس تحرير الجريدة التي يعمل بها يحيي - مازحا بصوت ضاحك : " اذا لم تهدأ الآن سنذهب .. و لن ياتي احد لزيارتك مجددا .. " .

عادل - ضاحكا - : " نعم !! و ستبقى هنا وحيدا .. أليس كذلك يا عادة؟ " ، تنهدت عادة بعمق ، فوضعت يدها على جبين يحيي ، و قالت بصوت يشوبه القلق : " لا .. لن أفعل .. لن انرك أخي وحده بعد ان اطمئنت عليه .. أحمد الله كثيرا على انه حفظه لنا سالما .. و الشكر لله الذي نجاه من ذلك الحادث المروع !! " .

أرض جوش

هدأ يحيي كثيرا بعد حقن جرعة المهدأ ، و وضع يده على يد أخته فوق جبينه معقبا : " حفظك الله لي يا أخني .. أخبريني حفظك الله كيف حدث ذلك ؟ " ، ترددت عادة في التكلم ، ونظرت الي عادل ، و بغمزة خفيفة قالت : " سأترك عادل يروي لك ! " ، ثم طرق أحد الباب فجأة ، فأسرع وليد لفتح الباب ..

" السلام عليكم .. مساء الخير .. كيف حالكم جميعا ؟ !! " .
عادة : " طارقى !! .. أتفضل .. تعالى .. " ، و قدمته للحضور قائلة : " طارقى .. زوجي " ، دخل طارق ، و سلم على جميع الموجودين فردا فردا ، ثم أقترب من يحيي ، و ألقى عليه السلام ، أجاب يحيي بصوت متألم : " الحمد لله .. شكرا لك يا طارقى .. كيف حالك ؟ " ، فأجابه طارق قائلا : " أنا بخير .. لكن ما يهم أكثر هو حالك أنت يا بطل .. باذن الله تعالى تقوم لنا بألف سلامة .. و تعود الي عملك وحياتك بشكل طبيعي قريبا " ، و فجأة صاح يحيي بصوت عال مذهولا : " تذكرت !! .. تذكرت !! " ، ثم نظر للمحيطين له في دهشة قائلا : " المؤمنر !! .. السفر ... المطار !! .. لا بد ان أذهب الي المطار الآن .. يجب أن ألحق بالوفد المسافرين

أرض جوش

الى السودان لحضور المؤتمر الصحفي " ، فأجابته الأستاذ ممدوح : " لا .. بل سوف تبقى هنا حتى تسترد عافيتك ، و تتمكن من العودة الي العمل من جديد بشكل طبيعي " .
صمت يحيي قليلا ثم قال حزينا : " هذا يعني أنني لن اتمكن من حضور المؤتمر الذي أعددت له كل عدة " ، نظر يحيي الى عادل و سأله عن الوقت ، ثم طلب منه أن يخبره لماذا لم يتمكن من اللحاق بالطائرة .

لم يجد عادل بدا من الاجابة ، فنظر الى يحيي ، و قال : " أنا لا أعرف بالانفصيل ما حدث .. كل ما أعرفه أن آخر مكالمه معك كنت أخبرك فيها ان السائق بأننظارك أسفل العمارة .. و أكدت عليك أن تسرع بالنزول اليه ... " ، قاطعه رئيس التحرير قائلا : " كانت طائرتك النبي حجزتها لك الجريدة في تمام الساعة النانية صباحا .. و قد ذهب كل زملائك في الجريدة المرافقين لك الى المطار و انها اجراءات المطار كلها .. و كانوا في انظارك حتى تأخر الوقت ... و اقنرب ميعاد الصعود للطائرة .. تلفيت اتصالا من المصور يخبرني أنهم حاولوا عدة مرات الأتصال بك لكن دون جدوى ... أغلقت معه على الفور .. و انصلت بك لكن أيضا دون

أرض جوش

جدوى .. هاتفك كان مغلفا .. و عليه أسرعت بالاتصال بعادل
لأسأله عليك .. حيث أخبرني عادل بأنك في طريقك الى المطار ..
و انه من المفترض ان تكون قد وصلت الى المطار في الوقت
الذي كنا ننكلم فيه " ، فقاطعه عادل موجهها كلامه لرئيس
التحرير قائلا : " نعم .. و أما السائق فكان لا يجيب على الهاتف
.. ما أثار الشكوك في صدري و أصبت بالفلق و الحيرة .. انظرت
قليلا حتى عرفت ان الوفد المسافر مع يحيي قد صعد الى
الطائرة عدا يحيي .. عندها فكرت لربما أن يحيي حدثت له
مشكلة في المطار و لم يتمكن من عبور منطقة الجوازت .. لم
يخطر ببالي أن مكروها حدث له .. و في تمام الساعة الثانية صباحا
.. جاءني اتصال من المستشفى يخبرني أن حادث وقع لأحد
الأشخاص .. و بفحص هاتفه عثروا على رجمي الذي كان آخر رقم
أتصل به المصاب .. و عندما استفسرت عن إسم ذلك المصاب
.. أخبروني بإسم السائق .. اسرعت بالاستفسار عن شخص آخر
كان برغمفه في السيارة .. أخبروني (نعم و اسمه يحيي) و انه
أيضا حضر معه في سيارة الأسعاف .. و أمروا بادخاله الي العناية

أرض جوش

المركزة .. حيث أنه كان بحالة سيئة و يعاني من نزيف حاد بالمنخ
كان من الممكن أن يودي بحياتك " .

استمع يحيي الى هذه الروايه في صمت مطبق ، حتى أنتهى
عادل من كلامه فعقب بصوت خافت قائلا : " فهمت .. لقد
تعرضت لحادث بشع .. انفجرت الطائرة و سقطت في الصحراء " ،
تعجب الحاضرون جميعهم ، و تقاسموا النظرات فيما بينهم ،
فعقبت غادة على كلام يحيي قائلة بهدوء : " حبيبي انت لم
تركب الطائرة أصلا .. لقد تعرضت لحادث بالسيارة الأجرة علي
طريق المطار .. و قد اصطدمت السيارة بأخرى ملاكي .. لفي
صاحبها مصرعه على الفور بينما قدر الله لك عمرا جديدا " ،
عبس يحيي عبوسا ، و قطب حاجبيه بشدة ، بينما هو يستمع
لحديث غادة ، بدا عليه الدهشه والذهول ، و أخذ يحملق في
الجميع بشدة ، لاحظ الحاضرون عليه علامات الصدمه ، و أنكروا
عليه هذا الذهول ، فيما تعجب الجميع من اطالة يحيي التحديق
بهم مذهولا ، و ظنوا أنه أصابه مكروه من أثر الصدمه ، بادر
رئيس التحرير بالكلام قائلا : " أظن أنه علي الذهاب الآن .. انا
سعيد للغاية لأطمئنانني على سلامتكم يا يحيي .. و أسأل الله

أرض جوش

الفدير أن يتم شفائك على خير" ، رفع يحيي يده مشيرا لرئيس التحرير و قال : " أستاذ ممدوح من فضلك لحظة ... ماذا عن المؤتمر الصحفي الذي يفترض أنه سيعقد صباح هذا اليوم؟ كيف قمتم باستدراك الموقف؟ و هل تمكنتم من حضور المؤتمر اليوم؟ " ، أجابه أستاذ ممدوح قائلا: " يحيي .. لا تفكر كثيرا ... سوق ينعقد المؤتمر بعد لحظات .. و كل شئ جري حسب الترتيب له .. لكن لا أريدك أن تفكر في مجريات الأمور بالعمل الآن .. المهم ان تستريح حتى تتمكن من العودة الي العمل في أقرب وقت ممكن .. نحن جميعا في انتظار عودتك على أحر من الجمر .. بعد أذن الجميع .. " ، و بينما رئيس التحرير يستأذن للمغادرة ، اقتربت عادة من يحيي ، و امسكت بهاتفها ، ثم قامت بتشغيل فيديو مباشر على اليوتيوب ، و قالت ليحيي و هي تديه الفيديو : " انظر يا يحيي .. المؤتمر الصحفي ينعقد الان في بث مباشر على اليوتيوب !! " ، استمع يحيي منصتا الى خطاب الرئيس المصري الذي أكد فيه التوصل الى اعلان اتفاق المبادئ العامة بين دول حوض النيل الثلاث ، ثم انتهى اللقاء بعد ان امسك الرؤساء الثلاث بأيدي بعضهم البعض ، في اشارة

أرض جوتش

الى تحالف قوي وثيق وطيد ، و بدا على هذا اللقاء التاريخي انه انتهاء للازمة الناشئة بين دول حوض النيل ، و بداية النهاية لهذا الخلاف المحتدم ، عقب عادل على هذا الفيديو قائلاً: " الكنير من بنود هذا الاتفاق تبدو مبهمّة و غير واضحة .. و من الواضح ان مصر قد أقرت بحق اثيوبيا في بناء السد .. و تنازّت عن حقها في الدفاع عن أمنها المائي .. و هذا الاتفاق بمثابة إطلاق إشارة البدء في اعمال بناء و تشييد هذا السد العملاق .. اخشى ان تكون مصر رضخت لضغوط اثيوبيا .. و غضت الطرف عن المحاولات الخبيثة لنهديد أمن البلاد المائي .. نحن نعرض لخطر قومي وشيك .. و ربما سوف نكون على أعتاب ففر مائي و قحط شديد بنهاية العام 2020 عندما يبدأ العمل على ملأ خزن السد .. و هذا الاتفاق ابدال لن يكون الحل في انتهاء الازمة .. " .

و بينما عادة تقلب في فيديوهات اليوتيوب ، ظهر لها بث مباشر جديد ، كان فيه الرئيس المصري يتحدث الى أحد الصحفيين ، فأسرعت تقول: " انظروا يا جماعة .. الصحفيون يسألون الرئيس عقب الانتهاء من المؤتمر " ، انتزع يحيي الهاتف من يد غادة ، و صاح قائلاً: " عادل .. انظر !! أليس هذا هو زميلنا مهاب ؟ " ،

أرض جوش

ألقي عادل نظرة على الفيديو ، فوجده بالفعل زميلهم في الجريدة مهاب ، و هو صحفي معد بالجريدة ، و مبتدئ حيث لم يعض على عمله بالجريدة وقت طويل ، كان يحيي قد اختاره للسفر معه ، لمساعدته في كتابة التقارير ، و الاعداد للقائات الصحفية مع بعض المسئولين ، ثم رفعت عادة صوت ميكروفون الهاتف ، و انصتوا جميعا لحديث الرئيس المصري الذي قال : **" كونوا مطمئنين تماما .. في اثيوبيا في السودان في مصر .. لقد اتفقنا ليس هناك ضرر على احد .. مصالحتنا جميعا مشركة .. و نحن ننكلم كدولة واحدة "** ، ثم وجه مهاب سؤالاً الى الرئيس المصري قائلاً : **" سيادة الرئيس !! هل يعني ذلك أن الازمة قد انتهت ؟! "** ، ضحك الرئيس المصري في عدم إكتراث ، و أجاب قائلاً : **" ليس هناك ازمة أصلا .. مبروك "** و توقف البث ...

وضع طارق يده على كتف زوجته ، و قال : **" أعتقد ان وقت الزيارة المسموح به قد شارف على الأنهاء و علينا المغادرة "** ، عقب عادل قائلاً : **" نعم .. يحيي علينا المغادرة الان و سأعود لزيارتك مساء .. لا تقلق !! "** ، قال يحيي في ضجر : **" أنا لا يمكنني البقاء هنا .. أرغب في الرحيل و استكمال علاجي في منزلي "** ،

أرض جوش

عقبت عادة على كلامه قائلة: " انت لا يمكنك المغادرة اليوم يا يحيي .. لم تكمل علاجك بعد .. و لن تقدر على السير على قدمك بشكل سليم .. عليك الانتظار يومين أو حسبما يخبرنا الطبيب المشرف على حالتك .. لا تكن هكذا كالأطفال المدللين .. أعطني بنفسك جيذا .. و سوف نكون بجانبك دائما.. ستكون الأمور على ما يرام " .

بدا على يحيي الاستسلام للأمر ، ثم التفت الى عادل مخاطبا أياه : " عادل من فضلك أرغب في النحدث اليك بمفردنا " ، تدخلت عادة على الفور ، و أسرعرت بمخاطبة الحاضرين جميعا قائلة : " هيا .. دعونا ننتظر بالخارج حتي ينهي عادل و نرحل سويا " ، فخرج الجميع من الغرفة ، و بقي عادل مع يحيي ، سحب عادل كرسي ، و جلس لجواره ، و بدا عليه الفضول لمعرفة ما الأمر الذي رغب يحيي في التحدث بشانه منفردا معه ، قال يحيي دون أن ينتظر : "عادل .. أنت آخر شخص تحدثت اليه قبل المجئ الى هنا؟؟ أنني أتذكر ذلك جيذا .. حديثا في ذاكرتي كأنه حدث منذ ساعه .. عادل أرجوك استمع لي و انصت جيذا لما أقوله .. أنا لا أتذكر كيف وقع الحادث بل حتى أنني لا اتذكر السيارة الأجرة

أرض جوش

التي تعرضت للحادث ولا حتى سائفها الذي أصيب معي .. ،
قاطع عادل بهدوء قائلا: " هذا أمر طبيعي يا صديقي .. الحادث
أصابك بنزيف على المخ .. وهذا على الأرجح قد تسبب بمشاكل
لك في الذاكرة و مراكز الأدرالك والأذنن لديك .. لكنك سوف
تنمائن للشفاء سريعا " ، قاطعه يحيي قائلا: " عادل أنا لم أفقد
الذاكرة .. انا اذكرك جيدا آخر ما رأيت قبل الحادث .. عادل ما
سوف أقصه عليك الآن ربما يكون دربا من الجنون .. هل
أصابني الجنون حقا يا عادل .. أخبرني يا صديقي !! " ، زرفت عين
يحيي بعض الدمع ، فيما بدا عليه أنه سيجهش بالبكاء ، فاندفع
عادل متعجبا: " جنون ؟ .. لما تقول هذا الكلام السخيف؟! ..
ليس هنالك ما يستدعي هذا الهراء " ، أوما يحيي برأسه تعبيرا
عن الضجر و قال: " عادل .. اسمعني .. هناك خطب ما .. ربما
سوف تستدعيني الشرطة في أي وقت " ، قال عادل قاطعا كلامه
: " الشرطة؟! .. لماذا؟ .. هل قمت بعمل إجرامي دون ان تخبر
أحد؟ " ، أنفجر يحيي بالبكاء و قال: " لا .. أقسم لك لست أنا
.. وأعرف من القاتل .. " .

أرض جوش

تفاجأ عادل لسماع هذا الكلام العجيب من يحيي ، و قال : " يحيي .. أرجوك أهدأ .. أنا لا أفهم منك أي شئ .. اخبرني بهدوء ماذا تفصد ؟ " ، أجابه يحيي قاصا عليه ما حدث : " بعد ان أغلقت معك الاتصال .. هممت باخراج الحقائق من المنزل .. ففنتح باب المنزل على مصراعيه .. ثم تذكرت أنني نسيت حقيقتي الصغيرة النبي احمل فيها أوراقى الشتوية على كرسي بشرقة المنزل .. فنركت باب المنزل مفتحاً وأسرعت بالولوج لداخل البيت لجلب الحقيبه .. لكنني عندما عدت وجدت جثة ملفوفة بقماش أبيض يشبه الكفن ملفاة امام باب منزلي بينما لم تكن موجودة أول ما فنتح باب المنزل .. لقد رأيته رأي العين .. " ، عقب عادل على كلام يحيي مستهجنا: " يحيي ما تقول دربا من العبث .. انك تهزي نبيجه المهدأ الذي اخذته .. أو ربما كانت مجرد: هواجس بصرية أصابتك مؤخرًا نبيجه للقلق و النوتر المبالغ فيه الذي حظنه عليك في الفتره الأخيرة .. ما تقوله غير معقول ولا يجب عليك التفكير فيه لأن ذلك سيرهقك و سيزيد حالنك سوءا .. أنت تعاني من اضطراب نفسي مؤقت و سوف تكون بخير عما قريب " ، رد يحيي قائلا: " أقسم لك أنني

أرض جوش

لا أهذي و أن كل ما أقوله ليس الا واقع رأيته بعيني و ليست احلام يقظه و انني أعي جيدا ما أقول " ، فقال عادل و قد أمسك بكتف يحيي قائلا له : " هذا ليس الوقت المناسب لمثل ذلك الحديث و ان كان حقاً ما تقول .. فمن المفترض ان احد الجيران سيجد تلك الجثة ويتصل بالشرطه فوراً ، و عليه فان الشرطه سوف تستدعيك أو تأتي الي المستشفى للتحقيق معك .. أما و ان لم يحدث ذلك و لن يحدث فأعلم ان ما تمر به مؤخراً ليس الا هواجس و كوابيس نتيجه للضغط النفسي والبدني في العمل .. لذا فما عليك الآن فعله هو الهدوء والاسترخاء النوم .. لا تفكر كثيراً ولا تجعل أعصابك مشدودة دائماً بكثرة التفكير .. ولا تقلق سأعود اليك مساءً .. و غدا ستكون الأمور في احسن حال .. و ستعود الى منزلك في أقرب وقت" ، نهض عادل من مقعده ، و ربط مجددا على كتف يحيي قائلا : " لا بد ان تعلم انك اهم صحفي عندنا بالجريدة .. لذا يجب عليك ألا تطيل غيابك عن العمل " ، ثم ألقى عليه تحية الوداع و غادر على الفور .



المشهد الرابع (في المعبد)

في سرداب ضيق للغاية ، بالكاد يستطيع المرء السير بداخله ، و تحت تأثير ضوء خافت ضعيف ، يحتد مع التقدم نحو الامام ، ينبعث ضوءه من نهاية الممر ، يبدو كشمعدان كبير متألق تتلأأ شمعاته كالنجوم ، كان يحيي يخترق ذلك الممر الضيق ، ماضيا في طريقه نحو الامام حيث مصدر الضوء ، سالكا ذلك السرداب الذي يضيق عليه كلما تقدم أكثر للامام ، مخترقا العباب الكثيف الذي خلفه ذلك الضوء الخافت الصادر من مكان بعيد ، جعله

أرض جوتش

ذلك العباب يشعر و كأنه داخل نفق ضيق لا نهاية له ، استمر يحيي في الماضي قدما في ذلك النفق المخيف ، و قلبه ينتفض في صدره بقوة بالغة ، حتى أنه لم يكد يسمع أي أصوات سوى صوت أنفاسه و دقات قلبه المتسارعة ، و في اثناء ذلك استمر يحيي في الماضي قدما داخل ذلك الممر الضيق الذي لا يعرف مكانه ، و لا يعرف كيف دخله ، كان العرق يتصبب بكثافة فوق جبينه ، ثم انطفئ الضوء الصادر من مكان بعيد لوهلة قصيرة ، لكنه عاد مجددا ، ثم عاود الكرة من جديد ، حتى أضحى يضىء و يسرج عدة مرات في الثانيه الواحدة ، و في كل مرة يصاحب ذلك سماع اصوات مخيفة لخفافيش تطير فوق رأسه دون أن يشعر بحركتها فعليا ، و صدرت أيضا أصوات بوم قوية مدوية ، ما أرغمه على وضع أصبعه في أذنيه ليتفادى تلك الاصوات المخيفة.

قطع يحيي مسافة كبيرة داخل ذلك النفق ، دون أي جدوى لأيجاد مخرج قريب ، كان يبدو انه كلما ركض أكثر للامام اشتد الضوء و اقترب مصدره ، لكنه لا يعلم متى سينتهي من ذلك العذاب ، و متى سيصل لنهايته ليجد المخرج ، اخذ يحيي

أرض جوش

بالركض رأسا في حث و لهث ، في اتجاه الضوء المنبعث من بعيد ، لعله يرشده الي باب الخروج الكبير ، الذي ينهي تلك المعاناة ، و يخرج من ذلك الجحيم المتصل بلا انقطاع ، و بينما كان يحيي يخترق الشعاع البعيد راكضا نحوه ، سمع صوتا يناديه من بعيد ، بدا انه صوتا لإمرأة ، و كان حانيا جدا كأنه يهمس في أذنيه ، لكن صداه كان قويا و مدويا ، أسرع يحيي بالرد عليها صارخا: " ساعديني !! .. ساعديني أرجوكي !! .. أين اني؟! .. اخرجيني من هنا أرجوكي .. ساعديني !! " ، عاد الصوت من جديد مدويا بنبرة أقوى و أشد قائلا: " يحيي .. يحيي .. تعال .. انا هنا .. أسرع .. انت تقرب! " ، ثم توقف الصوت دقيقة ، ثم عاد أقوى قائلا: " يحيي .. يحيي .. اقرب .. اركض سريعا .. انت تقرب .. تقرب .. انا هنا .. تعال " ، ثم توقف ذلك الصوت تماما ، فصرخ يحيي بصوت ناحب متحشرج: " أرجوكي ساعديني سأموت .. أرجوكي! " ، ظل يحيي يصرخ باكيا طالبا المساعدة ، حتى وجد نفسه فجأة امام باب حديدي ضخمة ، يتدلي فوقه سراج منير ، كان ذلك الباب موصدا بخمسة من الأقفال الضخمة ، و كانت تلك الاقفال الضخمة تحمل بداخلها مفاتيحها

أرض جوش

، فطفق يفتح كل قفل على حده ، حتى انتهى ، و حينها اندفع الباب بقوة الي الورا ، فاذا به ينفتح على صرح كبير شاهق بلا سقف ، ممتلئ بالكثير من العمدان الضخمة الشاهقة الارتفاع ، تكاد عمدانه ان تلامس السماء ، بدا ذلك الصرح الضخم و كأنه معلق في السماء ، كان ممتد و شاسع لدرجة أن البصر لا يبلغ منتهاه ، لم يكن هذا المكان محتشد بالبشر ، بل رأى عدة اشخاص يسرون فيه على مهل خافضين رؤوسهم في الارض ، كما رأى هناك مجموعات من البشر تتجمع في اماكن شتى .

كان هناك جمعا من الناس يحتشدون امام حائط كبير ، يلبسون على رؤوسهم قلنصوة مطرزة بالذهب ، تبدو خلالها رؤوسهم و كأنها تلمع ، يتدلى منها صفائر شعر طويلة جدا تلامس الارض ، و قد تزينوا على صدورهم بسلاسل ذهبية ضخمة براقه تشع نورا ، كانوا يرتدون سراويل سوداء طويلة من الحرير الخالص ، لها ذيول طويلة جدا ، تغطي الارض خلف ظهورهم ، و تنجر ورائهم كلما تحركوا ، كانوا يتمتمون بصلوات ، و يحركون رؤوسهم الي الاسفل بسرعات متفاوتة ، و هم يقرأون من كتاب ضخم معلق في الهواء ، منفتح امامهم ، تجاوز طوله وعرضه عدة

أرض جوش

مترات ، كان يصدر عنه ضوءا شديدا كالشمس ، بينما كانوا من
شده نوره يبدون و كأنهم يشعون ضياءا ، كالبدر المضى ليله
تمامه ، تتلأأ في ضيائه سراويلهم السوداء المنسدله من
أجسادهم .

و بينما كان يحيي يسير في ذلك المعبد الشاهق ، أخذ ينظر
حوله يمينا و يسارا ، و كأنه يستكشف أمرا خطيرا او خطبا عظيما
، كان يتفقد كل شئ من حوله بدقة متناهيه ، و في أثناء ذلك
رأى يحيي تماثيل شتى ، و أصنام كبيرة بعدها لحيوانات و
بعضها الآخر لبشر أو رؤوس شياطين ، كانت منحوتة ببراعه و
دقة عالية ، كانت تلك التماثيل الضخمة تشبه الى حد ما
المنحوتات العظيمة لقدماء المصريين في معبد الكرنك بالأقصر
، وجد عندها رجل قوي البنيان ، عريض الكتف ، أبيض البشرة
بصفرة شديدة ، حليق الشعر ، يرتدي لباسا كلباس الرهبان ،
لونه أبيض ناصع ، و قد التف حوله ثلة من المتجمهرين ،
ينصتون اليه بينما كان ذلك الرجل يخطب فيهم ، لقد كانوا
يلتفون حوله في حلقة دائرية ، مشدودين لحديثه ، منتبهين
لكلامه أشد انتباه ، و كان من الواضح ان ذلك الرجل ذو شأن

أرض جوش

عظيم بينهم ، لكن فيما كان يخطب فيهم ذلك الرجل؟ ، لم يتسن ليحيي ان يقترب منهم ليسمع بشكل أوضح ، في الوقت الذي كان صوت ذلك الكاهن منخفضا للغاية ، لكنه كان يقوم بالتلويح بيده في اتجاهات عدة ، يظن الشاهد أنه يصرخ فيهم ، او أنه يخطب فيهم بانفعال شديد ، او ربما يحذرهم من أمر ما ، كما كان البعض يرفعون ايديهم فيما يبدو عليهم الاعتراض من امر ما ، و كان آخرون يتهامسون فيما بينهم ، بينما راح أغلبهم ينصت لهذا الكاهن في امعان شديد ، مجلون ذلك الكاهن إجلا لا ، موقنون بصدق خطابه يقينا خالصا لا لبس فيه .

استمر يحيي في التجول بين جنبات هذا المعبد الضخم ، حتى رأي هنالك عددا كبيرا من المسلمين يسجدون ، و قد عرفهم من تحية صلاتهم ، و هم يكبرون ، كان عددهم كبيرا للغاية لكنهم كانوا يصلون بلا امام يؤمهم ، كيف ذلك؟ .. كيف لهم أن يصلوا جماعة بلا امام؟ .. يسجدون و يركعون معا في وقت واحد بانتظام شديد لكن بلا امام لهم .. كان امرهم عجيبا حقا ، و على مقربة منهم رأي يحيي عدة اشخاص متجمعين بين عمودين شاهقين ، تعلوهما لوحه معلقه في الهواء للمسيح بن مريم ،

أرض جوش

كانت تلك اللوحة الفنية شديدة البهاء و الجمال ، تحمل تفاصيل دقيقة لملامح المسيح و أمه ، و قد رسمت في غاية البراعة والتصوير والاتقان ، لقد كانت لوحه جميلة ملفتة للغاية ، تجبر كل من وقعت عينه عليها أن يحدق فيها مليا ، و يتأمل جمالها وبهائها و ألوانها المتناسقة المتناغمة و المنقوشة بدقة عالية ، كانت تلمع و كأنما انسكب عليها الذهب الخالص ، كما كان اطارها مصنوع من الذهب الذهب الصافي الذي يسحر العين ، كان يتجمع بين هذين العمودين الشاهقين عددا محدودا من الناس ، يؤدون صلاة خاصة بهم ، و قد وقف كبيرهم امامهم ، يحمل في احدى يديه شمعدان مضئ ، به عدة شمعات ناصعة البياض تتوهج كالثلج ، و في اليد الاخرى حمل صليبا ذهبيا ثقيل ، يدفع به الى الامام ، و يحركه في حركات منتظمة وثابته ، و كأنه يرسم صليبا في الهواء .

لكن في آخر ذلك الصرح الكبير ، في مكان منزوي و بعيد ، رأي جمهور كبير من الناس ، يجلسون على كراسي بلاستيكية امام فرقة موسيقية ، تعزف لهم بعض المقطوعات الموسيقية المؤثرة فيما يبدو ، كان حفل هادئ لا صخب فيه ، لدرجة انهم

أرض جوش

جميعا كان يبدو عليهم النوم ، و كأنما اصابتهم غفوة طويلة تحت تأثير هذه الموسيقى الرائعة ، كان يحيي يعرف تلك الموسيقى ، كانت تلك الموسيقى تسمى بموجات ألفا النقية عالية التردد ، و هي موسيقى هادئة ذات خواص إبداعية عالية ، و التي تسكن الروح ، و تصفي الذهن ، و تنشط العقل ، كان يستخدمها يحيي احيانا عندما يعاني من الارق ، راح الجميع في نوم هادئ و هانئ ، لا يعكر صفوه و جماله أي شئ ، جلس يحيي الى جوارهم ، و نظر حوله ، فوجد الجميع يغط في نوم عميق ، مطبقي الجفون ، مائلين برؤوسهم الى الاسفل ، فيما بدا عليهم أنهم في سبات عميق ، جلس يحيي يستمع الى تلك الموسيقى الرائعة التي يحبها كثيرا ، ناظرا امامه في صمت مطبق ، باسطا كفيه فوق ركبتيه ، منحنيا برأسه قليلا الى الاسفل ، غامضا عينيه ، و راح يرخي جسده المثقل بالوجع ، شعر يحيي براحة في بدنه ، و أحس ان جسده صار مرخيا تماما ، و ان روحه تتسرب من جسده بخفة و وداعة ، لتتحرر من أسر ذلك الجسد اللعين ، و تنطلق الى الملكوت الشاسع ، بينما جسده ظل قابعا على المقعد البلاستيكي في سكينه تامة ، عندها سمع يحيي ذلك الصوت

أرض جوتش

العذب الذي كان يناديه في النفق البعيد ، عاد مجددا لينادي
عليه بلطف وحنان ، هامسا في اذنيه بسلام ، قائلا : " يحيي ..
يحيي .. يحيي .. هيا يا يحيي ... هيا !! " .



المشهد الخامس (في المنزل)

ظلت غادة تنادي على يحيي لمدة طويلة دون اي استجابة ، كان يحيي يغص في نوم عميق ، لم يكن يستطيع الاستفاقة من نومه على أية اصوات محيطته به ، فأسرعت غادة الى غرفة نومه ، و طرقت باب غرفته عدة مرات ، كان الباب مواربا قليلا ، انبعث داخلها قلق شديد على أخيها ، فدفعت الباب ببطء بيدها ، حتى انفتح على مصراعيه ، اقتربت من سرير يحيي كثيرا ، فوجدته نائما على ظهره ، مائلا برأسه قليلا ناحية اليسار ، و قد سقط غطائه الذي يلتحف به على الارض ، عاودت غادة النداء عليه ،

أرض جوش

بينما اقتربت منه ، و مسحت بيدها على جبينه ، لكن دون جدوى ، امسكت غادة بيد أخيها لتفصح نبضه ، الذي بدا طبيعيا ، فطفقت توكزه في كتفه بشدة حتى يفيق ، و همست في أذنيه :
يحييي .. يحييي .. يحييي .. هيا يا يحييي .. هيا انهض .. لقد أحضرت لك الطعام " .

انتبه يحييي أخيرا لنداء أخته ، و فتح عينيه ، لكنه فزع فزعا شديدا ، و صرخ بصوت عال : **" أين أنا ؟ .. "** ، و ظل يحييي يكرر ذلك السؤال بهستيريا شديدة ، حتى هدأ ، بعدما أسرعت غادة بإحضار كوب ماء له ، حيث أدركت أنه كان يحلم حلما ثقيلًا ، و عندما هدأ يحييي ، و أدرك انه على فراشه بمنزله ، و أنه غادر المستشفى .

غاده : **" أخي .. هل انت أفضل الآن ؟ "** .
يحييي : **" الحمد لله انا بخير .. أفضل من السابق .. لكنني مازت أشعر بألم رهيب في ساقى ، كما ان يدي ثقيله لا أقوى على تحريكها ، أشعر بالضعف العام و الهذال ، أرغب في النهوض لكن لا أستطيع ، اريد أن اتحرك ، لقد ضقت ذرعا بمكوثي على فراش المرض "** .

أرض جوش

غادة : " انها مسألة وقت ، و ستقدر على الحركة .. و تعود الى طبيعتك .. عليك بالصبر و الغذاء السليم الصحي حتى تستعيد عافيتك .. فانت تحتاج الى الطعام الجيد كما اوصي الطبيب .. لانك قد نزلت بغزارة .. ولن يعيد دمك سوى التغذية السليمة " ، توقفت غادة فجأة عن الكلام ، ثم صكت وجهها صائحه : " الطبيب .. الطبيب بالخارج .. يجلس مع عادل .. لقد تركنهم دون مضايقة .. سأذهب الآن لعمل عصير ليمون للضيوف ثم أعود لك لإحضار الطبيب للكشف عليك " .

في صالة الضيافة كان يتحدث الطبيب مع عادل عن حالة يحيي ، و كيفية تماثله للشفاء ، حاول الطبيب طمئنة عادل على وضع صديقه الصحي ، لكن عادل عبر للطبيب عن عدة مخاوف و هواجس تتعلق بيحيي ، حيث أخبره ان يحيي يتعرض مؤخرا و قبل الحادث الى كوابيس مرعبه مستمرة ، و قص عليه رؤيه يحيي لجثة ملفوفة بكفن امام عتبه داره قبيل الحادث بدقائق ، في الوقت الذي أقسم فيه يحيي له انه كان يقظ ، و انه يدرك تماما لما رأى في تلك الليلة العصبية ، استمع الطبيب لكلام عادل في انصات شديد ، لكنه و بهدوء حكم على ما سمع أنه

أرض جوش

نوعا من الهواجس البصريه والسمعية الحادة الناتجة عن الحادث ، و الاصابه الشديدة التي تعرض لها دماغه ، بالإضافة الى ان النزيف الحاد في المخ الذي حدث له ضغط على بعض مراكز الادراك والحس لديه ، ما تسبب في فقدانه للوعي لبعض الوقت ، و قد أثر ايضا على ذاكرته و لكن بشكل طفيف ، و اكد لعادل ان تلك الحلة لن تدوم طويلا ، و ستتلاشي تلك الاعراض تمام عندما يستكمل علاجه ، لكن عادل عاد ليكرر على مسامع الطبيب ان ما حكاه له يحيي لا يتعلق البتة بالحادث ، و ان تلك الاعراض سبقت الحادث بعدة ايام ، حتى ان رئيس التحرير عرض على يحيي الحصول على اجازته ، و اعفائه من السفر الى ذلك المؤتمر ، لكن يحيي رفض رفضا تاما ، و أصر على رغبته السفر و حضور المؤتمر الصحفي ، كما أكد عادل للطبيب ان ذاكرة يحيي لم تتأثر ، لكنه صار أكثر تشوشا عن السابق ، و ان ما يعانيه يحيي من هواجس و كوابيس لازمته عدة ايام قبل الحادث ، ظل الطبيب صامتا حتى انهى عادل كلامه ، و استعد للتعقيب على كلام عادل ، لكن عادة دخلت عليهم و هي تحمل كوبيين كبيرين من عصير الليمون ..

أرض جوش

- غادة: " هل تسببت في قطع حديثكما؟! "
- الطبيب: " لا على الاطلاق .. كنا ننحدث عن حالة يحيي المرضية .. و انه لا داعي للقلق المبالغ فيه .. فهو الآن في وضع أفضل و بحاله مستقرة ... و اليوم سوف اقوم بالكشف عليه مجددا " .
- عادل: " عادة .. من فضلك !! .. لدي سؤال يؤرقني للغاية منذ ذلك الحادث المروع الني تعرض له يحيي .. و هذا السؤال يدور في ذهني طويلا و يشغلني كثيرا "
- غادة: " و ماذا تنتظر ..؟ .. اسأل فوراً .. عسى ي اجيبك عليه ان استطعت ... و يستريح بالك !!! "
- عادل: " نعم اتمنى ذلك .. انني تعرفين كم هي متانة الصداقة و اواصر المحبة الني تجمع بيني و بين أخيكي .. و تعلمين ايضاً ان يحيي في مثابة اخي ولا احب رؤيته في مكروه ابدا " .
- غادة: " نعم بالطبع اعلم .. وأسأل الله لكما مزيداً من المحبة "
- عادل: " أحسنني .. انا اريدك ان تعودي بذاكرتك ما قبل الحادث بيوم .. او يومين على الارجح !! "
- غادة: " عادل من فضلك ادخل في الموضوع !! .. لا تقلقي !! .. ما الذي ترغب مني أن أتذكره ..؟! "

أرض جوش

عادل مستطردا: " قبل ذلك الحادث بيوم صباحا .. جاء يحيي الى العمل باكرا .. وتناولنا الفطور سويا .. فيما لم يمكث طويلا .. و اخبرني انه سينحادر العمل قبل الظهر .. و سيعود الى منزله ... لانه لديه عدة أمور يجب التحضير لها قبل الاستعداد للسفر كما اخبرني !! .. و اخبرني أيضا انه بصدد الذهاب الى صالون الحلاقة .. و بعدها سيعود الى المنزل لاعداد الطعام .. و الحصول على قسط كاف من النوم قبل السفر لانه كان يشعر بالاجهاد والارهاق الشديدين ، و لذلك فقد اكد علي ان أنصل به في تمام الساعة الثامنة مساء لإيقاظه .. حيث طائرته في الثانية صباح اليوم التالي "

غاده: " نعم .. لقد أخبرني يحيي أنه قابلك في الجريدة ذلك اليوم صباحا ، حينما جئت الى منزله برغفة زوجي طارق لتناول وجبه الغداء سويا .. و من ثم توديعه قبل سفره "

عادل: " هل لاحظني عليه في ذلك اليوم ايه أمور غير معتادة؟ " غادة: " لا .. اطلاقا .. بل كان طبيعيا للغاية .. مرح جدا و كثير المزح .. وكان يضحك معنا أغلب الوقت .. تحدثنا كثيرا على مائدة الطعام .. و كانت تبدو عليه علامات السعادة الغامرة ..

أرض جوش

حسبما قال بنفسه ان حضور ذلك المؤتمر الصحفي سوف يكون بمثابة اهم نجاح مهني في تاريخه حتى الآن .. و سيضع قدمه بثبات على سلم الترقيات .. و قد اعتبر يحيي ان تكليفه بهذه المهمة تعتبر في حد ذاتها نقلة مهنية في نوعية الأحداث التي يتقصاها "

قطع يحيي حديث غادة ، عندما سمعت صوته ينادي عليها من غرفته ، فأسرعت نحو أخيها لتلبية نداءه ، عم الصمت لبرهه ، حتى قطع عادل ذلك الصمت المجوف بتنهيدة عميقة ، ثم قال للطبيب مازحا اياه : " ألم يعجبك العصير؟! .. والله أحضر لك غير ، " ضحك الطبيب ضحكه رصينه هادئة ، ثم قال محفزا عادل و قد ضرب بيده على فخذه : " هيا بنا .. أدخلني اليه للكشف عليه .. لقد حان ميعاد عيادتي الخاصة ويجب ان انتهى بسرعه .. لا وقت كاف لدي .. هيا بنا !! "

نهض عادل و تقدم الى الامام نحو غرفة يحيي ، و أعقبه الطبيب ، حتى دخلا على يحيي فسلما عليه ، ألقى الطبيب السلام على يحيي بود ، و جلس الى جواره ، بينما ظل عادل و غاده واقفين ، أمسك الطبيب بيد يحيي و قال : " أراك أفضل اليوم .. لقد

أرض جوش

تحسنت كثيرا .. كانت حالتك سيئة للغاية في البداية عندما
جئت الى المستشفى .. فقد كنت في غيبوبة كاملة .. فأحمد
الله ان أنعم عليك بالسلامة"

يحيي: " الحمد لله .. كندر خيرك يا دكنور أخبرني من فضلك
كيف هي حالني الآن؟ .. وكم احتاج من الوقت حتى أتمكن من
العودة للعمل؟ " ، فأجابه الطبيب قائلا: " انا طبيب و لست
منجما .. لكن كل حال لن تحتاج كثيرا من الوقت باذن الله
.. دعني اولا أقيس ضغطك ، و اكشف عليك .. ثم أجيب على
كل اسئلتك "

غادة: " لا تنعجل الشفاء يا يحيي .. كل شئ بقدر و ميعاد
محدد .. و ليس علينا سوى الدعاء الى الله أن يعجل بالشفاء"
عادل: " غادة عندها حق .. ثم انك تماثلت فعلا للشفاء و
تحسنت حالتك الصحية بشكل ملحوظ حتى انك صرت تذهب
بمفرك دون مساعدة من احد الى دورة المياه "

يحيي: " لكنني اليوم اشعر بتعب شديد .. و لا استطيع تحريك
ساقني .. أحس بثقل شديد في ساقني و كأنها متصلبه متيبسه ..
حتى اصابع قدمي يا دكنور لا أقوى على تحريكهم ... "

أرض جوش

الطبيب: " هذا ربما يكون نتيجة البقاء فترة طويلة على الفراش
قد يتسبب في ضمور بسيط في العضلات وضعف للأعصاب .. لذا
ساكنب لك على هذه الحقنة الموقية للأعصاب .. و سوف تتمكن
من السير على قدميك في وقت قريب للغاية باذن الله "

عادل: " هل هذه حقنة وريدية يا دكتور؟ "

الطبيب: " لا .. بل حقنة عضلية .. لا داعي للمحلول الوريدي ..
فقط قدموا له حشاء الفراخ .. و شوربة الخضار و الفاكهه ويستمر
على هذا العلاج حتى تجدوا تحسن ملحوظ في حالته الصحية "
يحيي: " اشكرك كثيرا يا دكتور .. ان شاء الله عند تمانني
للشفاء النام سوف أعتي الي عيادتك لاشكرك بنفسي على
متابعتك لي و اهتمامك البالغ على حالتي و عدم تأخرك علي في
اي شئ "

الطبيب: " لا شكر على واجب .. زوج اخنك هو بن عمي .. اي
اننا نعتبر عائلة واحدة .. فلا داعي للشكر!! " ، و استأذن الطبيب
للمغادرة ، فأثنت غادة كثيرا على زيارته ، و اصطحبه عادل حتى
باب المنزل .

أرض جوش

عاد عادل الى الغرفة ، فطلب منه يحيي ان يساعده على الوقوف على قدميه ، لقد كان يحيي يرغب في المشي قليلا في المنزل ، او الجلوس بالخارج في صالة الضيافة ، لأنه ضجر كثيرا من البقاء مستلقيا على الفراش لمدة طويلة ، كما انه يرغب في استخدام حاسوبه الشخصي ، او مشاهدة التلفاز ، و تصفح الاخبار ، في البداية لم يحبذ عادل هذا الطلب ، لكنه و تحت ضغط يحيي و اصراره ، رضخ لمطالبه ، و امسك بيده ، بينما كانت عادة تمسك بالذراع الآخر ، محاولين رفع ظهره ، و انزال قدميه على الارض ، ثم رفعه وحيد مرة واحدة ، حيث امسك به من خصره ليتمكن من الوقوف على قدميه ، لكن يحيي بمجرد أن وطأت قدمه الارض لم يستطع ان يصلب طوله ، و كاد أن يسقط ، لولا ان عادة كانت تمسك به ايضا ، و بصعوبة بالغة حاول يحيي جاهدا ان يجر قدميه على الارض ببطء ، و ان يضغط علي اقدمه قليلا ، حتى تمكن- عادل و عادة - من اخراجه من الغرفة ، و الانتقال به الى الصالة الخارجية ، ثم اجلساه على أريكة كبيرة ، و وضعها وسادة كبيرة خلف رأسه ليسند رأسه عليها ، ثم جلسا - عادل و عادة - ليستريحا بعد هذا المجهود .

أرض جوش

غادة : " يحيي انت لا زنت لا تستطيع الضغط على قدميك بشكن طبيعي .. يحب عليك ألا تنحرك كثيرا حتى لا تسوء حالتك ... كنت اتمنى ان ابقى معك .. لكن يجب علي الذهاب بعد قليل ، للعودة الى ابنائي و زوجي .. ما نزل امامي مشوار طويل للعودة الى المنزل .. و اليوم كما تعلم هو يوم خميس وغدا عطلة .. لذا ستكون الشوارع مزدحمة في هذا النوقيت .. نظرا لخروج العديد من الناس للمنزل .. و المسافة من ميدان التحرير حتى مدينة نصر ربما ستأخذ وقتنا طويلا ... "

قاطعها عادل قائلا : " عادة انظري عشرة دقائق و سوف أعتي معك لأوصلك الى بيتك .. سيارتي معي .. لكنني سوف أعود مجددا للبقاء مع يحيي هذه الليلة .. " ، عارضته غادة بشدة على هذا المقترح ، و أصرت على الرفض ، و شكرت عادل كثيرا لزوقه المفرط ، و أكدت له انها سوف تستقل سيارة تاكسي ، و لا حازه لأن تحمله هذا العناء ، لكن عادل بدا مصمما علي عرضه ، و أصر على توصيلها للمنزل ، و أقسم عليها ألا تعترض عليه ، مزيلا كلامه بأنه مضطرا اساسا للنزول الى الشارع لمقابلة صديق له بينهما ميعاد مسبق ، و لكنه لن يطيل البقاء معه ، و سيعود الى

أرض جوش

يحيي مجددا دون تأخير، و عند ذلك بدا على عادة الاقتناع، و رحبت بتلك الفكرة، و شكرت عادل عليها كثيرا، و استعدا للرحيل، بينما كان يحيي في تلك الاثناء منشغل في حاسوبه الشخصي و لم ينتبه لحديثهما، حتى انتهى من الحديث، و اخبراه باستعدادهما للمغادرة، و ألقيا عليه تحية الوداع، و اتجها نحو الباب للمغادرة، عندها رن جرس الباب، فتعجبت عادة كثيرا، و سألت يحيي قائلة: " يحيي .. هل تننظر احد؟"، أسرع عادل نحو الباب و هو يقول: " ربما يكون احد اصدقائنا بالجريدة".

رجع عادل على عجل سائلا يحيي: " هناك سيدة بالخارج تسأل عليك و تريد ان تدخل!!"، اجاب يحيي متعجبا: " سيدة؟! .. من تكون؟! .. دعها تدخل"، ثم صاح يحيي من مجلسه قائلا: " تفضلي .. تفضني بالدخول!! .."، و ذهب عادل لاحضار المرأة التي ظلت واقفة على الباب، و عندما رآها يحيي صاح: " راشيل!! اهلا و سهلا .. تفضلي .. تفضني بالجلوس"، و حاول يحيي النهوض لمصافحتها، لكنه لم يستطع، فبادرت هي بالسلام عليه و هو جالس، و طلبت منه ان يبقى مستريحا، ثم جلست

أرض جوش

على الاريكه الصغيرة امامه ، بينما بقي عادل و غادة صامتين متعجبين ، حاول يحيي ان ينهي تعجبهما فقدمها لهما قائلاً: " **أود ان أعرضكما بجارتي و صديقتني راشيل !!** " ، فرحب كلا من غادة و عادل بالسيدة ، واستأذنا للمغادرة ، و انصرفا مشحونين بالحيرة من امر تلك المرأة التي تبدو اجنبيه .

يحيي : " راشيل !! كيف حالك؟ .. متى عدتي من أمريكا؟ " .
راشيل : " لو وصلت منذ ثلاثة ايام فقط .. أخبرني حارس العقار أنك أصبت في حادث على طريق المطار .. انذكر انك اخبرتني بموضوع سفرك الى السودان لتغطية احداث ابرام انفاق المبادئ العامة حول مشروع سد النهضة الاثيوبي .. أخبرني ماذا حدث معك ؟ " .

يحيي متنهدا : " كنت استقل سيارة أجرة عندما اصطدمت باخرى ملاكي و انقلبت رأسا على عقب ، كان ذلك خلال ذهابي للمطار استعدادا للسفر .. و بالطبع لم أتمكن من حضور المؤتمر الصحفي .. ضاعت علي اهم تغطية اخبارية في حياتي حتى الان " راشيل : " لا اظن ذلك .. انت صحفي قوي و ناجح و مثل تلك

أرض جوش

الظروف لن تفت في عزيمنتك ولن تنال منك .. بل يجب ان تزيد
ثقتك في أهمية عملك و اصرارك على النجاح رغم العقبات "
ابتسم يحيي حتى بانث نواجهه ، ثم قال : " هذا إطاء كبير منك
... لا انحملة ولا استحقه "

راشيل : " بل تستحق ولكن طبيعتك المتواضعة لا تميل لمثل
ذلك المديح البسيط " ، أجاب يحيي قائلا : " أشكرك على كل
حال يا صديقي .. فاينكي إن تنعتيني بالنواضع فهي بلا شك
صفة حميدة .. و ذلك من كرم اخلاقك " .

يذكر أن راشيل لا تتحدث العربية بطلاقة ، ذلك لأنها ولدت بولاية
بنسلفانيا في الولايات المتحدة الامريكه ، لأب مصري قبطي
مسيحي ارثوذكسي ، و أم امريكه بروتستانتينية ، بينما
قضت جل عمرها في امريكا ، و تخرجت من جامعة لويزيانا
الامريكية ، بعد ان اتمت دراسة علم المصريات ، كانت راشيل
- نظرا لأصولها المصريه و ملامحها الشرقية - مولعة بالحضارة
المصرية القديم أشد الولع ، و قد قررت الانتقال للعيش في مصر
، حتى يتسنى لها الانتهاء من رسالة الدكتوراة التي تقوم بها ،
حيث قامت جامعتها بإرسالها في بعثة تعليمية الى مصر لإتمام

أرض جوش

بحثها عن السند التاريخي لنبي التوراة يوسف ، و زمن وجوده في مصر ، و عمله في منصب كبير الوزراء و وزيرا للخزانة العامة للبلاد آنذاك ، و قد انضمت لفريق بحثي يضم عدد من علماء المصريات الاجانب ، و الذين يسعون لاثبات فرضية وجود قبر نبي التوراة يوسف مدفونا في مصر .

يحيي : " لا أعرف كيف يمكنني ضيافتك .. لكنني لستني ضيفة على كل حال .. تستطيعين ضيافة نفسك بنفسك بلا ادني شك " راشيل : " نعم أعلم و بالمصري ترغب ان تقول لي (البيت بيتك) .. " ، ثم ضحكت ، فضحك يحيي بصوت مرتفع ضحكة طويلة ، حتى قال مازحا : " صرتي تتمكنين من النقاط كنير من المصطلحات المصرية العامية .. هذا ملفت لانبااه .. ليس لانك تحملين جينات مصرية فحسب .. بل لأنك تحاولين ابراز شخصيتك المصرية أغلب الوقت طوال فترة مكوثك بمصر ، أكثر بكنير من شخصيتك الامريكية الني تكونت في امريكا ، و هذا في وجه نظري يعني ان حنينك الى وطن آبائك يتدفق بداخلك "

راشيل : " الأمر اعظم من ذلك يا يحيي .. الأمر ليس مجرد وطن

أرض جوش

الاجداد او اصول مصرية .. مصر ليست امرا يعنيني وحدي .. و
لست الوحيدة في ذلك العالم المتسع الذي تستهويه اسرار تلك
الحضارة العظيمة ، الضاربة بجزورها في اعماق التاريخ البشري
والانساني ، ان حضارة مصر واحدة من اهم واعظم الحضارات
القديمية الني يقف امامها العالم اجمع اجلا و توقيرا .. بل لا
يزال الكثير من العلماء عاجزين عن فك شفرات تلك الحضارة
العظيمه .. واكتشاف المزيد من اسرارها و الغازها .. مصر هي
بمثابة الأم لكل الحضارات القديمة .. كما أن النيل الذي يقطعها
طولا هو هبتها العظيمة الذي وهب لها تلك الحضارة الخالدة منذ
آلاف السنين كما ذكر ذلك المؤرخ الإغريقي هيرودت .. إنها
حضارة لا شك انها ما زالت تبهر الجميع حول العالم".

بدا على يحيي الاهتمام بكلام راشيل و الانصات الجيد له ، احترم
كلامها الذي يصتغ بالحب الدفين لحضارة هذا الشعب العريق
، ثم عقب على كلامها قائلة: " حقا .. حقا .. كلامك صحيح !! "
فقاطعته راشيل قائلة: " لقد احضرت لك بعض الهدايا من
أمريكا" ، فلمع وجه يحيي ، و قال: " هدايا .. كم احب المفاجئات
! .. لكنني على كل حال اشكرك كثيرا .. يكفي زيارتك هذه و

أرض جوش

سؤالك و اطمئنانك علي .. و يكفي انك عدتي الى وطنك الثاني
بسلام".

كانت راشيل خفيفة الظل ، دمسة الاخلاق ، فتاة سوداء الشعر ،
حنطية اللون ، بعيون سوداء براقعة لامعة و ساحرة ، و جسد
نحيف متناسق و فتان ، كانت امريكية الطباع شرقية الجمال ،
ذات شخصية قيادية قوية و مستقلة للغاية ، تحب دراستها و
تقدس عملها ، و تبذل قصاري جهدها لانجاز رسالة الدكتوراة
الهامة بالنسبة لها ، هذا بجانب عملها في القسم القنصلي
بالسفارة الامريكية بالقاهرة ، في ادارة الاستعلامات لخدمه
المواطنين الامريكيين المقيمين في مصر ، حيث تستقبل
استفساراتهم ، و تجيب على استلتهم ، و تنظر في شكواهم .

يحيي : " هل كان لديك عمل اليوم ؟ "
راشيل : " لا لم ابدأ عملي بعد منذ أن عدت الى القاهرة .. لكنني
سأعود للعمل يوم الإثنين القادم "
يحيي : " لكنني أعلم انك تذهبين للعمل يوم الاحد فهو ليس
عطلة رسمية في مصر بالطبع ؟ "
راشيل : " نعم لكنني لن اذهب هذا الأحد .. لدي مقابلة مؤجلة

أرض جوش

عدة مرات مع صديقة لي .. وقد حددت معها يوم السبت للقاء " يحيي : " يبدو عليه لقاء مهما نوعا ما " .

راشيل : " ليس بالأهمية الفصوى .. فهو ليس لقاء عمل على الاطلاق ، بل هو لقاء انساني بين اصدقاء قدامى لا اكثر " يحيي : " هل لي ان اعرف ما طبيعة هذا اللقاء ؟ " .

ضحكت راشيل وقالت : " نسيت انك صحفي .. بالطبع يمكنني اخبارك .. انها صديقة لي منذ الطفولة من اصول مصرية ايضا ..

تربينا سويا و كبرنا معا .. لكنها بعد تخرجها من الجامعة قررت ان تأتي الى مصر .. و تهب نفسها للرب .. و اعتزمت الرهبة .. و بالصدفة البحتة رأيتها في الفنصلية ذات يوم .. و تذكرنا بعضنا البعض ففد مر زمن طويل على آخر لقاء بيننا .. كانت صدفة رائعة حقا .. كنت سعيدة جدا لرأيتها في ذلك اليوم ثم تواعدنا بلقاء آخر " .

عاد يحيي ليسألها مجددا : " هل ستذهبين لمقابلتها في الكنيسة ؟ .. انا اعلم انك لا تحبين الذهاب الى الكنيسة !!! " .

راشيل : " لكنني سأذهب هذه المرة .. انها صديقة رائعة حقا ..

تقيم في مصر منذ سبعة اعوام .. و تعيش في دير سانت كاترين

أرض جوش

جنوب سيناء .. في بيت خاص بالراهبات .. و لقد اخبرتني انها
سعيدة جدا بإقامتها على أرض مصر .. و انها فخورة بقرارها الذي
انخذته .. كما أخبرتني أنها تمضي اوقاتا عظيمة في ذلك الدير
المقدس في المكان الذي كُلم الرب فيه موسى و انزل عليه
النوراة في صحف من السماء "

قال يحيي مندهشا: " دير سانت كاترين؟! .. ظننتها تقيم هنا
بالفاهرة في احد الاديرة الكبيرة .. هذا يعني بانك سوف تسافرين
اليها"

راشيل: " بالطبع سوف اسافر يوم السبت صباحا و اعود مساء
الأحد" ، صمت يحيي قليلا ثم انتبه مرة واحدة ، و قال: " راشيل
.. هل تعلمين اني ارغب منذ زمن في زيارة هذا المكان لرأع؟"
أسرعت راشيل معقبة: " و ما الذي يمنعك ؟ .. يمكننا الذهاب
سويا .. فالنسبة لي سوف استغل تلك الزيارة في بحثي الجديد
و من ناحية اخرى ستكون فرصة غاية في الجمال لاستكشاف
مصر عن كنب و الغوص في تراثها القديم و حضارتها الدينية و
النفاقية المتنوعة " .

أرض جوش

استطردت راشيل قائلة: " انظريا يحيي .. سأوضح لك !! .. انني مهتمة بعمل بحث تاريخي عن ارض الخروج الاعظم كما جاء ذكرها في التوراة .. عن مدينة قديمة تدعي (أفاريس) في ارض كان يطلق عليها (جاسان) او جوش بالإنجليزية تقع شمال شرقي مصر .. و تلك المدينة يرجح العلماء ان تؤدي اعمال الحفريات فيها الى اكتشاف مقبرة يوسف بن يعقوب التوراتي .. وهذا البحث قام به العديد من علماء المصريين من قبل لكنهم لم يتوصلوا الى اي اكتشاف جديد يدعم فرضيتهم بوجود قبر يوسف في ذلك المكان .. فهي المدينة التي استقر فيها يوسف عندما جاء الى مصر عبر قافلة كانت عائدة من بلاد الشام .. و هي المدينة التي عاش و تربي فيها و كذلك التي استقبل فيها أبيه يعقوب و اخوته بعدما صار كبير الوزراء في مصر آنذاك ، ولقد أرسل الى أهله و أمرهم بالهجرة الى مصر حيث سوف يتمتعوا فيها بالامن و السلام ..."

أردف يحيي قائلاً: " نعم و هو ايضاً ما نؤمن به نحن المسلمون .. و هي ذات الفصة النبي أخبرنا عنها الله في القرآن الكريم "

أرض جوش

قاطعته راشيل مؤكدة على كلامه: " نعم اعرف ذلك جيدا .. لكن ما يهمني من الناحية العلمية ان مثل هذا الاكتشاف سيكون عظيما للغاية في دعم الرواية الدينية لهذه القصة تاريخيا .. ان كانت الرواية النبي في القرآن او في العهد القديم .. و هو يثبت بما لا يدع مجال للشك ان يوسف و اهله من بني اسرائيل قد عاشوا بالفعل امدا طويلا يناهز القرنين من الزمان على ارض مصر بل و تمكنوا من الوصول الى مناصب قيادية هامة و بالغة الحساسية كانت قاصرة في ذلك الزمان على الفبط من اهل مصر ، قبل ان يخرجوا منها هاربين من العنصرية و الاضطهاد العرقي ضدهم في عهد موسى الذي بعثه الرب الى قومه لينقذهم من الكرب العظيم حيث امرهم بالخروج جماعة من مصر بعد ان اذن لهم ملك مصر بذلك .. و وعدهم موسى بالخلاص من هذا البلاء"

أراد يحيي ان يقاطعها ، لكنها أردفت قائلة بصوت هامس: "اعلم ما يجول في خاطرك و تريد ان تسألني فيه .. تريد ان تعرف كيف سأستغل زيارتي هذه - الي صديقتي الراهبة - في بحثي .. أليس كذلك؟" ، أجابها يحيي متعجبا من ذمء راشيل ، و قد غمرت

أرض جوش

وجهه ابتسامة عريضة ، فقال : " بلى .. لقد ارنرت فعلا طرح هذا السؤال عليكى !".

ضحكت راشيل بزهو و قد غمرتها مشاعر الفخر : " اسمعني .. صديقتي الراهبة تدعي (ليليان) و قد عرف عنها منذ الصغر شغفها بعلم ما وراء الطبيعه .. حيث كانت تمارس رياضة اليوجا و الاسترخاء الروحي و جلسات الصفاء الذهني و تجديد موجات ألفا الدماغية ، كانت فنانة رائعة للغاية .. حتى انني اذكر لها قصة مذهلة عندما كنا في الخامسة عشر من عمرنا .. في تلك الايام حدث لصديقتي لنا في المدرسة خطبا كبيرا .. حيث توفي والداها اثر حادث كبير مدوع .. دخلت الفنانة على اثر ذلك في حالة نفسية وعصبية بالغة .. و توقفت عن الذهاب للمدرسة .. ذات يوم جاءت ليليان و اخبرتني انها رأت صديقنا في المنام تصرخ طالبة المساعدة و كان صراخها يدوي في أذنها حتى بعد ما استيقظت من المنام .. كما رأنها تحاول قنل نفسها بالوقوف في منتصف طريق سريع ... "

كان يحيي يستمع اليها جيدا و قد امتلأ شغفا بمعرفة المزيد عن هذه القصة ، فأسرع معقبا : " أكملني !! " ، اردفت راشيل

أرض جوش

قائلة: " لم ننظر للصباح التالي .. و ذهبنا على الفور الى منزل تلك الفتاة حيث كانت تعيش مع جدتها .. و عندما سألنا عنها اخبرتنا جدتها انها انحرت ليلة أمس ذلك اليوم .. و قد كتبت رسالة تخبر فيها بنيتها في الانحار .. و بالفعل وجدوا جثتها على الطريق بعد ان اصطدمت بها سيارة على الطريق السريع في بلدتنا الصغيرة بولاية بنسلفانيا " .

اندهش يحيي كثيرا ، و بدا عليه علامات التعجب و الذهول ، فقال: " كم هذا عجيب حقا !! .. لقد تنبأت المستقبل .. و على حد علمي فان مثل تلك النعم لا يمن الله بها الا على اشخاص قليلين للغاية .. هم اشخاص نورانيون زهريون على درجه كبيرة من القرب و الاتصال بالذات الالهيه .. و على اتصال عظيم بالعوالم الخفية الاخرى .. هذا أمر عظيم !! .. يبدو ان صديقك ليليان يمكنها بالفعل النبأ لكي عن سر عظيم يقودك الى اكتشاف هائل .. يكون بمثابة الجائزة الكبرى لبحتك " ، فهزت راشيل رأسها بإيماءة خفيفة مؤكدة على كلام يحيي ، و قالت: " نعم .. ربما .. لما ؟ " ، ابتسم يحيي قائلاً: " على الرغم من ان ذلك يبدو مستبعدا او ربما صعبا للغاية .. الا انها تبدو فرصة

أرض جوش

عظيمه لزيارة دير سانت كاترين المقدس " .
راشيل: " افهم من ذلك انك ترغب في السفر معي الى الدير؟"
يحيي: " نعم بالطبع .. لكن كما ترين فاني مازلت لا استطيع
الحركة بشكل طبيعي .. و ربما لن اتمكن من السفر معي يوم
السبت المقبل "

راشيل: " لا بأس ستنمکن .. و ربما ستكون انت سببا جديدا
لنأجيل هذه الزيارة الى السبت الذي يليه .. عسى ان يكون آخر
تأجيل .. دعنا نؤجل هذا السفر الى الاسبوع بعد القادم ... حيث
هناك اجازة رسمية لمدة ثلاثة ايام للاحتفال بأعياد الفيامة و شم
النسيم !! "

ابتهجب اسارير يحيي كثيرا لهذا الكلام ، و شكر راشيل كثيرا على
ذلك الموقف الرائع ، ثم استأذنت راشيل في الانصراف .

المشهد السادس (في الدير)



كانت تسير على ارض صخرية قاسية ، لكنها كانت تشعر و كأنما
تبدلت الأرض من تحتها ، و تحولت الي قطعة سجاد زوالي من
الحرير الخالص الباكستاني الصنع ، شعرت و كأن قدميها قد
لامست الفراغ الكامن بين باطن قدميها و سطح الأرض ، ممتدة
للغاية يديها الى الامام ، حتى صارت ترتفع رويدا رويدا نحو
السماء ، و قد أسلمت راحتي كفيها نحو صفحة السماء ، ثم
اتسع الفراغ الكامن بين لوحتي زراعيها ، و انحنى ظهرها الخاشع

أرض جوش

المبتهل ببطء الى الامام ، و ببطء اكثر كلما ازداد الهواء ساكن الفراغ الكامن بين باطن قدميها و سطح الارض ، حتى اضحت ترتفع .. و ترتفع .. و تعلو بروحها وجسدها ، و كأنها صارت تقف على بساط الريح ، حتى انحنت كما الركوع ، و صارت تشعر و كأنها أخف من ريشة نعام ، او كملاك يسرح في الافق الاعلى .

" ربنا الذي في السماء .. أبانا و خالفنا و صانعنا من العدم .. حتى تعيدنا من العدم من جديد .. تقدس اسمك الذي في السماء و الارض .. و تبارك ملكوتك الذي علا كل الملوك .. انقذنا من الطاغوت .. و أعتق ارواحنا من أسره و سلطنه .. حرر قلوبنا من كيد سحره و مكره و دهائه .. و انزع عنه وجهه الكاهنوتي الخادع .. و لنكشف لي عن وجهه الطاغوتي المارء .. جئتك خاطية و معي قرباني اليك .. افندي به روحي النعسة ... فلننقبل يارب اضحيتي .. كما قبلتها من عبدك ابرام .. و ارني الشوفار .. ركز كبش الفداء .. فديتك العظيمة لروح ايزك البار الذي احبه والده .. و لنطعمني شرائح النفاح المقدس المغموس بالعسل .. و هذا خبزي .. كفافي و قوط يومي .. قد اطعمت به مسكيننا من ابنائك .. لنسقط عني كل الخطايا و الآثام .. و انول غفرانك ..

أرض جوش

فنعطني الاسباب كما اعطيتها لكاهنك الخادم الامين أنطونيوس .. و انعم عليا بفضل هباتك الني انعمت بها على عبدك البار انطونيوس .. فكنت تكشف له عن وجه الطاغوت اللعين الحاقد على الانسان بن آدم .. و كنت تفتح له عينه الثالثة .. و تربه من المستقبل ما تشاء .. و اعطيته من البركات والكرامات ما لم تعطي لغيره، ... أبي الذي في السماء أعطني عطاء بلا حدود .. و اجعلني من المقربين و الشهداء .. ارزقني شهادة القديسة العظيمة الملاك كاترين .. الني ضحت بحياتها من اجلك .. و من اجل اعلاء كلمتك .. و افدت الصليب بروحها و دمها .. و انزعي منزلة القديسين و الاربعين شهيد .. أبي الذي في السماء .. لننزل علينا رحمتك .. و بقدس اسمك المبارك .. اجب مسألني .. الني سألنها اياك .. و ابدا يوما ما ردت دعائي و لا خذلني "

و بينما كانت الراهبة ليليان تصلي في مقام النبي هارون - في منتصف طريق وادي الأربعين المؤدي الي جبل موسي- سمعت طرقا على باب الصومعة ، فأنتهت صلاتها على عجل ، و تقدمت نحو الباب لمعرفة من الطارق ، فتحت ليليان الباب فوجدت راشيل في وجهها ، كانت مفاجأة شديدة الروعة ، فتعانقا بحرارة

أرض جوش

، و رحبت ليليان بيحيي ، و كذلك بالمرشد البدوي الذي أوصلهم الى مكان اعتكافها الخاص ، فيما سلم يحيي على ليليان و هناها على عيد القيامة ، شكرته ليليان و ردت عليه التهئة ، ثم اغلقت ليليان باب الصومعة ، و اصطحبت يحيي و راشيل في جوله تاريخيه لجبل موسى و دير سانت كاترين .

ليليان : " صديقتي العزيزة .. مرحبا بكما في الوادي المقدس طوى .. كم هي غالية عليا كثيرا تلك الزيارة المفاجئة .. كيف كانت اذن رحلتكما الى هنا ؟ "

راشيل : " لقد كانت ممتعة للغاية .. اخذنا طائرة الى مطار شرم الشيخ الدولي .. و من ثم استقلينا سيارة اجرة حيث اوصلنا الى هنا مباشرة .. مناظر الجبال هنا تبدو كنوحة فنية مبهرة .. لقد كنت انوي المجئ قبل سفري الى الولايات المتحدة .. لكنني أجلنها حتى عودتي الى مصر .. و انتظرت حتى تمائل جاري و صديقتي الغالي يحيي للشفاء .. لنتمكن من المجئ سويا .. حيث رغب في القدوم معي ! "

يحيي : " انني اشكرك للغاية يا راشيل لحرصك على انظاري حتى اتمكن من السفر معك و زيارة هذا المكان المقدس .. " ،

أرض جوش

و بينما يحيي يتفقد منظر الجبال الشاهقة من حوله ، اذ لاحظ تلة صخرية امام مقام النبي هارون ، يبدو عليها كما لو تم نحت تمثال عجل عليها ، فأسرع متسائلا : " اود ان أسأل عن تلك النلة .. هل تلاحظون عليها نحتا في صورة عجل ؟ ! " .

أجابته ليليان قائلة : " انه عجل السامري !! .. فعندما عاد موسى من فوق الجبل ... الفى الواح النوراة الني تلقاها من الرب فوق قمة جبل موسى .. و غضب غضبا شديدا حينما وجد قومه يسجدون لصنم عجل صنعه لهم السامري من الذهب يصدر صوتا .. فقام بتحطيم هذا الصنم تحطيما .. ثم أخذ حفنة من الرمل و الفأها على الجبل ، فنشكنت صورة هذا الصنم على الصخر .. لنبقى شاهدة على فعلتهم الشنيعة تلك في حق الرب الذي أنفذهم من الظلم و خلصهم من العبودية " ، فقال يحيي : " نعم اعلم تلك الواقعة فقط ذكرت في القرآن ايضا ... كم هو عجيب حقا مدى توافق سير الأولين في القرآن و العهد القديم .. فعندما تنشابه الروايات يعني ذلك ان المصدر واحد وان الراوي الاعظم الذي اخبرنا عن تلك الفصص واحد في جميع الاديان " ، صدقت ليليان على كلام يحيي ، و أكملوا سيرهم في طريق وادي

أرض جوش

الاربعين ، متجهين نحو دير سانت كاترين ، و بينما هم في طريقهم ماضون اذ اوقفتهم ليليان فجأة ، وقالت : " هل يرغب أحدكما أن يتمنى أمنية فيحققها له الرب ؟ " ، فأجابها يحيي قائلا : " بالطبع .. لكن كيف ذلك ؟ " ، فأشارت ليليان الى صخرة ضخمة و قالت : " اذن ما عليك فعله هو ان تحمل حجر صغير و تفر به من فمك و تذكر الامنية التي تريدها سرا .. و تفوم بالفاءها على تلك الصخرة البعيدة .. فان وقعت عليها فاعلم ان الله قد استجاب لدعائك " ، انبهر يحيي كثيرا ، و بدأ بالتنفيذ ، ثم رمى الحجر رمية قوية ، فأسقطه فوق الصخرة مباشرة ، فأشار بيده بعلامة النصر ، ابتسمت راشيل ، و قالت مازحة : " اذن هل لنا ان نعرف ماذا كانت تلك الامنية ؟ " ، فضحكوا جميعا ، و تابعوا السير .

أخذت ليليان تصف لهم الطبيعة البيولوجية الخاصة بهذا الوادي المقدس ، فأخبرتهما عن تنوع الحياة البيولوجية ، فهناك العديد من انواع النباتات النادرة التي لا توجد في اي مكان اخر بالعالم ، مثل شجرة شاي الجبل التي لها فوائد طبية هائلة ، و شجرة الهنيدة التي تستخدم في علاج المغص الكلوي و التخلص من

أرض جوش

الاملاح الكلوية ، و نبات خص الجبل الذي يوجد بداخل احد الكهوف ، ثم اشارت لهما على كهف صغير بقلب احد الجبال الموجودة في المنطقة و استطرقت قائلة : " هذا الكهف يسمى بمغارة الغولة و هو الذي ينمو بداخله نبات خص الجبل .. و تحكي احد الاساطير البدوية ان طفلاً دخل الى ذلك الكهف ففابلنه الغولة و ارادت قنله .. فطلب منها قبل ان تفتله ان تلعب معه لعبة .. فسألنه ما هذه اللعبة .. فأخبرها ان تضع السكين تحت عنقه .. فإن قال لها استسلمت تركنه .. ثم يفعل هو كذلك .. حتى وضع الطفل السكين تحت عنقها فذبحها .. و يروي البدو تلك الفصة لأولادهم لنرهيبهم من الدخول الى ذلك الكهف " ، تعجبت راشيل من تلك الحكاية ، و قالت : " قصة مرعبة حقاً .. يبدو بها الطفل مأكراً .. لكن لما يريد البدو تخويف اولادهم من الدخول الى ذلك الكهف ؟ " ، أجابتها ليليان قائلة : " يكمن السر في ذلك الى ان هذا الكهف الضيق به ممر صغير شديد الضيق لا يستطيع الولوج بداخله الا طفلاً صغيراً .. و ذلك الممر الضيق العميق يتسع كلما اوغلت داخله .. حتى يصير نفقاً كبيراً يؤدي الى كهف كبير بداخل الجبل يحتوي على عيون ماء

أرض جوش

كبيرة تندفع من باطن الجبل .. وتجري هذه المياة الضحلة بين الصخور مشكنة وادي مغلق بداخل الجبل .. و لقد سمعت ان هذا الوادي المغلق به ممرات ضيقة تفود الى احدي الغرف المغلقة بداخل دير سانت كاترين .. لكنه خطير للغاية و لا يمكن لاحد ان يخاطر بالدخول اليه ... كما ان هناك ممرات اخرى ربما تفود الى انفاق عميقة اسفل تلك الجبال الشاهقة و تربط فيما بينها .. و ربما تؤدي الى ايضا الى باطن الارض او الى اماكن اخرى لا يعلمها احد .. " .

توقفت ليليان عن الحديث ، وسط ذهول كلا من يحيي و راشيل لما سمعاه عن ذلك الكهف ، و استمروا في السير ، ثم استطردت ليليان محدثة عن طبيعة الوادي البيولوجية ، و قالت : " كما يوجد هنا العديد من الحيوانات النادرة و المهددة بالانقراض مثل حيوان الوعل النوبي .. و حيوان الوبر الصخري المهدد بالانقراض .. و الفأر الشوكي " ، ثم اشارت لهما على احدى مكان مغطى بالصخور ، و قالت : " هذه مصيدة النمر .. الني يصنعها البدو للايقاع بالنمر الجبلية ... لكنها الان يسكنها بعض الفئران الشوكية الجبلية الني تنغذي على بعد الأبل .. كما تلاحظون

أرض جوش

يوجد هنا الكثير من بعد الابل ما يعني ان الفئران الجبلية قد حملنه الى ذلك المكان لنعيش عليه " ، و تابعوا جميعا السير ، و هم ينصتوت جيدا لكلام ليليان ، و يستكشفون ذلك الوادي المقدس المذهل بطبيعته الصحراوية الصخرية الساحرة ، و التي لا مثيل لها في اي مكان بالعالم ، و راق لراشيل تلك الطبيعه الهادئة ، و ذلك السكون الساحر الذي يخطف القلوب و الابصار ، و تمت لو ان تعيش في هذا المكان ، بعيدا عن الضوضاء و زحام المدن الصاخبة ، و طفقت تحددق في الجبال الشاهقه ، فلاحظتها ليليان ، فقالت لها : " تلك الجبال الشاهقة يقول الجيولوجيون ان عمرها حوالي 650 مليون سنة .. و قد كانت في بادئ الخليقة ارضاً مستوية .. حتى ارتفعت تلك الجبال نتيجه لحدوث خسف افريقي عظيم في كينيا تحديدا .. ادى ذلك الخسف الى فنح البحر الاحمر و خليجي السويس و العقبة ... و تشكلت تلك الجبال على اثر ذلك الخسف العظيم " .

يذكر أن دير سانت كاترين يقع في جنوب سيناء بمصر ، و يقال عنه انه أقدم دير بالعالم ، و يعد مزارا سياحيا كبيرا ، حيث تقصده افواج سياحية هائلة من جميع أنحاء العالم ، و هو

أرض جوش

معتزل ، يديره رئيس الدير و هو أسقف سيناء ، و الذي لا يتبع أي بطريك او مجمع مقدس ، و لكن تربطه علاقات وطيدة ببطريك القدس ، لذلك فان اسم بطريك القدس يذكر في القداسات ، على الرغم من ان الوصاية التاريخيه على الدير كانت لفترات طويلة للكنيسة الارثوذكسية الروسية ، و رهبان و كهنة الدير من اليونانيين و ليسوا عربا او مصريين ، شأنهم شأن كنيسة الروم الأرثوذكس في القدس ، التي يسيطر عليها اليونانيين من عهود طويلة ، و أسقف سيناء يدير الى جانب الدير الكنائس و المزارات المقدسة الموجودة في جنوب سيناء .

تابعوا جميعا السير ماضون في طريقهم نحو دير سانت كاترين ، حتى وصلوا الى باب الدير ، و هو المدخل الوحيد للدير ، كان باب الدير الصغير على ارتفاع 30 قدم ، و قد صمم لحماية الدير من الغرباء و الدخلاء ، طرقت ليليان باب الدير ، ففتح لها رمضان حارس الدير ، و ادخلتهما الى داخل الدير ، و عندما رأي يحيي الدير لأول مرة ، شعر بسكينه و راحة قلبية هائلة ، و قال ان ذلك المكان يشع طاقة نورانية ايجابية رائعة ، حتى ان المرء يشعر بدخله بالهدوء و صفاء الروح و السكينة ، و كأن لا شئ يشغل

أرض جوش

تفكيره ، و كأنما نسى جميع همومه و مشاغله ، و توجهت بهما ليليان الى غرفة الانبا استيفانوس اليوناني رئيس الدير و أسقف سيناء للسلام عليه ، و بعدها توجهوا جميعا برفقة الانبا استيفانوس اليوناني الي كنيسة الدير الكبرى و التي تسمى بكنيسة الاربعين شهيدا ، و دخلوا جميعا الى الكنيسة ، و للوهلة الاولى اخذ يحيي ينظر في جنبات الكنيسة العريقة ، و التي بنيت في عهد الامبراطور جستنيان ، الذي أمر ببناء ذلك الدير في القرن الخامس الميلادي ، تمجيدا لهذا المكان المقدس الذي تجلى فيه الرب الى النبي موسي ، بعدما انتشرت المسيحية في جميع انحاء العالم ، و صارت ديانة عالمية .

كانت الكنيسة الرائعة تتكون في داخلها من 12 عمودا صخريا ضخما ، و كان على عمود توجد أيقونة رائعة ، كانت تلك الايقونات تؤرخ للاربعين شهيدا الذين تم قطع اعناقهم لارتدادهم عن عبادة الاوثان ، كان هؤلاء الشهداء من جنود الامبراطور الوثني عم القديسة كاترين ، أرسلهم لها لأقناعها بالحياة الدنيوية ، بينما أقنعتهم هي بالحياة الربانية ، فاعتنقوا المسيحية ، فأمر الامبراطور بقطع رؤوسهم ، فيما تمكن الآخرون

أرض جوش

من الهروب الي هذا الدير ، و استقروا في ذلك المكان المقدس ،
و عندما بني هذا الدير في القرن الخامس الميلادي ، أمر
الامبراطور جستنيان بتخليد ذكراهم على اعمدة الدير ، تابع الانبا
استيفانوس كلامه قائلا : " لقد سمي هذا الدير بدير الفديسة
كاترين .. تخليدا لذكرى هذه الفديسة الشهيدة الني استشهدت
نتيجة التعذيب الوحشي ، كانت الفديسة كاترين من عائلة
ارستقراطية وثنية ، ولدت بالاسكندرية في 194 ميلاديا ، و كانت
تسمى بزوروسيا ، و كانت مثقفة و جميلة ، رغبها الكل لجمالها
، لكنها رفضت الجميع .. و آمنت بالمسيحية .. كان ذلك أثناء
اضهاد الامبراطور مكسيمينيوس لأتباع الديانة المسيحية آنذاك
.. و بعد مرور حوالي ثلاث قرون من وفاتها ظهرت رفاتها
المقدسة في حلم أحد رهبان الدير على قمة أعلى جبل بسيناء و
هو جبل كاترين .. حيث نقل ملكين عظيمين جثمانها الي هناك
، و عندما صعدوا الي هناك ، وجدوا رفاتها بالفعل ، فقاموا بنقل
رفاتها الي داخل الدير ، و وضعت في ذلك الهيكل الذي يسمى
قدس الاقداس ، و قاموا بتغيير اسم الدير ، الذي كان يسمى
بدير الفديسة هيلينا ثم سمي بدير العذراء مريم ، و اخيرا تم

أرض جوش

تسميته بدير سانت كاترين و تعني الفديسة الشهيدة كاترين ،
وأصبح يعرف بأسمها منذ القرن الحادي عشر حتى الآن "

كانت الكنيسة التاريخية تحتوي على هدايا قديمة من ملوك و
أمراء ، و هو بالفعل يمثل قطعة من الفن التاريخي المتعدد ،
فهناك الفسيفساء العربية ، و الأيقونات الروسية و اليونانية ، و
اللوحات الجدارية الزيتية ، و النقش على الشمع ، و غير ذلك من
الاثار ، كما يحتوي على أقدم مكتبة مخطوطات في العالم ، يقال
أنها ثاني أكبر مكتبة للمخطوطات بعد الفاتيكان من حيث
المساحة ، كما تحوي نزل للزوار ، و برج أثري مميز للأجراس ، و
يقوم على خدمة الدير بعض أفراد البدو .

خرج الزوار من كنيسة الاربعين شهيدا بعدما اطلعوا على جزء
من تاريخها العريق ، ثم توجهوا الى كنيسة اخرى صغيرة بداخل
الدير تسمى بكنيسة القديسة هيلينا ، بنيت هذه الكنيسة فوق
جذور شجرة العليقة المقدسة ، و عندما دخلوا الى تلك الكنيسة
، بادرت الراهبة ليليان بالحديث فقالت : " تلك هي كنيسة
الفديسة هيلينا و قد تم بناءها بجوار شجرة العليقة المقدسة و
الني يمكن رؤيتها من ذلك الشباك ... " ، ثم بدؤوا في الصلاة في

أرض جوش

الكنيسة ، عندها اخبرهم يحيي برغبته في الاستئذان للصلاة في جامع الدير ، خرج يحيي من الكنيسة الصغيرة و ذهب بمفرده الى المسجد الذي يقع بداخل الدير ، الذي بني بأمر أحد حكام مصر في العصر الفاطمي ، كان يحيي ممتلئاً بالكثير من المشاعر الفياضة ، فعندما تدخل الى ذلك المكان المقدس تشعر برغبتك في البكاء ، لتطهر روحك من دنس الحياة الدنيوية ، و تسمو بها الى الحياة الروحانية ، توضأ يحيي و صلي ركعتين داخل هذا المسجد الصغير ، و لما انتهى خرج من المسجد ، و عاد الى رفقته بداخل كنيسة القديسة هيلينا الصغيرة المجاورة لهذا المسجد ، لكنه وجدهم واقفين خارج الكنيسة الصغيرة ، امام شجرة العليقة المقدسة ، و هناك قال الانبا استيفانوس : " انها شجرة العليقة المقدسة .. النبي اشعلت ناراً دون ان تحترق .. لفرشد النبي موسى عن وجود نار في ذلك الوادي ... فذهب النبي موسى على أثر تلك النار ليأخذ منها قيس للندفنة ، فلما وصل الى هذه الشجرة ، ناجاه الرب و امره ان يخنع نعليه لأنه بالوادي المقدس طوى ، ثم امره الرب بالعودة الى مصر .. و الذهاب الى ملك مصر و يدعوه الى الله .. ليحرر بنى اسرائيل من العبودية

أرض جوش

و الذل .. و لقد حاول بعض العلماء زراعة تلك الشجرة في اماكن اخرى بالعالم لكنها لم تنبت ، ثم قام فريق آخر من العلماء بمحاولة زراعتها في مكان قريب من الدير لكن كانت المفاجأة أنها نبتت في صورة شجرة اخرى .. ما يدل على أنها من معجزات الرب النبي خص بها ذلك الوادي المقدس " .

تابع الزوار السير متفقدين ذلك المكان المقدس ، وسط صمت و ذهول يحيي و راشيل ، الذين بدا عليهما الشغف و الاهتمام بأمر ذلك المكان الضارب بجذوره في التاريخ ، حتى وصلوا جميعا الي بير موسى ، فقالت ليليان : " هذا هو بير موسى الذي أسقى منه موسى بنات النبي شعيب الذي كان يعيش في ذلك المكان .. و عندما علم النبي شعيب بأمره و توسم فيه الخير قرر تزويجه احدى بناته ... و لذلك عاش هنا النبي موسى اربعين سنة بعد هروبه من مصر .. حتى كلمه الله و أمره بالعودة لنحريه قومه " ، شعرت راشيل بعظمة هذا المكان المقدس ، الذي جمع الاديان الثلاثة في العالم في مكان واحد ، في صورة ترمز للوحدة و التقارب بين الاديان السماوية الثلاثة ، لو ان العالم بأجمعه اجتمع

أرض جوش

ليوحدوا بين الاديان ، ما استطاعوا ان يفعلوا كما فعل هذا الدير ،
الذي يحوي بداخله دعوة الاديان الثلاثة مجتمعة .

انزل يحيي الدلو الى داخل الدير ، كما فعل النبي موسى من
قبل ، ثم رفعه محملا بالماء ، و سقى الجميع منه ، ثم دعاهم
الانبا استيفانوس لتناول وجبة العشاء ، فذهبوا جميعا لتناول
العشاء سويا عشية عيد القيامة ، و عندما انتهوا اهداهم الانبا
استيفانيوس خاتم فضي يحمل اسم القديسة كاترين بمناسبة
العيد ترحيبا بهم ، و اخبرهم ان ذلك الخاتم سوف يحمل لهم
البركة ، ثم دعتهم ليليان لحضور قداس عيد القيامة ، و الاحتفال
بالعيد ، قبل الذهاب الى النوم للاستراحة ، و من ثم الاستعداد
في صبيحة يوم عيد القيامة المجيد لصعود جبل موسى قبل
شروق الشمس ، و وعدتهم بمفاجئة في نهاية الرحلة .

استيقظت ليليان قبل شروق الشمس ، و ذهبت الى غرفة الزوار
لايقاظ يحيي و راشيل ، و على الفور استعدوا جميعا لبدء رحلة
الصعود الى جبل موسى ، ذهبوا جميعا الى سفح الجبل حاملين
خلف ظهورهم حقائب كبيرة بها طعام وشراب و أعطية تحميهم
من البرد على قمة الجبل ، بدؤوا جميعا بالصعود عبر طريق

أرض جوش

الرهبان ، و هو الطريق التقليدي الذي يسلكه السياح لاثبات جدارتهم للصعود الى قمة جبل موسى ، و عبر سلالم التوبة بدأ الجميع بالصعود الى الجبل في عزم واصرار ، و بمشقة بالغة كان الجميع يجتهد لصعود ذلك الجبل الذي يأخذ ثلاث ساعات او اكثر صعودا لقمته ، و ثلاث ساعات اخرى للهبوط ، لكن ليليان أخبرتهم بأن الصعود سوف يكون أيسر من النزول عنه ، حيث في النزول مخاطر كثيرة ، و قد تكون تكلفة السقوط من فوق أحد هذه الصخور الضخمة الغير منتظمة هي أرواحهم ، لذا عزموا الهمة حتى يتمكنوا من النزول عن الجبل قبل غروب الشمس ، و في اثناء صعودهم سلالم التوبة ، وجدوا بابا صغيرا ، فقالت لهم ليليان : " سنعبدا ان ذلك الباب .. و الذي يسمى بباب الاعتراف .. و قد بناه الراهب الشهيد اسطنانوس .. ليكون بوابة الحجاج للاعتراف بالذنوب و الخطايا .. لذا أسالكم النوبة و طلب الغفران من الرب " ، ثم أكملوا الصعود ، حتى وصلوا الى باب الغفران ، و عندها قالت لهما ليليان : " مبارك عليكم ... غفر الله لكما و بارك في عمركما " ، ثم عاودوا الصعود مجددا ، و قد بدا عليهم التعب و الارهاق ، فأخذوا قسطا من الراحة قبل أن

أرض جوش

يستكملوا الصعود مجددا ، حتى وصلوا الى قمة الجبل ، فحمدوا الله كثيرا ، و اثنوا عليه ، و شكروا الله انعم عليهم بالوصول الى قمة الجبل ، و بقوا على قمة الجبل ثلاث ساعات ، قاموا خلالها بالصلاة ، و توجهوا خلالها بالدعاء و الابتهاال الى الخالق العظيم ، و لما انتهوا استعدوا جميعا للنزول ، قبل أن تغرب عليهم الشمس ، و لا يتمكنوا من الوصول الى الدير في الظلام .

عاد الجميع الى الدير بسلام عند غروب الشمس ، و اجتمعوا بالانبا استيفانوس لتناول العشاء سويا ، عشية عيد شم النسيم الفرعوني الأصل ، و اثناء تناولهم للعشاء ، دار بينهم هذا الحوار .

الانبا استيفانوس : " حمدا لله على سلامتكم .. كيف كانت رحله الصعود الى قمة جبل موسى ؟! "

يحيي : " لقد كانت رحلة شاقّة للغاية .. لكنها رائعة .. لقد شعرت بالطاقة و القوة الني منحتني العزم والاصرار على تحمل تلك المشقة و الوصول الى قمة الجبل "

راشيل : " اما انا فلا يمكنني وصف مشاعري .. انني سعيدة للغاية للمجئ الى هذا المكان الرائع .. و سعيدة أكثر بمقابلتك مجددا يا صديقني الغالية ليليان "

أرض جوش

ليليان : " و انا اكنر منك سعادة يا عزيزتي .. فها نحن ننقابل و
نناول الطعام سويا كما اعتدنا من قبل عندما كنا صغار " .
راشيل : " نعم و كأن عمرا طويلا مضي دون أن اشعر به ... "
يحيي : " يبدو انكما تحبان بعضكما البعض كثيرا " .
الانبا استيفانوس : " ادام الرب محبتكما و جمع بينكما في الجنة
، لكن أخبراني ماذا تخططان بعد ذلك ؟ هل ستبقيان معنا حتى
نهاية الاسبوع ؟ .. ام تنويان الرحيل غدا ؟ " ، فأجابته راشيل
قائلة : " للأسف الشديد فاننا مضطرن للعودة الى مصر ... حيث
علينا العودة الى العمل صباح يوم الثلاثاء المقبل .. فأننا أعمل
في قنصلية سفارة الولايات المتحدة في القاهرة .. و يحيي ايضا
عليه العودة الى عمله بالجريدة يوم الثلاثاء القادم ... لذا فسوف
نستعد للرحيل غدا مساء " ، ثم عقب يحيي على كلام راشيل
قائلا : " نعم بالفعل علينا السفر مساء الغد .. و لقد حجزنا انا و
راشيل طائرة من شرم الشيخ الى القاهرة .. و سوف نغادر غدا
بعد غروب الشمس الى شرم الشيخ " .

بدا على ليليان عدم الرضا عن قرار رحيلهما السريع ، و قالت :
" رغم انني ارغب في بقائكما .. لكن سعدت بكما كثيرا .. و انمنى

أرض جوش

ان تكررؤا تلك الرحله مجددا .. لكن حينها عليكما ان تعدا
نفسيكما للبقاء معنا اسبوع كامل على الاقل .. فليلين غير
كافيتين لشحن الروح بالطاقة الايجابية المنبعثة من ذلك
الوادي المقدس "

فأجابتها راشيل قائلة: " نعم انني محقة يا ليليان .. الان فقط
ايقتنت انكي كنني على صواب عندما قررتي الرهينة و اعتزمتي
المكوث في هذا المكان "

يحيي: " كما لو كنني يا راشيل تودين ان تفعلي مثلها " ، فعم
الضحك عليهم جميعا ، حتى انتهوا من عشايمهم ، و عندها تذكر
يحيي تلك المفاجئة التي اخبرتهما عنها ليليان ، فطفق يسألها
عنها ، و أجابته ليليان قائلة: " نعم لم أنس .. دعونا نذهب الى
غرفة الجماجم المغلقة .. و هذه الغرفة غير مفنوحة لجميع
الزوار .. لكنكما لستما زوارا عاديين ، لقد صرنا اهلا و اصدقاء ..
فهل انما مستعدان لذلك ؟ " ، هز كلا من يحيي و راشيل
رأسيهما ، بعد ان نظرا الى بعضهما البعض ، قائلين: " نعم ..
مستعدان !! " .

أرض جوش

ذهب يحيى و راشيل بصحبة ليليان ، حتى دخلوا الى غرفة الجماجم المقدسة ، و عندما دخلوا شعرت راشيل بالرهبة الشديدة ، بينما شعر يحيى بتسارع دقات قلبه ، ذلك لأن هذه الغرفة التي تقع اسفل كنيسة خاصة لأقامه الصلاة ، و التأبين للرهبان في الدير ، و تعلوها غرفة بالقرب من السقف ، لها نوافذ واسعة ، تتسلل منها خيوط الشمس ، التي تتكسر فوق الجماجم ، فتخلف ظلالا من الربةة و القدسية لهذا المكان ، ثم حدثتهما ليليان قائلة : " هكذا هي عادة رهبان الروم الارثوذكسيين .. فبعد موتهم بفترة .. يتم نبش الفبر واخراج الرفات .. و وضعها في تلك الحجرة .. حيث يتم وضع الرأس في مكان مخصص .. والاذرع في مكان خاص .. و الارجل في مكان آخر مع ما تبقى من عظامهم .. " ، كانت تلك الجماجم متراصة فوق بعضها البعض بشكل هرمي ، و كان في وسط الغرفة هيكل عظمي كامل للراهب اسطنانوس ، و هو الراهب الذب شيد بوابات التوبة الذي عبروه من قبل ، كان هذا الهيكل العظمي يرتدي كامل ملابسه الكهنوتية ، كما يوجد في الغرفة من وجهة نظر الرهبان نوع من العظة و العبرة بنهاية الانسان .

أرض جوش

استأذنت ليليان فجأة للعودة الى الكنيسة ، لكنها أخبرتهما بعودتها سريعا ، و طلبت منهما الانتظار في تلك الغرفة ، و عدم الذهاب في أي مكان آخر ، أخذ يحيي و راشيل يتفقدان الغرفة بفضول متناهي ، ثم نادت راشيل على يحيي قائلة: " يحيي .. تعال هنا بسرعة " ، ذهب يحيي لها ، فوجدها تشير الى باب حديدي كبير ، و طلبت منه أن يفتحه ، لم يتردد يحيي نهائيا ، و اطاع راشيل ، حيث كان الفضول يحركهما ، و عندما فتحه يحيي بكل يسر ، وجدا الباب قد انفتح على غرفة أخرى لكنها اضيق من غرفة الجماجم التي يتواجدان بها ، كانت الغرفة مظلمة للغاية ، و كانت هناك شعلة بجانب الباب ، و بجانبها قليل من الجازولين ، أوقد يحيي الشعلة ، و أضاء الغرفة ، و دخلا اليها سويا ، كانت غرفة فارغة لكنها متسعة ، لم تكن تحوي اي شئ على الاطلاق ، و لم يجدوا بداخلها اي شئ ، سوى بعض الصلبان الحجرية مشيدة فوق التراب ، فقال يحيي : " انها غرفة دفن ... علينا الخروج احتراما لقدسيتها الموتى " ، حتى صاحت راشيل قائلة : " من هنا .. لندخل من ذلك الباب " ، وجدا بابا اخر كان مفتوحا ، فدخلا اليه ، كان ذلك الباب يؤدي الى ممر صغير و

أرض جوش

ضيق ، دخل يحيى الى ذلك الممر ، و من ورائه راشيل ، كانا خائفين كثيرا ، لكن شعورهما بالفضول كان اعظم ، فأزال شعور الخوف و الرهبة لديهما ، و تابعا السير في الممر ، الذي كان يعج باللوح والايقونات للقديسين و الرهبان الذين عاشوا في هذا الدير ، كان بداخله الكثير من العظام المبعثرة المندثرة في التراب ، تحت قدميهما ، و عظام اخرى طافية فوق التراب ، فكانا يحاولان تفادي تلك العظام ، لكن يحيى تعثر في احدى تلك العظام ، و سقط على وجهه ، فانطفأت الشعلة ، و غمر الظلام المكان ، و حينها تذكر يحيى أنه ليس لديه مزيد من الجازولين ، فتبدل الفضول بالرعب ، و قررا العودة من حيث جاءا في ذلك الظلام الدامس ، فاستدارا الى الوراء ، و طफقا يتحسسان الجدران ، محاولين عبور الظلام ، و العودة مجددا ، لكنهما و في هذا الظلام الشديد بدلا ان يعودا عبر الممر الذي دخلا منه ، عبرا ممرا اخر ا يتفرع منه ، ظانين انه الممر الذي دخلا منه ، و فجأة تعثرت قدم راشيل هذه المرة في احدى الاحجار الكبيرة ، و قد كانت تقود يحيى في العودة ، فسقطت في الظلام ، ساعدها يحيى للنهوض

أرض جوتش

، و بينما يحيي يمسك بيدها ، اذ تحركت الارض من اسفلهما ،
ثم انهارت فجأة ، فسقطا في جرف كبير .

أرض جوش

الجزء الثاني

أفاريس 1615 قبل الميلاد

ا ل (في الهاوية)



د
لم يدرك يحيى و راشيل انهما ارتكبا حماقة شديدة ، الا عندما
وجدا نفسيهما قد سقطا في حفرة عميقة تحت سطح الارض ،
ربما تجاوز عمقها الخمس مائة متر تحت الارض ، كانت تلك
الحفرة عميقة للغاية ، و كانت تحيطها الصخور من كل جانب ،

أرض جوش

كان يحيي الذي فقد وعيه اثر السقوط الهائل يحاول الضغط على صدر راشيل لتستعيد وعيها ، حتى تنحنت راشيل مصدره صوت سعال قوي و متتابع ، فاستفاقت راشيل ، و فتحت عينيها ، فوجدت نفسها في تلك الحفرة الكبيرة ، فأخذت بالصراخ الشديد ، لكن يحيي حاول جاهدا ان يهدأها دون جدوى ، فصرخ في وجهها قائلا : " اهدأي .. علينا الهدوء للتفكير في هذه المصيبة التي ألمت بنا .. يجب أن نفكر مليا في كيفية الخروج من تلك الحفرة العظيمة .. انظري حولك .. حاولي ان تجدي معي اي طريقة للخروج من هنا .. ربما هناك سلم .. او ربما علينا ان ننسلق الصخور للصعود الى الاعلى .. ارجوكي يا راشيل انهضي معي ... يجب ان نخرج من هنا سريعا و الا سنموت " ، اخذت راشيل في البكاء الحاد ، و هي تصرخ قائلة : " سنموت هنا .. سنموت هنا يا يحيي .. لن نتمكن من الخروج .. انها حفرة عميقة للغاية ... كيف سنخرج منها .. لا اريد الموت .. لا اريد الموت يا يحيي " ، أمسك يحيي بكتفيها ، و مخضها بشدة ، و قال لها : " لن نموت .. عليك ان تكوني مؤمنة اننا لن نموت .. ثفي في الله الذي أبقانا أحياء .. ثفي ان الله سوف يرشدنا الى الخروج .. ثفي

أرض جوش

ان الله سوف ينجيننا يا راشيل .. ارجوكي" ، و أجهش يحيي بالبكاء ، بينما ضم راشيل الى صدره ، حتى عم عليهما الهدوء و السلام ، بعدها بدأت راشيل في التفكير مليا ، و أخذت تلقي نظرات ثاقبة في المكان من حولها ، ثم نهضت ، و قالت : " أنا اسمع صوت مياة جارية .. هل تسمع ذلك معي ؟! " ، انصت يحيي و امعن التركيز ، و قال : " نعم .. انها حقا تبدو اصوات مياة جارية .. لكني لا استطيع تمييز الصوت بدقة " ، اتجهت راشيل صوب هذا الصوت ، و حاولت تتبع مصدره ، فيما مضى يحيي خلفها ، كان المكان شديد الرطوبة ، و الارض طينية رخوة ، ممتلئة بعدة صخور ضخمة ، منغرزة في باطن الأرض ، بينما لم يكن المكان شديد الظلام ، بل كان المكان مضئ الى حد ما ، و كأنه مضاء بنور القمر ، ما قد يعني انهما قريبان من السطح ، او ربما هناك ثغرة قريبة ينفذ منها الضوء ، و ربما ايضا ذلك الضوء هو ضوء النهار ، لانهما ظنا أنه مضى على وجودهما في تلك الحفرة وقت طويل .

حاول كليهما تلمس الطريق الى مصدر ذلك الصوت المنبعث من مكان قريب ، انحنيت راشيل ممسكة بالصخور من أسفلها

أرض جوش

لتحسس الطريق ، و اخذت تحاول العبور بين تلك الصخور الصلبة للغاية ، بينما أخبرت يحيي ان يفعل مثلها ، ظلا يتحركان هكذا حتى وجدا كهفا صغيرا يعلوهما ، فقالت راشيل : " يحيي .. انظر الى ذلك الكهف الذي بالاعلى .. لا يبدو عليه انه مظلم للغاية .. علينا ان نصعد الى ذلك الكهف .. ربما يقودنا الى المخرج !! " ، رفض يحيي في اول الامر التصديق على كلامها ، سائلا اياها أن يحاولا العثور على مخرج آخر قريب ، لكن راشيل أصرت على كلامها ، معللة قولها بأن ذلك الصوت يصدر من مكان مرتفع ، كما ان ذلك الكهف لا يبدو دامس الظلام ما قد يقودهما إلى المخرج ، و قد كانت مصرة بألحاح على رأيها ، فلم يجد يحيي بدا من مخالفة رأيها ، و طبقا يتوجهان صعودا نحو الكهف ، حتى اقتربا من أحد جوانب تلك الحفرة العظيمة ، فأمسكت راشيل بأحد الصخور البارزة ، و حاولت الصعود ، لكنها وجدت صعوبة بالغة في تسلق تلك الصخور ، لأنها كانت شديدة الانحدار ، و صعبة التسلق ، فنزلا من فوق تلك الصخور ، و انتقلا للبحث عن مكان آخر أسهل في التسلق للوصول إلى ذلك الكهف المرتفع ، حتى وجدا طريقا اخر يقود الى ذلك الكهف ، و لا يحتاج

أرض جوش

للتسلق ، فقد كان طريقا سالكا بدا كدرج صخري ينتهي عند مدخل ذلك الكهف ، فصعدا على الفور الى ذلك الدرج ، حتى وصلا الى مدخل الكهف ، و عندما عبرا بوابته ، سمعا ذلك الصوت مجددا ، و لكن بوضوح تلك المرة ، و كأنه أقترب أكثر ، فولجا إلى داخل الكهف ، كان ذلك الكهف نفقا متسعا في باطن الارض ، و كان هناك ضوءا خافتا يصدر من نهايته ، فصاحت راشيل في يحيي قائلة : " هيا يا يحيي .. هيا بنا نمضي في ذلك النفق .. هناك ضوء في نهايته .. لقد وجدنا المخرج .. لقد اقنربنا من مصدر الصوت .. " ، لم يكن يحيي يشعر بنفس تلك الهمة للمضي قدما في ذلك النفق الطويل ، لكنه اندفع وراء احساس راشيل ، الذي بدا عليها اليقين من ان ذلك النفق سوف يرشدهما للخروج ، ظلا يسيران قدما في ذلك النفق الممتد ، حتى توقفا عن نهايته ، فوجدا منحدرنا عميقا ، و في أسفله فجوة عظيمة ، بها شلال ماء صغير يتدفق من الاعلى على الجانب الآخر ، أخذ كلا من يحيي و راشيل يتسلقون تلك الصخور نزولا الى قعر تلك الهوة العميقة ، حتى وصلا الى أسفل الشلال المائي ، كانت المياة تجري و تتدفق خلال الصخور الكبيرة ، لكنها شعرا

أرض جوش

بالاحباط و اليأس ، و قال يحيي يائسا : " لقد عثرنا على مصدر ذلك الصوت .. لكننا لم نجد أي مخرج .. لقد انقلنا من حفرة الى حفرة أعظم منها .. ماذا سنفعل الان ؟! " ، أجابته راشيل بيقين قائلة : " انهض يا يحيي و لا تحزن .. اننا سننجو بمشيئة الرب " ، ثم استطردت قائلة : " ان تلك المياة الني تندفق من اعلي تعني اننا في خزن بئر عظيم للمياه الجوفية داخل الارض ... و هذا يدلنا على انه يتوجب علينا الصعود مجددا الى اعلى ذلك الشلال حتى نصل الى سطح الارض " ، أجابها يحيي و قد سيطر عليه التعب قائلا : " انني أعلم كثيرا عن انواع الآبار يا راشيل .. هذه النوع من الآبار الذي ننواجد فيه يسمى بالبئر الارتوازي الانسيابي .. و ذلك ربما يعني اننا بداخل أخذ الجبال و لسنا تحت الارض " ، فأسرعت راشيل و قد بدا عليها الابتهاج قائلة : " جيد!! .. هذا يعني ان هناك مخرج في أحد الاماكن من ذلك الجبل .. و بالطبع سيكون ذلك المخرج قريبا من أحد الآبار الني تضخ الماء الى سطح الأرض " ، عقب يحيي على كلامها قائلا : " ان ذلك الماء يقع تحت ضغط كبير.. و يكون الضغط قويا في هذه الآبار مما يجعل الماء ينساب على منحدرات الجبال دون ضخ ..

أرض جوش

بينما يخرج الماء المضغوط تلفائيا من الآبار المحفورة في مكان ما من الوادي خارج الجبل .. لكننا لا نعلم تحديدا كيف الطريق الى ذلك المكان المؤدى الى الوادي خارج الجبل " ، اخذت راشيل تفكر مليا في الأمر ، ثم و بعد صمت طويل و وقت كبير من التفكير ، قالت : " يحيي .. اظن ان ذلك الماء المتدفق من الاعلي يوحى بأننا في قلب ذلك الجبل .. و عليه فانه يتحتم علينا البحث أسفل ذلك الشلال .. لأنه و حسب كلامك فمن المفترض ان تساب تلك المياه الى سطح واد قريب خارج ذلك الجبل " .

لم يأخذ يحيي وقتا طويلا للتفكير في ذلك الأمر ، فيما بدا انه مقتنع بكلام راشيل ، و أن عليهما البحث في مكان قريب أسفل الشلال المائي عن أي مخرج يقودهم الى سطح الوادي الخارجي ، و طفقا يبحثان حوليهما عن اي منفذ بين تلك الصخور الضخمة ، لكن دون جدوى ، و بعد بحث مضني انتابهما شعور بالاحباط ، قبل ان تتعثر قدم يحيي في هوة عميقة ، لكن الصخور الضخمة الموجودة فوق تلك الهوة ، و التي تسد فتحتها ، قد حالت دون وقوعه في تلك الحفرة ، انحشرت قدم يحيي بين الصخور في داخل الحفرة ، فأسرعت راشيل محاولة انقاذه ، و بينما كانت

أرض جوش

تحاول جاهدة ان تسحب قدمه الى الخارج ، ارتطمت بأحدى الصخور ، فوقعت صارخه على ظهرها ، حاول يحيي اخراج قدمه من بين تلك الصخور الصخور الصلبة ، لكنه لم يستطع ، و كادت قدمه ان تنخلع ، لملمت راشيل نفسها ، و نهضت متألّمة اثر سقوطها على ظهرها ، لكنها لم تستسلم لألمها ، و قامت لتحاول مساعدة يحيي مجددا ، كان من الواضح انه لا حل الا درجة هذه الصخرة بعيدا عن الحفرة ، لكن الصخرة كبيرة و عسوية على الدفع ، و مع ذلك اخذت راشيل تحاول دفعها بعيدا عن الحفرة ، حتى تمكنت من تحريكها بقدر يكفي لأخراج قدم يحيي ، و بالفعل أخرج يحيي قدمه ، ثم اخبر راشيل انه من الضروري اجبار تلك الصخرتين الضخمتين على الابتعاد عن الحفرة ، حتى يتثنى لهما النزول اليها ، لكن راشيل قالت له ان ذلك يبدو مستحيلا ، و بدلا من ذلك عليهما ان يبحثا عن منفذ في مكان آخر ، لكن يحيي أصر على ذلك ، و اخبرها ان المياه التي تنساب في تلك الحفرة دليل على اتصال تلك الحفرة بالبئر المحفور في الوادي خلف الجبل ، في البداية عليها ان يتعاونوا في ابعاد تلك الصخور عن فتحة الحفرة ، و من ثم الكشف عن عمقها عن

أرض جوش

طريق اسقاط قطعة حجر بداخله ، لم يكن هناك وقتا للتفكير ، فالغريق يتعلق بأي قشة ، و عليهما ان يسيرا خلف ذلك الأمل حتى و ان بدا سرابا ، ظل يحيي و راشيل يحاولان دفع الصخور بكل ما اوتيا من قوة ، و بعد عدة محاولات أمكن لهم ذلك ، و ابتعدت الصخرة الكبيرة عن فوهة الحفرة ، ثم قام يحيي بإلقاء حجر صغير في الحفرة لاستشعار عمقها ، و اكتشفا ان تلك الحفرة ليست بالعميقة ، فقررا النزول اليها .

لم تكن تلك المخاطرة باليسيرة على الاطلاق ، فالحفرة كانت شديدة الانحدار ، و أي تعثر فيها ربما يؤدي الى السقوط المحتم ، و ستكون عواقبه وخيمة ، و ربما تكلفهما تلك المخاطرة روحيهما ، لكن لا بديل عن المحاولة ، فانها إن لم يموتا بسبب السقوط في الحفرة ، سيموتان حتما من الجوع في ذلك المكان الموحد ، و لن يعثر على جثتيهما أحد ، لذا بادري يحيي أولا بالنزول في الحفرة بشكل رأسي ، متشبثا في الصخور البارزة ، و مثبتا قدميه بحذر على احدي قطع الصخور البارزة ، و من حسن حظهما أن الحفرة كانت صخرية ، و كانت حوافها بارزة بشدة ، للدرجة التي تكفل لهما التسلق عليها ، نزل يحيي الى داخل

أرض جوتش

الحفرة ، و أعقبته راشيل بنفس الطريقة و نفس الحذر ، كان الأمر خطيرا للغاية ، و كادت قلوبهما ان تتوقف من شدة الخوف و الرهبة ، لكنهما كانا يحاولان التركيز الشديد ، و التغلب على ذلك الخوف ، لأن شعور الخوف كفيل بتوليد جرعات هائلة من هرمون القلق بداخلهما ، و الذي قد يتسبب في صرف اتباهما ، و يؤثر على تركيزهما اثناء النزول عبر تسلق حواف الصخور البارزة بداخل الحفرة .

لم يكن الأمر سهلا على الإطلاق ، لكنهما نجحا بالفعل في نزول الحفرة ، التي أدت بهما الى الوصول الى ممر آخر ، لكنه كان ممرا عرضيا أفقيا ، فكان من السهل عليهما المرور في ذلك النفق الطويل ، شعرت راشيل باقتراب الفرج عندما لمحت شعاع شمس يخترق ذلك النفق ، ما جعلها تصيح في سعادة شديدة قائلة : " يحيي .. هذا الشعاع يدل على اننا اقربنا من السطح .. لقد نجونا يا صديقي .. أنا لا أصدق !! " ، لكن يحيي كان يبدو عليه أقل تفائلا ، على الرغم من أنه لاحظ شعاع الشمس يخترق النفق من بعيد ، فقد كان يحاول الا يندفع وراء أمل خادع ، ثم يتضح له انه كان سرايا ، لم يفقد يحيي الأمل لكنه أراد أن يصب

أرض جوش

جم تركيزه على العبور من ذلك النفق ، و محاولة معرفة بوصلة الوصول الى المخرج ، أما راشيل فأخذت تقول له : " أسرع ..
أسرع يا يحيي .. انما نقرب .. هيا ! " .

أخذ يحيي و راشيل في الركض داخل ذلك النفق ، حتى عبرا النفق ، و وصلا الى تجويف صخري واسع و كبير ، و لكنه كان فارغا و خاليا من الماء ، و لم تكن حفرة صخرية كبقية الأماكن التي كانوا قد دخلوا اليها ، كانت تلك الحفرة رملية ، و كانت أرضها مليئة بالاحجار الصغير ، و بأعلى ذلك التجويف الشاهق كان هناك مكان مضئ تتخلله أشعه الشمس ، و عندما رأته راشيل ذلك المنفذ المضئ ، صرخت و قالت مبتهجة : " هناك في الاعلى .. انظر فوقك يا يحيي .. المخرج هناك فالاعلى " ، نظر يحيي أعلاه فتيقن صحة كلامها ، و تأكد من ان هذا المكان المضئ هو المخرج الفعلي لهذا الكابوس ، و بسرعة شديدة اتجها نحو ذلك المكان ، و حاولا الصعود عليه ، لكنها فشلا في ذلك ، حيث الارض الرملية تنزلق من تحت أقدامهما ، فما كان عليهما الا أن طفقا يجلبون الاحجار الكبيرة و المتوسطة الحجم ، و قاما بوضع تلك الاحجار فوق بعضها البعض ، حتى تحولت

أرض جوش

تلك الاحجار الى ما يشبه الدرج يمكن الصعود عليه ، سعدت راشيل اولاً هذا الدرج المكون من الاحجار المتراسة بعناية ، و من خلفها صعد يحيى ، حتى ارتفعا الى تلك الفتحة الكبير ، فوجدا ممرا تملئه الشمس نورا ، حينها أجزما على انتهاء معاناتهما ، و أخذوا يسيران في ذلك الطريق ، مخترقين الأشعة المتعامدة على اعينهما ، حتى اقتربا من نهايته ، فصار ذلك الممر أكثر ضيقا و انغلاقا ، لدرجة أن اجسامهما لا تستطيع العبور من داخل فتحة ذلك الكهف للخروج ، حاول يحيى النباش في الرمال ، بينما كانت راشيل تساعد في ذلك ايضا ، لم يكن يحيى و راشيل ذوي اجسام ممتلئة ، كانا رشيقان نحيفان ، لذا قرر يحيى أن تحاول راشيل الخروج أولاً زحفا ، ثم يقوم هو بدفع قدميها الى الخارج ، و عندما تخرج راشيل تسحبه إلى الخارج ، و بوضعية الجنين في بطن امه ، بسطت راشيل ذراعيها على الرمال ، و أخذت تزحف على بطنها الى الخارج ، فيما كان يحيى يدفع قدميها الى الخارج بيديه ، حتى نجحت راشيل في الخروج ، و اندفع خلفها يحيى زاحفا ، بينما أمسكت راشيل بيده من خارج الكهف ، و أخذت تسحبه بقوة ، حتى خرج يحيى أيضا ، في تلك

أرض جوش

اللحظة دفعهما شعور النجاة إلى البكاء ، و طفقا يصيحان حمدا للرب على ان أمهلهما فرصة جديدة للعيش ، لكن المفاجأة أنهما حينما نظرا حوليهما ، وجدا نفسيهما في صحراء جرداء شاسعه ، تحيط بهما رمال الصحراء البيضاء من كل جانب ، في حين لم يكن هنالك أي أثر لوجود جبال قريبة منهما في ذلك المكان النائي ، حينها غيم عليهما الذهول المميت .



المشهد الثاني

(يوم الزينة)

" لا أعرف لماذا قد نزلت بنا في عهد توتيمايوس صاعقةً من غضب الإله ، فقد تجرّأ قوم من أصل وضيع من الشرق على غزو بلادنا ، وقد كان مجيئهم أمرًا مفاجئًا ، وقد تسلّطوا على البلاد بقوة في غير صعوبةٍ ما ، وبدون نشوبِ واقعة حربية ، و بعد أن تغلّبوا على الرؤساء ، أحرقوا المدن بوحشية، وأزالوا معابد الآلهة من أساسها ، وساروا في معاملة الأهل بكل قسوة ، فقتلوا بعض

أرض جوش

القوم ، وسبوا نساء وأطفال آخرين ، وفي نهاية الأمر نصبوا واحدًا منهم اسمه «سالاتيس» ملكًا ، فاتخذ مدينة «منف» مقرًا له ، و فرض الضرائب على الوجه القبلي والوجه البحري ، وترك له حاميات في الأماكن التي كانت أعظم صلاحية للدفاع ، وقد أمّن جناحه الأيمن بوجه خاص ، لأنه كان يتنبأ بما عساه أن يحدث من اغتصاب الآشوريين بمهاجمته عندما تزداد قوتهم في المستقبل ، ولما كشف له في أرض جاسان عن مدينة حسنة الموقع تسمى أواريس ، تقع على الجهة الشرقية من فرع «بوسطة» ، عمل على بنائها من جديد ، وحصّن جدرانها ووضع فيها حامية يبلغ عددها نحوًا من ٢٤٠٠٠٠ رجل ، مسلحين لحماية حدوده ، و كان قد اعتاد زيارة هذا المكان كلّ صيف لتوزيع الجرايات ودفع أجور الجنود من جهة ، وكذلك ليُلقي عليهم دروسًا هامة في فنون الحركات الحربية ، ولأجل أن يُلقي الخوف في قلوب الأجانب من جهة أخرى " (عن المؤرخ اليهودي يوسيفوس نقلًا عن المؤرخ المصري القديم مانيتون عام 200 قبل الميلاد عن حقبة حقاو خاسوت أو الهكسوس) .

أرض جوش

استفاق يحيي عندما سكب أحد الرجال في وجهه الماء ، و عندما فتح عينيه ، وجد أمامه رجالا يلبسون لباسا غريبا ، انفزع يحيي كثيرا لأمرهم ، و أسرع قائلا لهم : " من أنتم ؟ ! " ، أجابه أحد هؤلاء الرجال قائلا : " حابي سيس !! .. هل أنت بخير؟ .. لقد وجدك بعض الجنود مغشيا عليك في الصحراء .. و كانت معك امرأة من العبرانيين .. كان مغشيا عليها ايضا .. قام الجنود بيل فمك بالمياه .. ثم اصطحبوك الى دارك .. " ، ثم أكمل ساخرا : " يبدو انك ذهبت الى الخلاء لمضاجعتها .. انها عبرانية مثيرة حقا .. رغب الجنود في مضاجعتها ايضا .. لكنهم أعادوها الى قومها لنولي شأنها .. " ، لم يستطع يحيي تمالك اعصابه لسماع ذلك الهراء ، فصرخ في وجههم قائلا : " من انتم ؟ .. و ما ذلك اللباس الذي ترتديونه ؟ .. أين أنا ؟ .. أنا لا أعرفكم !! " ، حاول أحد الجنود تهدأته ، لكن يحيي فقد السيطرة على نفسه ، و لم يستطع الجنود السيطرة عليه ، حتى دخلت سيدة طاعنة في السن ، و أسرعت اليه قائلة : " حابي سيس !! .. ابني الغالي !! .. حمدا للاله ست الذي نجاك من الكرب العظيم .. لقد وجدك الجنود مغشيا عليك في الصحراء .. عند أطراف أرض جوش (جاسان-فاقوس

أرض جوش

حاليا) .. بعيدا عن مدينة أواريس .. كيف حالك الآن يا بني ؟ " ،
صرخ يحيي بكل قوة قائلا: " لا أنني أحلم .. أنا لا أعرفكم .. لا
يمكنني تذكركم .. يجب ان أنهض من ذلك الحلم اللعين .. أريد
أن أنهي ذلك الحلم اللعين الآن ... الآن .. ابتعدوا عني جميعا ..
أغربوا جميعا عن وجهي " ، نظرت اليه السيدة نانيس ، و قالت
للجنود ف فطنة: " من فضلكم أذهبوا الآن .. ودعوه حتى يصير
بحالة جيدة " ، خرج الجنود من الدار ، بعد ان ألقوا على السيدة
العجوز تحية عيد شمو (شم النسيم) ، و أخبروها ان الملك
سوسرن رع -خيان الأله الطيب بن الشمس - سوف يعد حفلا
كبيرا حاشدا في وسط المدينة عند معبد الاله ست الجديد ، بعد
ان يقوم بزيارة معبد الأله ست الذي تم الانتهاء من تشييده
بجوار القصر الملكي ، لتقديم القران للألهه ، و افتتاح المعبد ،
و سوف يلقي خطابا هاما على الشعب ، و بعدها سوف يتوجه
صوب أطراف المدينة لتفقد العمل في تشييد الحصون الجديدة
حول مدينة أواريس عاصمة البلاد الجديدة ، و اكدوا عليها
ضرورة الخروج للاحتفال ، و وجوب خروج حابي سيس مع الجنود
لتأمين موكب الملك سوسرن رع ، و حذروها ان لم يأت حابي

أرض جوش

سيس الى الموكب فسوف يخبر كبير الجند الملك ، و سوف يعاقبه الملك عقابا شديدا على ذلك ، لكن السيدة نانيس أكدت لهم أنها سوف تجبره على الخروج لتأمين موكب الملك ، و طلبت منهم استدعاء الطبيب بايوم لمداواة حابي سيس ، حتى يتمكن من حضور موكب التأمين الملكي ، و خرج الجند مسرعين .

بدأ يحيي يهدأ و يفكر في حكمة فيما حدث له ، و قرر استدراك الموقف ، و حرص على التعامل بشكل طبيعي حتى لا ينكشف أمره ، و حتى لا يعرف احد بقدومه من المستقبل البعيد ، لذلك كان عليه لزاما ان يظهر امام الجميع بتلك الشخصية التي يدعونه بها ، و بعد فترة وجيزة جاء طبيب المدينة الشهير بايوم ليداوي حابي سيس ، و قام بأعطائه مشروبا من العرقسوس المخلوط ببعض الأدوية الأخرى لأخفاء مرارته ، و ذلك لتخفيف حدة العصبية و التوتر، و طمأن السيدة نانيس على ابنها ، و أكد لها أنه يتمتع بحالة صحية جيدة تمكنه من حضور الحفل الملكي ، و انصرف الطبيب مسرعا للذهاب الى موكب الملك ، حيث يجب أن يكون متواجدا بصفته الطبيب الخاص بالملك و أسرته.

أرض جوش

خرج حابي سيس _ ابن الأله حابي (إله النيل)- الى الشارع مع مربيته السيدة نانيس ، ظهيرة يوم الاثنين ، يوم عيد شمو ، و هو بداية فصل الحصاد والنماء و الخير ، و فيه تتجدد الحياة و يستمر الوجود ، حسب معتقدات الآباء الذين رحلوا الى العالم الآخر ، و ينتظرون البعث الجديد ، كانت الشوارع تزدهم بالعامّة ، في الطرقات و الأزقة و الاسواق ، الجميع خرج الى الشوارع و الحداثق و المتنزهات ، و على شواطئ النيل الخالد ، يرتدون لباس العيد الجديد ، و يهنئون بعضهم البعض بقدم فصل الحصاد ، كانت الناس تملأها الفرحه و السعادة بالعيد ، و الفتيات قد تزين بعقود من الياسمون (الياسمين) و الحربيك (الملانة) ، فيما حمل الأطفال سعف النخيل المزين بالورود و الألوان ، و كان الناس قد قاموا بتلوين البيض ، و نقشوا عليه الدعوات و الأمنيات للعام الجديد ، ثم جمعوا البيض ، و وضعوه في سلال من سعف النخيل ، و علقوه في شرفات المنازل ، و على أغصان الأشجار في الحداثق ، و كان ذلك في يوم الأحد السابق ليوم العيد بعد غروب الشمس ، و بعد سطوع إله الشمس رع بأشعته على الأرض ، التي توزع البركة على البسيطة ، قاموا

أرض جوش

بتناول البيض ، لتتحقق دعواتهم و أمنياتهم ، و بدأ العيد ، و في هذا اليوم تتجدد الطبيعة بنسائم الربيع ، و ألوان الزهور ، و يتزين الناس بكل مظاهر الزينة و الجمال ، و يحتفل الجميع طوال اليوم من شروق الشمس و حتى مغربها ، و كان الناس يقيمون حفلات الترفيه مثل الرقص على انغام الناي و المزمارة و القيثارة ، تصاحبها دقات الطبول و الدفوف ، مع الأغاني و الأناشيد الخاصة بهذا العيد .

و بينما كان حابيس يسير مع السيدة العجوز ، سأل حابيس مربيته عن وجهتها التي سوف تذهب اليها ، فأجابته السيدة العجوز قائلة : " سأذهب عند نساء العائلة في البيت الكبير .. حيث سنتوجه جميعا الى شاطئ النيل المقدس ، الذي يمثل عند الآباء الحياة و بداية الخلق ، فعندما كان العالم عبارة عن محيط أزلي أو لجة مائية كبيرة .. ليس له نهاية .. برز الأله الخالق من المياه .. و خلق العالم بأرادته .. فأصدر كلمة نطق بها لسانه .. فكان من امر الخلق بأن يكون .. فكان الخلق .. و ما هذا النهر الخالد يا بني سوى فيض من ذلك المحيط الأزلي الذي بدأ منه الخلق .. لذلك و في هذا اليوم المبارك .. نذهب الى شاطئ النهر

أرض جوتش

ونفترش الأرض حيث يحملنا جب (أله الأرض) و تغطينا نوت (إلهة السماء) .. و نقوم بتناول أطعمة العيد الخاصة .. المكونة من البيض رمز بداية الخلق .. و البور (السمك المملح) الذي يرمز للحياة و النماء و الخير ، و الخس المقدس عند الأله مين (إله التناسل و الاخصاب) و الذي يكتمل نضجه في هذا اليوم .. و الحر بيك المقدس (الحمص الأخضر - الملانة) و الذي تشبه حبهته رأس الصقر و ينضج و يمتلئ في مثل هذا اليوم من العام ليكون بمثابة اعلان عن قدوم الربيع.. هذا بالإضافة الى البصل الأخضر لطرد الأرواح الشريرة و قهر الموت و التغلب على الأمراض " .

بدا على حابيس الأنزعاج من امر تناول البصل ، فاستطردت الأم قائلة : " أعلم يا بني انك تكره البصل .. لكن هل سمعت بنياً الملك و الطفل الوحيد ؟ " ، أجابها حابيس : " لا و ما تكون تلك الفصة ؟ " ، أجابته الوالدة : " يحكي ان أحد الملوك كان له طفل وحيد .. و كان محبوبا من عامة الشعب .. و أن هذا الأمير الطفل مرض بمرض عضال .. أففده الفدرة على الحركة .. و تعرض لشلل تام في أطرافه .. و عجز الأطباء و الكهنة و السحرة على

أرض جوش

علاجه .. فلزم الأمير الطفل الفراش عدة سنوات .. لم تقم خلاها
أية احتفالات أو أفراح بالعيد .. مشاطرة من الشعب للملك في
أحزنه .. وكان أطفال المدينة يقدمون الفرايين للأله في المعابد
في مختلف المناسبات .. طالبين لميرهم الطفل الصغير الشفاء
من مرضه .. و ذات يوم استدعى الملك الكاهن الأكبر للأله أمون
.. فأخبرهم الكاهن أن مرض الأمير الصغير يرجع الى وجود أرواح
شريرة تسيطر عليه .. و تفعهه عن الحركة بفعل السحر .. وأمر
الكاهن بوضع بصلة تحت وسادة الأمير لنكون تحت رأسه عند
غروب الشمس بعد أن قرأ عليها بعض التعاويذ كما روى لي أبي
.. و عند الصباح شفها و وضعها فوق أنفه ليستشفها .. و طلب
تعليق حزم البصل فوق سرير الطفل و على أبواب الغرف و
بوابات الفصر و ذلك لطرد الأرواح الشريرة .. و تروي الفصة أنه
بناء على ذلك تمت معجزة شفاء الأمير الصغير تماما .. و الذي
نهض من فراشه و خرج ليلهو ويلعب في الحديقة و عاد لسيرته
الأولى .. و فرح الملك و أقام الأفراح في الفصر .. و حضرها جميع
اطفال المدينة .. و شارك الشعب بكل طوائفه في هذه الأفراح
بالفصر " ، كان حاييس يستمع باهتمام بالغ الى تلك القصة ،

أرض جوش

فقد أعتاد على سماع مثل تلك القصص الشيقة من مربيته عندما كان صغيرا ، لكن تلك القصة لم تروها له السيدة نانيس من قبل ، فعقب على حديثها قائلا : " سيدة نانيس !! .. أنها قصة جميلة حقا .. لكني لن أأكل البصل رغم ذلك .. " ، فأجابته السيدة قائلة : " هكذا أنت يا حابيس .. لم تنغير .. عنيد ولا تغير موقفك الا بصعوبة بالغة .. لكنك يا ولدي طيب القلب قوي الشكيمة لا يفت في عضدك أي مصاعب .. تنغلب عليها ولا تغلبك .. سأدعوك الأله أن يرزقك الزوجة الصالحة التي ترعى شؤونك وتجلب لك السعادة الأبدية .. أنا من رببتك يا بني .. و لم اكن انجب .. و انت كنت و مازت دوما في منزلة ابني .. انني ان كنت أنجبت طفلا من رحمي ما كنت لحيه كما أحبك يا حابيس .. بارك الاله في عمرك و شبابك .. و نصرتك على كل عدو" ، ابتهج فؤاد حابيس كثيرا لسماع هذه الدعوات ، و سأل الله الأجابة ، ثم طرأ في خاطره سؤالا عابرا ، فقال لها : " مربيتي الغالية .. أريد أن أسألك سؤالا وددت لو اطرحه عليك منذ زمن .. لكني أعلم مدى حساسية هذا الكلام .. لذا لا أرغب أن يسمعنا أحد " ، فهمس حابيس في أذنيها سائلا اياها : " هل حقا تؤمنين

أرض جوش

بالأله ست الذي رفعه الملك على العرش و عظم شأنه و جعله
إله أواريس المعبود ؟ " ، أجابته المربية قائلة : " أرجوك يا
حابيس لا نتحدث في تلك الأمور الدينيه .. انني أخشى عليك يا
بني من بطش سوسرن رع .. ان جنوده و جواسيسه في كل مكان
.. و هو قد رفع المعبود الأله ست فوق كل الألهه .. و أمر بعبادة
ست و تقديم القرابين له .. لذا يا بني احذر كثيرا من النحدث في
هذا الشأن مع احد من العامة .. و على كل حال فهو أقل مجونا
من الأله مين الذي يحب تقديم الخس كقرابين له .. و ست أيضا
يحب الخس لذا أحرص على وضع كمية وفيرة من الخس في سلة
لنقديمها قربانا للأله ست .. معبود أواريس .. و اما فيما يتعلق
بذلك الأمر فسننحدث عنه فيما بعد .. أما الآن و نحن في الطريق
العام لا أقدر سوى ان أسأل الأله المعبود لك الحفظ و السلام !"
، ثم تركها عند دار أقاربها ، و انصرف للانضمام الى الجند في تأمين
موكب الملك .

مضى حابيس في طريقه نحو وسط المدينة ، حيث وجد جمعا
حاشدا من جنود الملك و هم يأخذون التعليمات من كبير الجند
، أنضم اليهم حابيس على الفور مرتديا لباسه العسكري

أرض جوش

المخصص لحراس الملك ، و بدأت مراسم الاحتفال بقدوم الملك سوسرن رع ، و عند دخول الملك الى ساحة الاحتفال ، امر كبير الجند بالدق على الدفوف و الطبول ابتهاجا بوصول الملك ، و بعدها تقدم رئيس البلاط الملكي (و رئيس مقاطعة ارض جوشن و حامل أختام الملك) الموكب الملكي ، و كان يرتدي مئزرا نصف مضفر ، يلتف حول بدنه من اليسار الى اليمين في اتجاه عكس دوران عقارب الساعة ، و كان الجزء المضفر الذي يشد الى الأمام يحفظ من الإتساخ أو التثني بالأصابع أثناء شده الى موضعه بإستخدام عروة أو لسان خلف الحزام ، و قد عقدت في وسط الحزام عقدة أنشوطية من نوع غريب بنهايتين تثنيان فتختفيان ، و قد كان ذلك الزي الرسمي الذي يظهر به رئيس البلاط الملكي و نبلاء القوم و كبار المسؤولين في الدولة ، و قد عمد حقاو خاسوت (ملوك الرعاة - الهكسوس) على تقليد أهل كيميت متبعين تقاليدهم و أزيائهم الرسمية في مثل تلك المناسبات ، ليضيفوا نوعا من الشرعية على بلاد القبط ، و لبسط نفوذهم على سكان البلاد الأصليين ، عندما يظهروا أمامهم ملتزمين بعاداتهم و تقاليدهم المتبعة ، كنوع من الاحترام و

أرض جوش

التقديس لحضارة بناء الأهرامات العريقة ، ثم صاح رئيس البلاط الملكي في الحشود الوافدة من كل بقاع أرض جوش مخاطبا فيهم : " أيها الشعب الرعية .. عباد الملك الآله الطيب .. ملك أهل كيميت .. و ملك ملوك الأعراب .. رحبوا بالملك المظفر بن الشمس حاكم الأرضين .. رحبوا بقدوم الملك خيان سوسرن رع .. فليعم الرخاء على أبناء أرض جوش الذين أنبتوا ولائهم للملك و قاموا بتشييد الحصون حول المدينة الني امر بها الملك .. لنحميكم من هجمات الآشور .. أيها الشعب الرعية .. عبئد الإبه الطيب سوسرن رع .. أبشروا بحلول فصل الحصاد و الازدهار على مدينتكم .. لقد جاء الملك ليشهد معكم احتفال أهل كيميت بعيدهم عيد شمو .. و تعظيما لهذا اليوم أعلن افنناح معبد الآله ست .. الآله المعبود و المعظم على كل الآلهه .. ليكون معبود مدينة أواريس المحصنة .. عاصمة الأمبراطورية الجديدة المترامية الأطراف .. و لنكون مركز تجاريا و ثقافيا لأمبراطورية الجديدة .. فلنسجدوا جميعا للملك " ، و لما انتهى رئيس البلاط الملكي من خطابه ، خر جميع الحشد و الوفود و الجنود سجدا أمام الملك ، و تقدم كبير الكهنة و المكلف بادارة المعبد الجديد

أرض جوش

ليلقي خطابه على عوام الرعية ، و كان يرتدي زيا مصنوعا من التيل ، و فوقه جلد نمر حقيقي ، و قد ألتف حوله عدد كبير من الكهنة يلبسون القمصان الضيقة ، ثم بدأ كبير الكهنة خطابه الذي قال فيه : " ايها الشعب عبيد الملك .. الأله الطيب سوسرن رع .. الآن سوف يتوجه الملك سوسرن رع لأفئناح المعبد الجديد و رفع الأله ستخ على العرش .. ليصبح اله الامبراطورية الجديدة .. و قد أمر الملك عامة الشعب بتقديم الفرائين للأله ست .. كما أمر بذبح العديد من رؤوس المواشي قربانا للأله ست معبود أوارييس الجديد .. و سوف يقوم الجنود بتوزيع لحوم الذبائح عليكم .. ليعم عليكم الرضاء .. فلنأكلوا و تهنئوا و تبتهجوا بعيدكم .. كما امر الملك بصنع تماثيل جديدة على شكل أسد تحمل اسم الملك الخالد سوسرن رع .. و لقد أمر الملك الرعية بإئناء تلك النماثيل في بيوتهم .. و سوف تخصص عطايا كبيرة للمفنايين النحاتين الفبطين المهرة الذين شاركوا في صنع هذه النماثيل .. أما شعب العبرانيين من العمال و الخدم فقد خصص لكم الملك مكافأة عظيمة حيث أمر بصرف سلال من الغلال و اللحوم لكل أسرة منكم .. حتى تبقى بيوتكم توقد فيها

أرض جوش

النيران الى نهاية الاحتفال .. تفديرا من الملك الأله الطيب على
مجهوداتكم في ترميم المدينة و رفع كفاءتها و تشييد حصونها ..
و أما جنود الملك العظام ففد امر لكم بصرف علاوات كبيرة على
اجوركم هذا العام لدوركم العظيم في تأمين عاصمة البلاد.. لذا
فانه يتوجب عليكم الآن أن لننوجهوا الى الأله ست خاشعين
سائلين اياه ان يحفظ عليكم ملككم العظيم " .

انتهى كبير الكهنة من خطابه ، و توجه بصحبة الوزراء و كبار
المسؤولين لإفتتاح المعبد أمام الشعب ، الذين تجمعوا في
الساحة الكبيرة أمام القصر الملكي ، ثم دخل الملك الى المعبد
، و قام بتقديم القرابين للأله ست ، و رفعه على العرش ، ليعتلي
عرش الملك الألهي ، و يكون "ستخ"(ست) حاميا لدولة هك
خاسوت (ملك الرعاة) الجديدة ، المترامية الأطراف ، فيما قام
وجهاء القوم بتقديم القرابين للإله ست معبود أوريس الجدي
حاملين الأكاليل احتفالاً بتلك المناسبة .

انتهى الأحتفال في الساحة الكبيرة بوسط اواريس ، ثم توجه
الملك بعد ذلك لمتابعه أعمال البناء في تشييد الحصون
الجديدة حول المدينة ، حتى توقف موكب الملك امام سور

أرض جوش

الحصن الكبير ، و نزل الملك من عربته الحربية التي يقودها جوادان أبيضان قويان ، و من حوله اصطف كبير الكهنة و رئيس مقاطعة جوش و الوزراء و كبار المسؤولين ، و من خلفهم اصطف الجند مؤدين التحية العسكرية الخاصة بالملك ، و سجد جميع العبيد الذين سخرهم الملك في أعمال التشييد و البناء ، و شتى الأعمال الدونية كخدمة و جهاء القوم و كبار المسؤولين بالمدينة ، و بينما إلتف جميع العمال في ذلك الحصن حول الملك ، نظر اليهم حابيس في تعجب و دهشة ، ثم مال على أذن زميله الجندي الذي كان يقف ثابتا بجانبه ، و قال له : " هل لك أن تخبرني من هؤلاء القوم يا زميلي العزيز؟" ، أجابه الجندي في أمتعاض قائلاً : " انهم عبيد المدينة .. قوم همج من العبرانيين .. كلفهم الملك بأعادة بناء المدينة و تشييد الحصن الكبير .. كما أوعز لعدد من المهندسين الأقباط الأكفاء بالأشراف عليهم .. لأنهم لا يقومون بالواجب المكلفين به على انم وجه .. لذا يجب على الملك أن يشدد عليهم حتى ينهوا من بناء هذا الحصن المنيع حول أواريس " ، ثم عم الصمت في المكان ، و قام الملك بألقاء خطابه على العمال العبرانيين ، حيث وعدهم في أول الأمر

أرض جوش

بمنحهم العديد من المكافآت و العطايا في حال انتهائهم من بناء الحصن المنيح في وقت وجيز ، و هددهم بالعقاب الأليم في حال تقاعصهم عن أداء الخدمة الألزامية ، و فرض الضرائب الباهظة عليهم عقوبة لهم على عدم إخلاصهم لملك البلاد ، و عدم أمتثالهم لأوامره ، حتى انتهى الملك من خطابه الذي كان يحمل نبرة ترهيب قوية للعمال ف المشرفين على بناء الحصن ، و بينما كان الملك يلقي خطابه تذكر حابيس أمر تلك الفتاة التي أخبره الجنود انهم وجدوها معه في الصحراء مغشيا عليهما ، و تذكر عندما أخبره أحد الجنود أنهم نقلوها الى قومها ، و اخذ يفكر مليا في احتمالية أن تكون تلك الفتاة موجودة ضمن أولئك العبرانيين الذين يعملون على بناء الحصن الجديد ، لذلك ظل حابيس ينظر إليهم بشغف عساه أن يجمعه القدر بها مجددا ، ليعرف منها ما الذي حدث لهما في ذلك اليوم .

3



المشهد الثالث

شعب إسرائيل

في اليوم التالي صباحا ، خرج حايبس صباحا مع عدد من الجنود الي الحد الشرقي من المدينة ، قرب الصحراء الشرقية الشاسعة ، للقيام بالتدريبات العسكرية الصباحية ، و تلقي دروسا في فنون الحرب و القتال ، قبل الذهاب لمتابعة سير العمل في بناء حصن اواريس العظيم ، و هناك أجمع بهم كبير الجند و قائد جيش مقاطعة أرض جوش الشمالية الشرقية ، و الذي كان بدويا راعيا

أرض جوش

من أصل أسويي ، ينتمي لأحدى قبائل الهكسوس ، و كان شاب صغير ولوع بأن يصبح في إحدى الأيام من جنود العربات ، و هم الذين يقاتلون بالعربات الحربية التي تجرها الأحصنة القوية ، حيث يقف في العربة جنديان أحدهما يقودها و الآخر يحارب ، و قد تلقى ذلك القائد الجديد تدريباته العسكرية على يد احد أمهر القادة العسكريين القبطيين من المحاربين القدامى في الدولة قبل سيطرة حكام البدو (الهكسوس) على مفاصل الدولة ، مستغلين ما تعرضت له البلاد من انقسامات حادة و تصدعات و خلافات خلال حكم الأسرة الرابعة عشر التي كانت تحكم شمال البلاد في ذلك الوقت ، ثم تمت ترقيته الى قائد الجيش الشمال شرقي في عهد الملك الجديد ، و قد استهل كبير الجند خطابه قائلا : " أيها الجنود .. حماة العاصمة الجديدة .. و حراس الملك الأله الطيب .. إن الجندي و العسكرية حياة صعبة .. لما فيها من النزم بالفوانين و التدريبات العسكرية الشاقة .. و الني لا يقوى عليها أي فرد عادي .. و أني احذركم من الاستهانة بتلك المهنة الهامة .. و لنكونوا على علم مسبق بأنكم معرضين دائما لأشد أنواع العقوبات و أقساها .. في حال ارتكب احدكم أقر

أرض جوش

الأخطاء وأهونها .. فإذا جاء يوم النفينش و وجد أقل تفصير من احدكم .. او وجدت إحدى المعدات الخاصة بكم بها خلل فإيه سوف يطرح أرضنا و يضرب بالعصا ضربا مبرحا حتى الهلاك .. و عن ذلك العقاب لهو اهون بكنير من حالة الجنود الصغار و العبيد الذين يجلدون في ثكناتهم و يصلبون في جزوع النخل لأي هفوة تصدر منهم .. و أنكم أيها الجنود لننكبذون أشد المتاعب أثناء سيركم للحروب حاملين معداتكم و لوازمكم و آلات قنالكم .. و كنير ما تضطرون لشرب المياه الفذرة أثناء اجتيازكم الصحراء .. أيها الجند العظيم إن العسكرية شرف كبير ... و إنكم حماة البلاد الين تم أخنياركم بعناية للحفاظ على وحدة تلك الدولة الجديدة .. و قد أمر الملك بإشياء قوات جديدة خاصة بحماية المعبد الجديد .. و سوف يتم اخنيار الجنود الأكفاء منكم للعمل في تلك القوات .. و سوف يكون الاخنيار بناء على مدى الأخلاص للدولة و الأمتثال للأوامر و طاعة الملك و الأيمان بالإله ست معبود الدولة الجديد .. و عليه فسوف يتم اخنيار قائدا محنكا منكم .. يمتلك القوة و الشجاعة و لأدارة الأمور بحنكة و ذكاء .. و سوف يتم اخنيار بناء على مدى امتلاكه للشخصية

أرض جوش

الفيادية الفوية و مدى اخلاصه للملك و وفائه للإبه ست .. و هو ما يجعل الجميع يقدره، و يخشاه في نفس الوقت .. أيها الجند المهيب ليكن ولائكم للدولة و انمائكم للملك و حبكم للإبه ست هو شعاركم في الجيش .. و لنكونوا على قلب رجل واحد تحت قيادتي و زعامتي .. و من يرتد منكم عن تعاليمي فسوف اعاقبه عقابا شديدا " .

ظل حابيس واقفا في ثبات ، مصطفى لجوار المئات من الجنود ، يستمع لخطاب القائد الجديد ، و قد كان حابيس يكتم في داخله عداا شديدا لذلك القائد المستبد البربري الهمجي ، الذي لا ينتمي الى قومه و بني جلدته ، و قد كان ذلك الضجر مستشرى في نفوس الكثير من الجنود الأقباط الذين تم تسخيرهم للعمل في الجيش ، تحت قيادة زعماء قبائل الهكسوس ، و قد جرت العادة على تمييزهم عن بقية الجنود الأشداء القساه من الرعاة ، فكلما كان الجندي ينتمي لعشيرة الملك او الصفوة من كبار المسؤولين بالمدينه كلما ازدادت فرصه للترقية السريعة ، و التي ما كانت تعتمد اطلاقا على الكفاءة ، و انما كانت تقاس بمدى الانتماء لقبائل الهكسوس التي تحكم البلاد ، و مدى

أرض جوث

الاخلاص في حب الملك و عبادة الإله ست أو كما كان يطلق عليه القوم الرعاة الإله بعل ، و عندما انتهى كبير الجند من خطابه ، تفرق الجنود كل في فرقته ، بينما ذهبت الفرقة التي ينضم اليها حايبس لمتابعة سير أعمال البناء في الحصن الجديد ، لكن حايبس ترك الجنود و ذهب منفردا الى البادية على أطراف المدينة ، حيث القرية التي يسكنها العبرانيون ، باحثا عن تلك الفتاة العبرانية التي وجدها الجنود بجانبه في الصحراء الشرقية مغشيا عليهما ، حتى وصل حايبس الى قرية صغيرة في الحد الجنوبي من مدينة تانيس ، على مشارف الصحراء في فضاء واسع من المرعى ، كانت تلك القرية النائية يسكنها العديد من العبرانيين ، الذين يعيشون في خيم فقيرة بائسة ، و أغلبهم من الخدم و العبيد و العمال ، و قد سلبت مراعيهم و مواشيهم ، و صاروا يعملون فقط في خدمة سكان المدينة المحتلين الجدد ، و كانوا يلبسون ثيابا بالية من أقمشة رديئة و رثة للغاية ، كانت عبارة عن قطع مستطيلة من القماش الرث ، يلفونه حول صدورهم ، و كانت النساء يرتدون نفس النوع من القماش الرث ، بالإضافة الى قميصا رديئا من القماش البالي له أكمام طويلة ،

أرض جوتش

يغطي اكتافهم و صدورهم و بطونهم ، كان يغلب على لباسهم اللون الأسود ، في حين أنه كان يختلف كثيرا عن لباس سكان المدينة من الآسيويين الرعاة و الأعراب العمالقة و البدو الكنعانيين و الأقباط الأصليين ، حيث كان رداثهم أفضل حالا منهم ، و كان في الغالب مصنوع من الكتان و الصوف و الحرير ، و يحمل تطريزات متنوعة ، مزينين ملابسهم بالخرز الملون ، بينما كانت النساء ترتدي لباسا قصيرا يعلو الركبة بقليل ، و صادرا مزخرفا ، يلبسونه على صدورهم بدون أكمام ، و بطونهم كانت عارية، و هناك رآه أحد الفتیان بزیه العسكري ، فأسرع ذلك الفتى الى قومه محذرا اياهم من قدوم احد الجنود و بطشه بهم ، و قد بدا على ذلك الفتى الرعب الشديد للوهلة الاولى التي رأي فيها حابيس بزیه العسكري المعروف .

انطلق الفتى العبراني الصغير مسرعا الى داخل القرية ، و صاح في قومه قائلا بلغة عبرانية سامية لم يكن يفهمها حابيس جيدا ، و كانت تلك اللغة شبيهة الى حد كبير بلغة الآسيويين الساميين الرعاة ، و هي من اللغات السامية الآسيوية ، و تختلف اختلافا كبيرا عن اللغة الهيروغليفية التي كان يتكلم بها حابيس

أرض جوث

و أهله من القبط ، لكنه تعود على تلك اللغة و صار يفهم الكثير منها مع الوقت ، بعد أن استوطن الأسيويون بلاد القبط ، و اختلطوا بسكان البلد الأصليين ، كان ذلك الفتى يصرخ قائلا: " ادخلوا الى خيامكم فوراً .. لقد حضر احد الجنود من حرس الملك .. و سوف يبطش بكم .. اهربوا بسرعة حتى لا يمسكم منه عذاب عظيم .. أيها الفوم ادخلوا الى مساكنكم بسرعة " ، و في لحظات قصيرة صارت القرية كمدينة أشباح لا يتواجد احد خارج الخيام ، لكن حابيس أقرب أكثر من إحدى الخيام ، و دخل اليها باحثا عن ذلك الفتى ، أخبره اهل الخيمة مفزوعين أن ذلك الفتى لم يأتي عندهم ، فخرج حابيس من خيمتهم ، و ظل يبحث عن ذلك الفتى ، حتى وجده يفر فزعا الى داخل إحدى الخيام فنادي عليه ، و أسرع خلفه ، بينما كان الفتى قد أختفى عن ناظره ، فدخل حابيس الى تلك الخيمة التي ولج فيها الفتى ، و عندها رأى أم الفتى ، فأجهشت بالبكاء ، و توسلت لحابيس حتى يتركه و شأنه ، أخبرها حابيس انه لا ينوي أذيته ، و أن سبب وجوده هنا انه يبحث عن فتاه عبرانية وجدها الجنود مغشيا عليها في الصحراء ، و عندما سمعت تلك المرأة من حابيس ذلك الكلام ، صرخت

أرض جوش

و خرت تحت قدم حابيس ساجدة ، متوسلة إليه بأن لا يصيبها بأذى ، فقال لها حابيس : " انهضي يا امرأة .. ما جئت الى هنا لأتعرض لأحد من عائلتك بسوء .. فقط اخبريني أين يمكنني أن اجد تلك الفناه .. " ، تلعثت المرأة العبرانية ، و قالت في خوف : " أنها ابنتي يا سيدي !! .. أنوسل اليك أن تدعنا و شأننا و لا تمسنا بسوء .. و ان كنت ترغب فيها فهي انا امامك لتأخذ مني ما تشاء و لنصرف نظرك عن ابنتي " ، و صارت المرأة العبرانية تبكي بحرقة ، و تتوسل الى سيدها ليدع ابنتها ، فأجابها حابيس قائلاً : " ماذا تظنين أني فاعل بها ؟ " ، نهضت المرأة ، و قالت : " كما يفعل بقية الجنود .. يا سيدي اننا ندفع الضرائب و نطيع الملك و لا نعصي له أمراً .. نحن قوم مسالمون .. و لا نقوى على أذى جنود الملك .. أنهم حينما يأتون الينا يسبون رجالنا و يذبحون أطفالنا و يستحلون بناتنا .. و في ذلك بلاء من الرب عظيم لنا .. لكننا صابرون و محتسبون الأجر من الرب .. هو يرانا من حيث لا نراه .. و هو يسمعنا و يعلم بحالنا .. اننا مستضعفين في الأرض يا سيدي .. لذا أنوسل اليك أن تدع ابنتي ولا تصيبها بسوء " ، دمعت عيني حابيس لما قالته تلك المرأة العبرانية ، و

أرض جوش

سكت لبرهه ، ثم عاد ليقول لها: " و ماذا تريدني أن أفعل حتى تصدقين أنني ما جئت الى هنا لشر او أذي ؟ " ، فأجابته المرأة : " انني أتوسم فيك الصلاح و التقوى يا بني .. فهل انت رجل قبطي ؟ " ، أجابها حايبس في وقار قائلا : " نعم انني قبطي من أهل شعب كيمت الأصليين .. ألا يبدو علي أنني لست بدويا بربريا؟ .. أننا بناة الاهرعات أصحاب أول حضارة على الأرض .. لا نذبح الأطفال و لا نستحل نساء غيرنا .. و لا نستعبد الرجال .. اننا شعب متحضر أبناء ذلك الوادي الخصيب المبارك " ، أوامأت المرأة برأسها ، و قد بدا عليها أنها اقتنعت بكلام حايبس ، فردت عليه قائلة: " أعلم ذلك يا بني .. لقد عشنا بين أهل الفيط سنينا .. و تأله ما وجدنا منكم غير كرم الضيافة و حسن الاستقبال .. هل لي ان أعرف فيما تريد ابني ؟ " ، أجابها حايبس : " انني أرنت فقط أن اطمئن عليها .. لقد علمت أن الجنود قد وجدوها مغشيا عليها الى جانبي في الصحراء .. لكنني لا اذكر تفاصيل ذلك اليوم .. و لا اعرف ماذا حدث لنا في الصحراء .. و قد علمت انهم قد حملوها و جلبوها الى قومها .. لذا فأنتي اطلب منك ان تخبريني بمكانها فورا و دون تردد " ، فأشارت له المرأة العبرانية

أرض جوش

على مكانها ، فذهب حابيس حيث أشارت له المرأة ، فوجد فتاة
حسنة شديدة الجمال ، تجلس القرفصاء ، و قد رفعت يدها الى
السماء ، فسمعها تتمم بكلام بالعبرانية و تقول :

" الهي .. يهوه العظيم الخالق .. ربنا و رب آل اسرائيل .. رب
موسى و هارون .. رب الخلاص الأعظم .. خلصنا من العذاب كما
وعدتنا .. الهي ياهوه بك احتمي .. يا ملجأى و مناصيى لك ألجا
.. خلصني من الظلم و نجني و قومي من العذاب .. اقض لي يا
الله و خاصم أمة غير راحمة .. و من الظلم نجني .. كن ضامن
عبدك للخير .. لكيلا يظلمني المستكبرون .. انقذني يارب من
أهل الشر .. و من رجال الظلم احفظني .. اللهم انتقم من القوم
الظالمين .. و انزل عليهم مقنك و غضبك حتى يؤمنوا بدعوه
موسى .. اللهم رد علينا موسى سالما غانما .. و أنصر، على القوم
الكافرين .. اللهم انتقم منهم و انزل عليهم البلاء و الوباء .. اللهم
عاقبهم بتحول مياههم الى دماء .. و موت الأسماك في الأنهار ..
و عاقبهم يارب بالصفادع و البعوض و الذباب و البرد و الجراد و
الظلام .. فهؤلاء جنودك المخفيين .. تسلطهم على من تشاء من
عبادك .. اللهم انك تنقم للأبرار .. ليس من منطلق النار الخارج

أرض جوش

عن السيطرة .. و لكن من منطلق الفصاح العادل من قبل
الديان الأبدي الذي أحكامه كلها عدل .. و حتى عندما يتألم
الأبرياء و يبدو الأشرار ناجحين .. فإن العقاب من حقت انت
وحدك .. اللهم إنك إبه غيور و مننقم و ذو سخط .. اللهم إنك
مننقم من مبغضيك و حافظ غضبك عن تابعيك و أحبائك ..
اللهم إنا شعبك المخنار الذي اصطفيتنا بالرسالات و الأنبياء و
بدعوة الحق .. اللهم اننقم .. اللهم آمين " .

ظل حابيس واقفا خلف الستار ، يستمع لدعاء تلك الفتاه
الخاشعة ، حتى انتهت من حديثها الى ربها ، فألقى عليها السلام
، فزعت الفتاة فزعا شديدا ، و رفعت غطاءا حريريا فوق رأسها ،
و التفتت إليه ، و قد خفضت وجهها في الأرض ، و قالت : " من
أنت ؟ .. و لماذا أتيت الى هنا ؟ " ، أفترب منها حابيس ، و حاول
طمأنتها قائلا : " لا تخافي .. عليك السلام من الإبه .. إسي أدعى
حابيس .. من جنود حرس الملك .. و قد جئت اليك لأطمئن
عليكي .. فلقد علمت أن الجنود قد وجدوكي مغشيا عليك في
الصحراء .. فهل تذكرني ذلك ؟ " ، ثم توقف حابيس عن الكلام
، و انتظر ردها ، فرفعت الفتاة العبرانية رأسها ، و نظرت الى

أرض جوش

حاييس و قالت : " إني لا أتذكر شيء .. من فضلك أذهب عني الان !! " ، كان واضحا على الفتاة الخوف من حاييس ، لذلك حاول حاييس التقليل من رهابها و قلقها ، فقال لها : " وكأنك لا تريدن النحدث إلي .. و الله ما جئت إلى هنا لأذيتك .. و إنما جئت لأقرأ عليك السلام .. لقد أخبرني الجنود انهم وجدوني مغشيا علي في الصحراء .. و ذكروا لي فناة كانت بجواري مغشيا عليها أيضا .. " ، ثم استطرده قائلا : " و لقد علمت أن تلك الفناة التي أشير اليها من الفوم العبرانيين .. كما أخبرني الجنود أنهم أعادوها الى قومها في ذلك اليوم .. و عندما ذكرت ذلك لأمك .. أخبرتني على مكانتك و كأنها تؤكد لي أن تلك الفناة التي أبحث عنها هي أنني .. أليس كذلك .. ؟ " ، أدارت الفتاة وجهها ، و أجابت : " بلى .. إنها أنا .. " ، ثم أعقبت قائلة : " و إني لا أعرف المزيد عن ذلك اليوم سوى ان اهلي أخبروني أن الجنود حملوني من الصحراء الى هنا .. حتى أنني لم أتذكر إسمي إذ عندما أخبرتني به والدي .. و كأنني جئت من عالم بعيد أو من زمن آخر .. لا أعرف شيئا غير أن إسمي سارة .. و هذا كل ما أتذكره " ، انتهت الفتاة من حديثها ، لكن ذلك زاد من حيرة حاييس ، فأعقب على كلامها قائلا : " سارة! .. يا له من

أرض جوش

اسم جميل !! .. إني مثلك تماما .. لا أتذكر الكثير عن ذلك اليوم .. ولا أعرف شيئا غير أن إسمي حابي سيس .. لكنك يمكنك أن تنادينني بحابيس .. يبدو علينا أننا نتشارك هذا اليوم الغامض .. " ، اقترب منها حابيس أكثر و وضع يده على كتفها ، ثم قال : " إني أشعر أننا نعرف بعضنا البعض منذ زمن بعيد .. إن وجهك الجميل هذا يبدو مألوفا كثيرا بالنسبة لي .. و يبدو أننا على اتصال روحي عظيم ببعضنا البعض " ، اضطربت سارة كثيرا ، و قامت بإنزال يد حابيس من علي كتفها ، و قالت له في حدة : " إنك إن حاولت تلك الكلمات الجميلة أن تدغدغ مشاعري .. لكنني لست كذلك .. ولن يمكنك النيل مني مهما فعلت " ، انفعل حابيس لكلامها ، و قال غاضبا : " و لكنك تعلمين أنني ما جئت لسوء .. غير أنني رغبت في أن أفاكي و أحدث إبيكي بشأن ذلك اليوم الغامض .. " ، ثم استطرد في قوله قائلا : " سارة .. أرجوكي بأن تنفي في .. فأنا لست من عينة أولئك الجنود الذين يستحلون نساء العبرانيين .. إني قبطني من أصل رفيع .. و قد فنحننا لكم بيوتنا و أرضنا و أستقبلناكم في بلادنا .. و كنتم لدينا من الأعداء .. و رفعتنا مكانكم بين شعبنا .. و حكم

أرض جوش

رجل منكم صالح أمين بلدنا .. فكان أمين خزائن البلاد في فنرات
الفتح و الجفاف في السنوات الفليلة الماضية .. " ، فأجابته سارة
قائلة: " لكننا صرنا في بلادكم مقهورين مستضعفين ... و صرتم
أنتم يا أهل القبط تعاونون الظلمة علينا و لا تناصرون الضعيف "
، غضب حايبس من قولها ، و قال : " خطأ .. ما تقولييه ليس
صحيح .. إن هؤلاء الأعراب البدو الكنعانيون الآسيويون من
قومكم و شعوبكم .. يتكلمون بلغنكم .. و هم من نفس جنسكم
السامي .. و نحن من نسل مصريين بن حام .. و هؤلاء القوم
جاؤوا الى بلادنا محتلين لها .. و نصبوا أنفسهم ملوكا على شعبنا
القبطي .. و فعلوا بنا الأفاعيل .. و رجعوا أبناء قبائلهم الشنى
علينا .. فصاروا يتحكمون في ماءنا و أرضنا و زرعنا و سمائنا .. و
صرنا نحن عندهم من الخادمين لحكمهم الجائر الظالم " ،
فأجابت سارة قائلة : " صدقت انهم من جنس سام و لكنهم
حملوا معهم الضغائن و الأحقاد على آل اسرائيل .. و كفروا
برسلات آبائنا و أجدادنا ابراهيم و اسحاق و يعقوب .. و
اضطهدونا و كانوا هم الغالبون .. و إنا اليوم في أرضكم ننظر
الخلاص من رب العالمين .. " ، رد عليها حايبس قائلا : " لقد

أرض جوش

علمت أن رجلا من قومكم قد قنل رجلا من حراس الملك ينسب الى قبيلة الملك .. وقد أمر الملك بقنله .. فهرب خائفا الى الصحراء و لم يرجع منذ ذلك الوقت " ، أكدت سارة على كلامه قائلة: " حقا .. إبه الرجل الأمين موسيه .. لقد أكرمه الرب بأن رباه في قصر الفصر .. لكن الملك سخط عليه لفعلنه ذلك .. رغم أنه ما قصد الفنل بل كان يدافع عن أحد رجالنا الذي قهره، ذلك الجندي وكاد يقنله .. فوكز، موسى فسقط صريعا " .

لم يستنكر حايبس كلام الفتاه العبرانية ، و شعر بأنها فتاة سالحة و ذكية ، و أراد أن يعلي من قدرها و شأنها ، فقال له : " أيتها الفناة الرقيقة المهذبه .. إنك ابنة رجال صالحين .. عاشوا على أرضنا دهرًا .. و أنفذونا من الهلاك أيام الفحط الماضية .. و إنني لأرغب في لفاءك مجددا بعيدا عن أعين العوام و جنود الملك .. فهل تعرفين تلك الشجرة العظيمة ذات الثلاث أفرع التي تنمو في الصحراء جنوب المدينة ؟ " ، أجابته سارة قائلة : " نعم .. إنها قريبة من هنا .. " ، أسرع حايبس قائلا : " إذن ليكن غدا موعدنا عند تلك الشجرة وقت الفيولة حيث يكون الجنود

أرض جوش

في غفلة عنا ... و ما الغد ببعيد! " ، لم تعقب الفتاة العبرانية
على كلامه ، و صمتت فيما بدا عليها الموافقة ، فانصرف حابيس
عائدا الى الجنود .



المشهد الرابع

)

جلس حابيس على مائدة الإفطار في الصباح ، و قال : " سيدة نانيس !! .. صباح الخير" .
نانيس : " صباح الخير يا بني .. كيف هو حالك اليوم ؟ "
حابيس مبتسما : " انني بأفضل حال ... أود النحدث معك في أمر الإبه ست الذي رغبني النحدث معي عنه في قارعة الطريق "
نانيس : " يا بني .. لما تشغل بالك بمثل تلك الأمور الدينية ..

أرض جوش

إبني أعلم يقينا درجة ايمانك .. لكنك تعمل في حراسة الفصرد
الملكي .. و مثل تلك الأحاديث قد تسبب لك المتاعب الني انت
في غنى عنها .. إن ذلك الملك باطش و لا يعرف الرحمة "
حاييس منفعلا:" و لماذا كنما ذكرت لكي هذا الموضوع يسيطر
عليكي ذلك الخوف اللعين اللاإرادي ؟ ... إسا نحدث فيما بيننا
.. و ليس هنالك من أحد سوانا في هذا النقاش .. إبكي أكبر مني
سنا و قد عشنني في تلك الأرض من قبلي و من قبل هؤلاء الحكام
الظالمين .. و إبكي لأكثر مني دراية بتاريخ تلك البلاد قبل هذه
الفنرة المشنومة من تاريخ بلادنا "

السيدة نانيس : " لنعلم يا بني أنني قدمت مهاجرة من مدينة
منف الرائعة .. و الني كانت عاصمة البلاد الموحدة آنذاك .. و لقد
كنت أعمل خادمة في بيت والديك .. و ما وجدت منهما غير
حسن المعاملة و الإحسان لي و لزوجي .. و كنت لا أنجب .. و
عندما توفي زوجي قطعت عهدا ألا أتزوج برجل آخر من بعده ..
رغم أنني كنت لا أزال شابة صغيرة في مقنبل العمر .. لكننا كنا
زوجين رائعين .. لقد كان رجل طيب و حنون .. و رغم أنني لم
أكن أنجب إذ أنه ما تركني و لم يفكر في الزواج بأمرأة أخرى تهب

أرض جوش

له الذرية الني كان يحلم بها .. أه يا بني لقد مضى عمر طويل
على تلك الأحداث و قد صرت الآن عجوز و لم يتبق في العمر
الكثير يا بني .. فلا ترهقني بالفلق عليك " .

عقب حابيس و قد كان يستمع للسيدة العجوز بإنصات ، فقال
: " يا لكي من إمرأة عظيمة حقا ! ...لقد أخبرتيني من قبل عندما
كنت صغيرا عن أبي و أمي .. و أذكر ذلك الكلام الطيب الذي
قلنيه في حقهما .. لكنني لا أعرف لماذا قررا أن يتكونني معي و
يتخليا عن تربيتي .. ألم يكونا يحبونني ؟ .. أم أنهما كانا لا يرغبان
في تربية الأبناء ؟ " .

فأجابته السيدة نانيس قائلة : " لا يا بني .. إن والديك كانا
عظيمان .. كان والدك يعمل كاتباً في قصر الملك و قد ورث هذا
العمل العظيم عن أجداده و أبائه ... و كان جدك الأكبر سنوحي
ذي شأن عظيم في عهد الملك أمنمحات الأول .. و لقد كان جدك
سنوحي رجلا من بلاط الملك .. و كان يعمل كاتباً في القصر
الملكي .. فكان يصنع الفلم من غاب النيل .. و صنع الورتى من
عيدان البردي الذي ينمو على شاطئ النهر .. و قدم له النيل
زهرة النيل السحرية ليصنع منها صبغة حبر الكتابة الأزرق

أرض جوتش

المميز .. كما صنع الفرشاة من ريش الأوز الذي يسبح على النهر .. و صنع الألوان من أكاسيد المعادن .. و بتلك الأدوات الني كان يصنعها جدك بأكملها و توارثها والدك من بعده .. قدم لبلاد الفبط أعظم الفنون و العلوم ... و لقد كان جدك الأكبر يحظي بمكانة مرموقة في عهد الملك أمنمحات الأول .. و حدث أن كان سنوهي برفقة الأمير ولي العهد سنوسرت الأول مع عدد آخر من الأمراء من إخوة سنوسرت في حملة عسكرية أرسلها الملك أمنمحات الأول (والد سنوسرت) إلى الصحراء الشمالية الغربية .. للحرب ضد قبائل النخو (في ليبيا) .. حيث فوجئ الجميع و هم على الحدود الغربية لمصر أثناء عودتهم من نصرين و معهم الغنائم بمجئ رسل من الفصر الملكي تخبرهم بموت الملك أمنمحات الأول .. و قد أخفي الأمير سنوسرت عن جيشه نبأ وفاة والده .. و لكن جاء رسول خاص لأحد أبناء الملك الآخرين من الذين كانوا في الحملة العسكرية .. و يبدو أن هذا الأمير كان طامعا في العرش دون أخيه سنوسرت ولي العهد .. و قد سمع جدك الأكبر سنوهي لغطا كثيرا .. و فهم منه أن ذلك الأمير يدبر لفنل أخيه الأكبر سنوسرت ليسيطر على العرش .. فأسرع ليخبر

أرض جوش

الأمير سنوسرت بما سمع .. لكن احد أتباع الأمير الصغير قد لاحظته فهرع ورائه ليقنله .. فاضطر جدك سنوهي الأمين للهرب خوفا على حياته .. حتى وصل الى حدود البلاد الشرقية .. و وقع فريسة العطش و جف حلفه و ظن أنه الموت يطل برأسه عليه .. و هنا تدخلت العناية الإلهية لننقذه من الهلاك .. عنما رأى بعض البدو يأتون نحوه .. و قد عرفه شيخهم الذي زر البلاد من قبل .. فأعطاه ماء و طعاما .. و ذهب معه الى قبيلته حيث أحسنوا معاملته .. و قد لاقى جدك معاناة كبيرة محفوفة بالمخاطر خلال رحلته تلك .. و كانت البلدان تسلمه لبلدان أخرى .. حتى وصل الى بلدة تدعى جييل (شمال بيروت) و هناك تعرف على الأمير عامو ننشي أمير رنو العليا (الشام) .. حيث انخذه الأمير طبييا خاصا له .. بعد أن ساهم في علاجه من مرض عضال .. و قد أكرمه الأمير و أنزله منزلا حسنا .. ثم حدثت بعد ذلك اضطرابات في تلك البلاد من بعض قبائل الرعاة الكنعانيين هددت عرش أمير البلاد .. فعينه أمير رنو العليا قائدا لجنوده .. و قد استطاع سنوهي بما له من خبرات في هذا المجال أن يحقق النصر في كل حملانه الني كان يقودها ضد زعماء القبائل

أرض جوش

الكنعانيين الذين كانوا يحدثون تلك الاضطرابات .. و قد كنب
جداك الأكبر سنوهي قصة جميلة و مشوقة عن تلك الأحداث ..
و تركت قصته الني كنبها بنفسه عن الملاحم الشعبية الني قام
بها في تلك البلاد أثرا كبيرا في نفوس العائلة الملكية في بلاد الفيط
و بين عوام الشعب .. حتى صارت يردها المنشدون و
المداحون في البلاد بعد عودته الى أرض الوطن من جديد ... و
إني لأتذكر تلك الفصة العظيمة الني كنبها جداك العظيم
سنوهي .. و الني يتذكرها اهل الفيط جميعا .. فقد كنبت على
جدران المعابد و البريات و نفشت على قبره .. و كان لها بالغ
الأثر في عودته الى أحضان الوطن .. و إني لأتذكر بعضا من تلك
الفصة الجميلة كما رواها جداك .. و سأذكر لك بعضا من تلك
الفصة .. تقول الفصة الني تحكي عنه : (و كان هناك بطلا
منقطع النظير .. خضعت له جميع قبائل أرض كنعان .. و جاءه
بطل قوي من كنعان ليبارزه متحديا قوته و ليحطم سطوته .. و
تآمر مع رجال قبيلته ليأخذوا ماشية ذلك البطل و أملاكه غنيمة
سهلة في أيديهم .. و أدعى البطل الكنعاني أن رجاله فنحوا له
الأبواب ليخترقوا السياج و يسرقوا الدواب .. و ذلك حقا من

أرض جوش

أنفسهم عليه لأنه كان يمتلك قطعان مواشي كثيرة .. إن النور العظيم يحب النزول و لن يعلن تفهقره، خوفا من ثور ربما كان أقوى منه أو يضاهيه في القوة .. فإذا كان قلبه مصمما فدعه ينطق بإرادته .. و هل الإله يعلم بما قدر له ؟ .. أو هل يعلم هو كيف يكون المصير ؟ .. و في الليل شد البطل قوسه و حمل سهامه و خنجره .. و عند الفجر كانت كنعان بأكملها قد ثارت قبائلها و جاءت اليه لنقاتله .. فنهياً للنزول .. و هنا بزلهم كالنور الهائج .. ثم هجم ذلك الرجل عليه قبل إشارة المباراة فنفاذي البطل سلاحه بحركة خاطفة .. فسقط درع الرجل وفأسه .. فنركه البطل و لم يقض عليه بضربة قاضية .. و هو تحت رحمة سلاحه و قبضنه الحديدية .. و أعطاه الفرعة ليقرب منه و يهاجمه مرة ثانية .. فدفع بسهمه إليه فلصق بعنقه .. فصاح و هو يخور كالنور الفئيل .. و قد انبطح على أنفه فسحب البطل منه سيفه .. و أجهز عليه به .. و صاح صيحة النصر .. و هو يضع قدمه على رقبته فكان قربان لأرض الفبط أرض الإله .. إن ما دبره نكاية به جعله يرتد عليه .. و لقد كان الإله رحيمًا رحيمًا به بعد أن غضب عليه و جعله يفر الى أرض أخرى و يحرم من وطنه .. فعفا الإله

أرض جوش

عنه و اعاد الفرحة الى قلبه و نصره، على من عاداه) .. و فرح الناس لأنصار سنوهي على الفبائن الكنعانية .. و اكرمه الملك و قربه اليه و تبدل حاله الى الرخاء و رغد العيش .. و لكن في وسط هذا النعيم فإن سنوهي لم ينس وطنه الحبيب كيميت .. فأخذته الحنين اليه و تمنى ان يعود الى موطنه .. فأرسل خطابا الى الملك سنوسرت و زوجته يقول فيه : (أيها الإله العظيم يا من امرتني بالهروب .. و حميتني بالغرابة .. كن رحيمًا بي و أعدني ثانية الى مقر الملك لأرى المكان الذي يسكن فيه قلبي .. و حتى تدفن جثتي في الأرض النقي ولدت فيها و خرجت منها .. و بالفرب من أحببت) .. كما اخبر جدك سنوحي - في ذلك الخطاب - بأنه يحفظ للملك و للعائلة كل ولاء و أنه هرب خوفا على حياته ممن تآمروا على قنله .. و قد تلقى سنوحي مرسوما ملكيا بالعفو عنه و أمره بالعودة الى مصر .. فعاد جدك فوراً الى مصر .. و عندما وصل الى حدود مصر صحبه رجال الفصر الى العاصمة و جاءوا في الصباح المبكر لدعوته لزيارة الملك و كان أبناء الملك في استقباله عند بوابة الفصر .. و كان اللقاء بين جدك و الملك و ديا لأبعد وصف .. و لقد وصف جدك ذلك اللقاء بأن قال : (كان

أرض جوش

احتفالا لن أنساه و لن تستطيع السنون سرقة من عمري) ...
و عينه الملك أمينا على الفصر .. و قد أمر الملك سنوسرت
بإقامة قبر لجديك من الحجر وسط المقابر الملكية و بجوار قبر
الأميرة ... و قد أشرف عليه كبير مهندسي العمارة بأمير
الملك العظيم العادل سنوسرت " .

كان حابيس يستمع لكلام السيدة العظيمة نائيس ، و قد امتلأ
فخرا و زهوا بتاريخ آبائه و أجداده ، و كان يشعر بالرغبة و
الحماس لمعرفة المزيد عن تاريخ والده ، فراح يسأل السيدة
نائيس قائلا : " و ماذا عن أبي أيتها السيدة العجوز الوقور ؟ ...
أرجوكي حدثيني أكثر عنه و عن والدي ؟ " .

تنهدت السيدة نائيس تنهيدة عميقة ، و كأنها تستحضر أمامها
كل تلك الذكريات ، و قالت : " لقد كانت والديك سليلة الملوك
و حفيدة الأمراء .. و حظيت بتربية مرموقة في كنف العائلة
الملكية وسط النبلاء و عظماء الفوم ... و قد أهداها الملك لأبيك
لنكون زوجة له بعد وفاة جدك تقديرا لمكانة أجدادك في البلاد
آنذاك .. و لقد كان والدك يعمل كاتبا في قصر الملك .. كما أبدع
والدك في علوم الطب و الكيمياء و الهندسة .. و ألف كتب كثيرة

أرض جوش

في هذه المجالات .. أما جدك والد أبيك فقد كلفه الملك سنوسرت الثالث عام 1850 بالإشراف على حفر قناة سيزوستوريس لربط الدلتا ببحر آروتاري (البحر الأحمر) ... وكان مهندسا بارعا و ذكيا للغاية .. وقد منحه الملك عطايا و مكافئات عظيمة بعد الأنهاء من حفر تلك القناة .. وأمر بترقمته ليصبح من كبار المهندسين في البلاد آنذاك ... و بعد وفاة الملك كنب الشعراء قصائد مدح تخليدا لذكرى ذلك الملك العظيم .. و قد قال أحدهم : (و الرعب منه قد ذبح قبائل البدو النسعة .. فهو الذي يفوق سرعة السهم كالإبهة سخمت و ما أنظم اغنباط مصر بقوتك فقد حميت النظام القديم) .. و قد حكم من بعده الملك أمنمحات الثالث .. ثم حدث بعد ذلك بزمان طويل صراعات عظيمة .. و أثرت تلك الصراعات على أرض الفبط و استقرارها .. و باتت الدولة ضعيفة و منقسمة .. حتى تمكن أحد الملوك الأسيويين البدو الأجانب من اقنطاع جزء من الدلتا و جعلها تحت سيطرته .. ثم صاروا يتمددون و يتوسعون و يسيطرون على أجزاء واسعة من البلاد .. حتى سقطت منف عاصمة البلاد في أيديهم .. و قرر والدك الهروب مع من تبقى من الملوك و

أرض جوش

الأمراء الى صعيد البلاد و عاصمتها القديمة طيبة .. و هناك
استقر بهم المطاف و عملوا على حماية جنوب البلاد من غزوات
الملوك الأجانب الوحشيين .. ولما وجد والدك خطرا على بقائك
معه قرر أن ييقبك معي و طلب مني بأن أقول أنك ابني حتى
تجو من بطش الهكسوس .. و لقد تم أسري من منف الى هنا
مع الكثير من نساء منف و رجالها للعمل في تشييد أواريس من
جديد لجعلها عاصمة جديدة لهم .. و تم تجنيديك في الجيش
إنزيميا و معك الكثير من الأطفال و الرجال الأشداء .. و كان
والدك يهدف بذلك الأمر أن ييقبك في شمال البلاد حتى تصبح
يوما ما قائدا عسكريا عظيما و شوكة في ظهر الأعداء .. و تستعيد
البلاد من مغنصبيها .. بعد أن علم ان الهكسوس يذبون أطفال
نبلاء الفوم و يأخذون أبناء عامة الشعب أسرى لنجنيدهم في
الجيش ... و لقد أوصاني والدك بأن أزرع في قلبك حب الوطن و
أن أربيك على النار لأهلك حتى تشب و تكون قادرا على تحرير
الوطن من أيدي الغزاة الرعاة "

كان وقع ذلك الحديث الطويل كبيرا على فؤاد حابيس ، فلقد
تأثر تأثرا بليغا من كلام السيدة نانيس ، و دمعت عيناه حزنا على

أرض جوش

ما لحق بأهله و قومه من أذي ، و على ذلك المآل الذي آلوا إليه من تشرذ في البلاد ، بعد ان تمزقت أوصال دولتهم العظيمة ، و صارت أرض القبط تقبع تحت حكم ملوك الرعاة الأجانب (الهكسوس) الظالمين المستبدين ، و ما زاده ذلك الكلام إلا إصرارا على الثأر لأبيه ، و النيل من هؤلاء الغزاة المتوحشين ، ثم خرج حابيس من داره ، للذهاب الى عمله ، حيث كان عليه أن يتوجه الى كتيبة الجيش بعد ان تم إختياره للعمل تحت القوات الخاصة المكلفة بتأمين و حراسة المعبد الجديد ، و بعد ان انتهى حابيس من تدريباته ، تذكر الميعاد الذي أخبر به الفتاة العبرانية عند الشجرة في الصحراء من الجهة الشرقية للمدينة ، و كانت فترة الظهيرة حيث وقت القيلولة الذي يذهب فيه الجنود للإستراحة من مشقة اليوم الطويل .

ركب حابيس على ظهر جواده الأسود القوي ، فشد لجام فرسه ، و أسرع به متجها نحو الجهة الشرقية من المدينة ، حتى وصل الى أطراف المدينة ، فوجد هناك نخلة شاهقة في فناء كبير ، تنمو على ضفاف جدول مائي صغير ، يشق الأرض للسقيا ، فنزل حابيس عن جواده ، و ربطه بحبل طويل في النخلة ، و استبدل

أرض جوش

ملابسه العسكرية بملابس أخرى لعامة الشعب ، ثم قام بردم
ملابسه في التراب ، ونظر حوله حتى يتأكد من عدم اكتشاف أحد
لأمره ، ثم أسرع متجها نحو الصحراء ، راكضا على قدميه ، و قد
كان ينظر خلفه كثيرا في حذر شديد ، للتأكد من عدم اقتفاء أحد
لأثره ، حتى وصل الى شجرة الميعاد ، فلم يجد الفتاه هناك ،
فطفق ينظر حوله بحثا عنها ، فما وجد غير رمال الصحراء
الصفراء ، ثم لمح من بعيد أحد الأشخاص يركض نحوه ،
فاكتنفه الخوف من ان يكون ذلك الشخص أحد الجنود الذي
تعقب أثره باحثا عنه ، فاختم خلف الشجرة ، و جثم بركبتيه على
الأرض ، و هو ينظر من خلف الشجرة على ذلك الشخص الذي
بدا انه يركض نحو الشجرة ، حتى أقترب ، و اتضح له انها امرأة
، فنهض من مكانه خلف الشجرة ، و طفق يلوح لها من بعيد ،
حتى رآته الفتاة العبرانية ، و ركضت مسرعة نحوه ، حتى وصلت
الى الشجرة ، و وقفت أمام حايبس تلهث بشدة ، حتى هدأت
أنفاسها من أثر الركض ، فأخذ حايبس بيدها ، و طلب منها أن
يجلسا الى جوار الشجرة ، كي لا يلاحظهما احد .

أرض جوش

- حاييس : " هل رأكي أحد يا فناة ؟ "
- سارة : " لا أظن ذلك .. لقد كنت حريصة أشد الحرص على ألا يتعقب أثري أحد .. وأما والدي فقد سألني الى أين أنا ذاهبة .. فأجبتها بأنني ذاهبة الى إحدى الفتيات للإطمئنان عليها من أثر حمى شديدة ألمت بها "
- حاييس : " ربما تبدو كذبة بيضاء .. لكن على كل حال فأنتي تعلمين أكثر مني كيف سيكون الأمر اذا علم الملك بأن أحد حراسه يتواعد مع فناة عبرانية .. ربما يتسبب هذا الأمر لي و لكي بأذى عظيم "
- سارة : " أسأل الرب أن يحفظك من كل سوء .. لكن أخبرني الآن ما هو السبب الحقيقي الذي دعاك لمواعدي ؟ "
- حاييس : " كل ما هنالك أنني شعرت برغبة جارفة دفعتني لمقابلتك بعيدا عن الأنظار .. أما و إن كنتي لا تثقين في فلا بأس يمكنك الرحيل عني الآن و لن أكون متطفلا عليك مجددا "
- سارة : " لا عليك .. يبدو عليك أنك مهذبا كثيرا و هذه من أخلاق فرسان الفيط العظماء "
- حاييس : " أشكرك على هذا البناء الجميل .. إنك فناة رائعة و

أرض جوش

جميلة حقاً ... لقد سمعتك ترتلين بعض الصلوات في خلوتك ..
و إنني لشغوف لأن أعلم أكنز عن إلهك الذي تعبدون .. "
سارة: " إنه ياهوه ربنا و رب السماوات و الأرضين .. الرب
العظيم الخالق الذي نجى نوح و أهله من القوم الظالمين .. و
حملة على سفينة النجاة .. و أخرج من صلبه أمما و شعوبا
ليعمروا الأرض بعد الطوفان العظيم الذي أهلك البشر .. "
حاييس: " لقد سمعت عن تلك الفصص عن الأولين السابقين
.. كما اعلم أن ذلك الرجل الأسطوري كان له ثلاثة من الأبناء .. و
هم سام و حام و يافث .. فأما أهل الفبط فهم من نسل مصرائيم
بن حام .. و أما انتم من شعب سام .. أليس كذلك ؟ "
سارة: " بلى .. يبدو عليك على علم عظيم .. فنحن العبرانيين
من نسل إبراهيم بن سام بن نوح .. و لقد رمع الرب قدرنا و كلفنا
بحمل الرسائل و الدعوة الى دينه .. و جعل منا الأنبياء و الرسل
... و لقد كنا نعيش في بلاد كنعان .. قبل أن نهاجر الى أرض الأرض
في زمن نبي الله يوسف الأمين .. لقد كان سببا في مجيئنا الى
تلك الأرض المباركة "
حاييس: " من تقصدين بذلك النبي ؟ .. هل تقصدين ذلك الوزير

أرض جور

العبراني العظيم الذي نجى البلاد من الفحط في الأزمنة البائنة؟"
سارة: " بلى هو يوسف العظيم .. الذي جاء الى مصر صغيرا .. و
عاش فيها في قصر الملك منذ ما يقرب من مائتي عام .. و لقد
تعرض لظلم عظيم و قد أودعه الملك السجن .. حتى خرج منه
و صار وزيرا على خزائن البلاد .. و حمل برسالة الى أهله يدعوهم
فيها لدخول كيميت آمنين .. فجئنا الى تلك البلاد النبي باركها
الرب .. و صار لنا فيها شأننا عظيم في عهد ذلك النبي .. و أقنطع
لنا حينها ملك البلاد أراضي كثيرة لنسكن فيها .. فعشنا على
أرض جاسان سنينا طويلا .. و كنا في حمى أهل الفبط و ما وجدنا
منهم غير الأمان و السلام .. "
حاييس: " لكنكم الآن صرتم عبيدا في أرض الإبه .. و دارت عليكم
الدوائر و أصبحتم في جور عظيم .. "
سارة: " نعم و حدث ذلك بعد وفاة نبي الله يوسف .. حيث
استولى على مصر بعض الفباط الكنعانية السامية التي كانت
تحمل لنا نحن العبرانيين بغضا و مقنا كبيرا .. فنسلطوا علينا ..
و ما كان ذلك ليحدث إذ لأننا انحرطنا عن عقيدة آباءنا ابراهيم و
اسحاق و يعقوب .. فصار بعضنا يجور على بعض .. و إننا لن

أرض جوش

ننجو من هذا البلاء العظيم إذ بالعدول عن الكفر و العودة الى دين آباءنا و أجدادنا .. و النوح من جديد حتى نكون بحق شعب الله المختار الذي أختار، لحمل الرسالات و النبوءات العظيمة " حاييس : " إن ما تنعرضون له من ظلم ليس بواقع عليكم و حدكم .. بل نال شعب الفبط من ذلك الجور أيضاً .. و صرنا نحن أصحاب الأرض الأصليين في ديارنا غرباء .. و صرنا نعمل لخدمه اولئك الملوك الأجانب .. و صاروا يعاملوننا بوحشية و همجية و بربرية لا مثيل لها بين الأمم .. لكننا يوما ما سنسترد أرضنا .. و ستعود كيميت لأصحابها بناء الأهرامات العظماء .. و ستعود أرض الفبط لسالف عهدنا النبي ورثناها عن أجدادنا؟؟" سارة : " و إنني لأتمنى ذلك .. و أسأل الرب العظيم ان يعيد لكم ملك كيميت .. و عندها فإن أهل أرض الفبط سوف يخلصونا من ذلك البلاء العظيم .. لكن رسالتنا توجب علينا نحن العبرانيين أن ننصدي لهذا الظلم الواقع على البلاد .. و نحن ننظر مخلصنا العظيم الذي سوف يخلص آل إسرائيل من الظلم الواقع عليهم .. و إن ذلك الوقت قد صار أقرب من أي وقت مضى .. و إنا لمنظرون !! "

أرض جوش

حاييس : " هل أنني حقاً تؤمنين بذلك اليوم ؟ "

سارة : " و هل في وعد الرب من شك .. إيه آت بمشيئة الرب .. وإيه لمنجينا نحن و أننم اجمعين من الفوم الظالمين ... و لكن حتى يأتي ذلك اليوم علينا أن نصبر و نحتسب الأجر و النواب من الرب العظيم .. و لا يجب أبدا أن نرضى عن الظلم .. و لما نحزن و نحن الأعلون بمشيئة الرب .. لكن أخبرني ماذا عنك ؟ .. هل تظن أن أرض الفيط سوف تنخلص يوما من هؤلاء الحكام الظالمين ؟ "

حاييس : " قطعاً سيأتي اليوم الذي ننصر فيه لدولتنا و لأهلنا و شعبنا .. و ربما يكون ذلك اليوم قريبا جدا .. فلقد علمت بأن أهل طيبة يقاومون استبداد الحكام الأجانب .. و قد تمكنوا من السيطرة على أرض كوش (أثيوبيا) و استطاعوا نزع الحكم من ملك تلك البلاد الذي يتبع سياسيا لملك الهكسوس .. كما تمكنوا من توحيد أرض طيبة و يتهيأون لبناء جيش عظيم لنحرير باقي أرض كيميت .. و إنهم لصامدون و مستميتون في الصد عن بلادهم ضد غزوات الهكسوس .. و يكبدون جيش ملك الرعاة الظالم خسائر عظيمة في جنوب البلاد "

أرض جوش

سارة: " إنها أنباء سارة للغاية .. و إنما نسأل الله أن يعيد إلينا موسى .. ذلك الرجل العظيم الذي كان يواجه ظلم الملك و كان يدفع عنا ظلم الجنود .. لكننا لا نعرف أين هو الآن .. و لا نعرف أمازل حيا أم مات .. لقد هرب من المدينة خوفا من بطش الملك به .. بعد أن قتل أحد جنود الملك الذي كان يعتدي على رجل من أهلنا .. نسأل الرب أن يكون بخير و أن يعود إلينا و يخلصنا من ذلك البلاء الشديد ... "

حاييس: " إسمعي يا سارة .. لدي نبأ سئ .. لقد سمعت أحد الجنود يقول أنهم يبحثون عن طفل عبراني للفنك به .. و لقد تأكدت من أن ذلك الفنّي هو أخ الفنانة العبرانية الني وجدوها في الصحراء .. هذا يعني أن أخيك في خطر عظيم .. لذا عليكي بتخبئنه في أي مكان آخر .. لأنهم سوف يهجمون اليوم على قريتك بحثا عن أخيكى .. "

سارة: " يا إلهي رحمتك !! .. و لماذا يبحثون عنه ؟ .. ماذا جنى أخي حتى يبطشون به هكذا ؟ "

حاييس: " لقد سمعتهم يقولون أن أخيكى قد سرق سوار زوجة الملك .. و قد أنهمته زوجة الملك لأنه يخدم في قصر الملك .. و

أرض جوش

أمرت بالبحث عن ذلك الفنى العبراني و محاكمته أمام الشعب " سارة : " كاذبة إن أخي لا يمكن له أن يسرقى .. إن أخي لا يأتي مثل تلك الأفعال أبدا .. إننا من بيت كريم ولا يمكن لنا أن نسرق احدا حتى وإن كان من يظلمنا .. إننا نحفظ وصايا أبانا يعقوب الذي أوصانا بالصبر والصلاة والخلق الكريم .. وعسى الرب أن يبرأه و ينجيه من ذلك الظلم العظيم " .

حاييس : " ليس هناك وقت لهذا الكلام .. يجب أن ننصرف بسرعة .. إن الجند إن جاؤوا على قديتهم فسوف يعتقلون أخيكى و يودعونه السجن ..عليكى الآن ان تعودي الى دارك و تخبأى أخيكى في مكان لا يصل الجنود اليه " .

سارة : " كيف لي أن أفعل ذلك ؟ .. و أين يمكنني أن أخبأه من بطشهم .. إهم إن نزلوا على قديتنا فسيبشون بكل القوم و يفتشون ديارهم جميعا ولن يتركوا دارا إلا و دخلوه " .

حاييس : " اسمعي لدي فكرة عظيمة .. لقد جلبت معي ملابس أخرى لطفل من نبلاء القوم .. عليكى الآن بالأسراع للعودة الى دارك .. و تستبدلين ملابسك بتلك الملابس الجديدة .. ثم ستخبريه بأن يذهب مسرعا الى الحديقة الصغيرة المطلنة على

أرض جوتش

ضفة الجدول الصغير الشرقية عند الجهة الأخرى من سفح
الجبيل .. و هناك سوف أرسل له السيدة نانيس مربيتي العجوز
فنحمله الى دارنا لنخبأه حتى يهدأ أمره"

لم تجد سارة بدا من تنفيذ تلك الفكرة التي أخبرها بها حابيس ،
فأسرعت عائدة الى الدار لتنفيذ تلك الفكرة .



المشهد الخامس

(المحاكمة)

لم تكن أرض القبط في زمن حكاة الرعاة الأجانب تعرف القانون ، و لم تكن القوانين الدارجة و التشريعات المعمول بها في الماضي تجد سبيلا للتطبيق في ذلك العهد البغيض من تاريخ الدولة ، بل حتى إن الإلهه ماعت -إلهه العدالة_ لم يتم تقديسها في ذلك العصر .. و صار التقديس منصب فقط على إله الشر ست ، و لذلك أصرت زوجة الملك على محاكمة الفتى العبراني محاكمة علنية تحت سمع و بصر كل الأشهاد ، دون إجراء

أرض جوش

مقاضاة عادلة ، و دون إثبات تهمة السرقة على الفتى ، و على الرغم من أن الكتبة - و هم موظفون أقباط الأصل متعلمون و كانوا يعملون في الهيئات القضائية و الإدارية بمقاطعة جاسان- لم يملكوا أي أدلة تدين الفتى العبراني ، إلا ان قاضي المدينة أمر بمعاقبته معاقبة أليمة ، و كان ذلك بتفويض و امر مباشر من الملك ، الذي أمر القاضي بإنزال أقصى درجات العقاب بالفتى العبراني ، و بذلك صدر مرسوم ملكي بحشد الشعب في يوم مهيب ، ليشهدوا معاقبة الفتى بجريمة سرقة زوجة الملك ، و قد حكم عليه القاضي بالصلب و الجلد حتى الموت ، خلافا لما كان متبعاً في مثل تلك الجرائم سابقاً ، فقد كان النظام القضائي في كيميت تنص قوانينه على معاقبة السارق بالضرب المبرح دون الأعدام ، و ذلك بعد إقراره بالذنب ، و إعادة المسروقات ، و دفع تعويض يمكن أن يصل الى أربعة أضعاف القيمة الأصلية للمسروقات ، أما إذا كانت البضاعة المسروقة ملكاً للدولة ، فتكون العقوبة أقل بكثير ، و أما إذا ما كانت ملكاً للملك ، فكان اللص مطالباً بدفع ثمانين الى مائة ضعف المسروقات ، هذا بالإضافة للعقاب الجسدي الذي لم يرقى الى حد الإعدام .

أرض جوش

لم يتمكن الفتى من الهروب ، و لم يتثنى لحابيس تنفيذ الخطة التي دبرها ، فلقد عادت سارة الى الدار لتجد الجنود قد أمسكوا بأخيها ، و تم ايداعه السجن لحين محاكمته ، و في يوم المحاكمة ، حشد الملك جميع طوائف الشعب من الوزراء و المسئولين و العمال و الجنود و عامة الشعب ، لمشاهدة تلك المحاكمة الجائرة ، و هذا و قد أمر الملك بجمع جميع العبرانيين في ساحة المحاكمة ، ليكون عبرة لهم على خيانة أحد ابناءهم للعهد الملكي ، لقد كان يوما مهيبا بحق ، و كان الملك يتראس الحشود الغفيرة ، التي جاءت الى ساحة المحاكمة من كل حدب و صوب ، و سعد القاضي الى منصة الحكم ، و أعلن معاينة الفتى بالجلد حتى الموت ، كان الفتى مصلوبا على جزع نخلة كبيرة ، و كان يصرخ فيهم قائلا : " أرجوكم أفرجوا عني .. أقسم لكم أنني ما سرقت و ما خنت زوجة الملك .. أقسم للجميع أنني برئ من التهم الموجهه لي " ، لكن القاضي لم يستمع لكلام الفتى ، و ألقى خطابا قويا في الناس ، فقال لهم :

" أيها الملك العظيم .. إلهنا الطيب المبجل .. ابن ست العظيم .. أيها الشعب و الجماهير الغفيرة .. إن هذا اليوم لهو أعظم يوم

أرض جوش

في تاريخ المدينة .. هو اليوم الذي يعلن فيه الملك أنه سوف يضرب بيد من حديد كل من توسل له نفسه بالإجرام في حق الإبه ست .. و لقد أجرم ذلك الفنّي العبدانيّ الحقير في حق الإبه .. و سولت له نفسه سرقة سوار الملكة زوجة الملك .. و لقد خان العهد و الأمانة النى وكنه بها الملك .. حيث أكرمه بالخدمة في الفصر الملكي .. و هو شرف لو تعلمون عظيم .. بأن يكون أحدكم عبدا في البلاط الملكي .. لقد رباه الملك بين الأمراء و النبلاء .. فكان من المحظوظين الفلائل الذين خدموا الملك و زوجته حفظهما الإبه ... و لما تبين للجنة الحكماء أنه قام بتلك الفعلة الشبيعة .. قررت أنا قاضي المدينة بالحكم على الفنّي العبدانيّ بالجلد حتى الموت .. ليكون عبرة لمن يعتبر .. أو من تسول له نفسه مخالفة الفوانين أو خيانة ولي عهد البلاد ملك أرض جاسان و ملك كيميت .. و عليه فإن الملك قد أمر بجمعكم في ذلك اليوم المحشود لنطبيق القانون و معاقبة الفنّي على جريمته " .

أمر القاضي قائد قوات حماية المعبد بإختيار أحد الحراس لتطبيق العقوبة على الفتى ، و لذلك اعتلى القائد المنصة ، و

أرض جوش

أشار على حابيس ، و أمره بالصعود الى المنصة لجلد الفتى ، و كانت سارة تقف مع قومها من العبرانيين على مقربة من المنصة ، و قد ارتفع الصراخ و النحيب ، و كانت أم الفتى تصرخ باكية ، و تقول في ألم شديد : " يا أيها الملك أنوسل اليك تعفو عن ابني .. أتوسل اليك يا جلالة الملك أن ترحمه " ، لكن صرخاتها و نحيبها لم تكن لتؤثر على مجريات الأمور في ساحة المحاكمة ، و بينما كان حابيس يقف الى جوار الحراس في مقدمة الحشود ، نزل عليه قرار إختياره لجلد الفتى كالصاعقة ، و فوجئ بها الأمر ، و لم يعرف ماذا يفعل و كيف يتصرف ، فصعد حابيس الى منصة المحاكمة ، و سلمه القاضي السوط ، لكن حابيس رفض استلام السوط من القاضي ، و أعلن عن رفضه الامتثال للأوامر ، و ألقى في الحشود كلمة مدوية ، فقال :

" النحية لمن وجبت له النحية .. و السلام على من يعترفون السلام .. لكن العدل الذي تطبقونه ليس عدلا .. إن إنزل عقوبة الإعدام بفتنى صغير دون أي أدلة ضده هو عين الظلم و عدم تطبيق القانون .. إن القانون الذي نعرفه في بلادنا قبل أن يسلطكم الإبه علينا كان يقضي بضرورة النحرى و امتلاك الدلة

أرض جوش

الكافية الني تدين المتهم .. و أما و إن الفنى لم يتم ثبوت
الجريمة عليه .. فأبني أطالب الملك و هيئة المحاكمة بإنبات
صحة إدعاء الملكة بقيام ذلك الفنى بسرقة مصوغاتها و
مجوهراتها .. أيها الملك !! .. لقد جئتم الى بلادنا محتلين غزوة ..
و قد عينتم انفسكم ولاة أمرنا .. و ما كانت تلك البلاد يوما ملكا
لكم .. لقد جئتم من شنى البقاع لنستوطنوا أرضنا .. و قد ملأتم
الأرض جورا و ظلما .. فصرتم تذبحون الأطفال و تستحيون
النساء و تستعبدوننا في أرضنا .. و لست لأكون ابدا مدافعا عن
أي متهم تثبت إدانته .. و لكني مدافعا عن الحق و العدل في
تلك المدينة .. فوالله ما رأيت منكم غير الظلم و الفساد .. و قد
مضيتم في طريقكم الذي مضيتم فيه تعذبون الناس و تفسدون
في الأرض .. و تنصبون أنفسكم حكاما علينا .. و قد كنتم رعاة
رعاع .. و ما راعيتم يوما قيمة الشعب الفيطي الذي حكتموه
.. و لقد كنتم فرقا شنى و قبائل عدة .. و قد توحدتم فيما بينكم
وحدة زئفة .. فصرتم تعينون كل شيخ قبيلة على كل مقاطعة
في بلاد النيل .. و ها انتم قد أصبحتم السادة و نحن العبيد .. و
لكن الإبه قد خلفنا أحرارا و لم تلدنا أمهاتنا عبيدا .. و لن نكون

أرض جوش

لكم عبيدا في أرضنا .. ولذلك فإني أعلن أمام الناس أجمعين ..
أنني لم أعد أرضى بهذا الظلم البين .. و أرضى إجراءات تلك
المحاكمة الجائرة .. ولن أمتثل للأوامر .. و أعلن رغضي الفاطح
و النام لجلد ذلك الفنى العبراني البرئ " .

و ما أن انتهى حابيس من كلمته ، حتى سادت الفوضى في ساحة
المحاكمة ، و عم الهرج و المرح بشدة ، و صرخ القوم العبرانيين
يهتفون بإسم حابيس ، ثم انتقل الهتاف الى صفوف العوام ،
فصاروا يهتفون له ، و ينددون بإجراءات الملك الظالم ، فأمر
الملك على الفور بإخماد الفتنة في مهدها ، و إلقاء القبض على
الجندي المتمرد حابيس ، ثم هجم الجنود فرسان المعبد على
العبرانيين ، و نزلوا بسياطهم على اجسادهم ، و نالوا منهم ، و
أحاطوا بهم جميعا ، و أخذوا يضربونهم بالسياط ضربا مبرحا ، و
أمر القاضي بقطع عنق الفتى أمام الأشهاد ، و كلف قائد قوات
حرس المعبد بتنفيذ الأمر ، فصعد القائد الى المنصة ، و أشهر
سيفه ، و قطع عنق الفتى ، فصرخت الأم صرخة مدوية شديدة
، و هرعت نحو المنصة ، لتحمل رأس ابنها الشهيد ، و جعلت
تصرخ قائلة : " اللعنة عليكم .. اللعنة عليكم .. إن الرب لمننقم

أرض جوش

..إيه لمننقم " ، و ركضت سارة خلف أمها ، و جلست على الأرض بجوار أمها ، و أخذوا يحتضان رأس الفتى ، و هما ينتحبان بشدة ، ثم نهضت سارة ، و ركضت نحو الملك ، فأسرع حراس الملك بالإمساك بها ، و طفقوا يضربونها بالسياط ضربا مبرحا حتى كادت أن تفقد الوعي ، و كان حابيس ينظر إليها في حزن شديد ، و قد أمسك به الجنود ، و قيده ، و أمر الملك بالزج به في السجن ، فأخذ حابيس يصيح فيهم قائلا: " لن تنالوا مني .. و لن تنالوا من شعب كيميت العظيم .. سيأتي اليوم الذي تهربون فيه خوفا من بطشنا .. و سيأتي اليوم الذي نطهر البلاد من دنسكم .. لن تبقوا في أرضنا مهما كان .. سنفندي بلادنا بدمنا و أرواحنا .. ارحلوا .. ارحلوا .. يسقط حكم الملك الظالم .. يسقط الملك و تحيا كيميت للأبد " .

امتد الغضب الى عامة الشعب ، و خرجت الأمور عن السيطرة ، و بدأ أن هناك انتفاضة قوية عارمة ضد الملك ، و راح الجميع يهتفون بإسم حابيس ، و ينددون بحكم الملك الجائر ، و دبت الفوضى في صفوف الشعب ، فراح المؤيدون للملك و أتباعه من

أرض جوش

عشيرته و بني القبائل الأخرى ينهرون المعارضين ، وهاجموهم بعصيهم ، فأخذوا يتعاركون بالعصى ، و نشبت بين الفريقين معركة حامية الوطيس ، و تدخل الجنود على الفور لفض الأشتباك ، فانهال الجنود على المعارضين ضربا بالسياط ، كان المشهد دمويا للغاية ، و سقط خلاله الكثيرون صرعى ، و أصيب المئات ، بينما حاول الآخرون الفرار من بطش الجنود ، فأخذوا يركضون بعيدا عنهم ، لكن الجنود كانوا لهم بالمرصاد ، فقاموا بمطاردتهم بالخيول ، و قطعوا رقاب الكثيرون بالسيوف ، و أما من تمكن من الفرار ، ظل الجنود يطاردونهم حتى امسكوا بهم ، و في تلك الأثناء كان حراس الملك يحاولون حمايته ، فنقلوه الى القصر بأسرع وجه ، فيما أمرهم الملك بإنهاء الفوضى ، و تصفية الخارجين عليه جميعا ، و هو ما فعله الجنود بالفعل ، فغرقت الأرض بالدماء ، و مات المئات ، و اعتقل الكثيرون ، و زج بهم في غياهب السجون ، حتى وأدت الفتنة ، و انتهى التمرد .

6



المشهد السادس

(في السجن)

في غرفة محكمة الغلق ، موصدة الأبواب ، لها باب حديدي يتم فتحه و غلقه عن طريق الجر ، في سرداب ضيق مضاء بعدة مصابيح على جانبيه ، في قبو أسفل المعبد الجديد الذي تم تشييده حديثا للإله ست ، تم إيداع حابيس داخل ذلك السجن

أرض جوش

شديد الحراسة ، كانت غرفة السجن كبيرة و واسعة ، لكنها تنقسم في داخلها الى عدة غرف أصغر ، يفصل بينها سياج حديدي ، لا يمكن إختراقه أو تجاوزه ، و لكن يمكن للمساجين بداخل تلك الغرف الصغيرة أن يروا بعض البعض عبر تلك الأسوار الحديدية ، كما يمكنهم التحدث الى بعضهم البعض ، كانت كل غرفة صغيرة تحتوي على مجموعة صغيرة من المساجين ، و لقد كانت الغرف جميعا تمتلأ على آخرها بالمسجونين السياسيين و الجنائيين و بعض أسرى المعارك من أعراق و اجناس مختلفة ، كان حابيس يقبع مسلوب الحرية في إحدى تلك الغرف ، و التي لم يكن يصل اليها ضوء الشمس إطلاقا ، لكنها كانت مضاءة بعدة مصابيح ، و دون أي محاكمة كان حابيس ينتظر تنفيذ حكم الإعدام الذي امر به الملك ، و ذلك نظرا لتمرده على الملك ، و رفضه الأمتثال لأوامر القادة ، و لخشية الملك من تمدد ذلك التمرد ، و تغلغله في نفوس عامة الناس ، حتى يتحول الى ثورة عارمة تطيح بحكمه ، فكان لزاما ان يقوم بالتخلص من حابيس ، قبل ان يصبح بطلا شعبيا يقود الناس الى العصيان المدني ، و يحول البلاد الى كرة لهب مشتعلة

أرض جوث

تحرق كل من يقترب منها ، و في داخل هذا السجن الموحش ،
قضى حابيس أياما طويلة ، كانت تمر عليه الأيام دون ان يعلم ،
فما كان هناك من وسيلة لمعرفة الوقت ، و لا أمكن له في داخل
السجن ان يدرك النهار من الليل ، كانت جميع الطرقات مضاءة
بنور المصابيح اللعينة ، و كانت كل الساعات تمضي و كأنها
ساعة واحدة ، كما لو ان الوقت توقف في داخل تلك الغرفة في
السجن الملحق بالمعبد الجديد .

و كان معه بالسجن العديد من الرجال الأقباط و العبرانيين ،
بالأضافة الى عدة رجال من جنسيات اخرى كالفيينقيين و
الكنعانيين و الكوشيين و قليل من الآشوريين أسرى الحروب ،
و كان في الغرفة المجاورة لغرفة حابيس يقبع رجل من العبرانيين
، محكوم عليه بالسجن مدى الحياة ، لاتهامه بالسحر و الجنون و
الهرطقة ، و قد كان ذلك الرجل مريبا و غامضا ، كان يطيل النظر
الى حابيس في صمت شديد ، و كأنه يعرفه منذ زمن ، أو كأنما
يريد ان يخبره شيئا ما ، لكن حابيس ظل قابعا في فراشه لا
يلتفت الى احد و لا يتحدث الى احد ، لم يكن حابيس حزينا على
ما وصل به الحال ، و لا كان نادما على ما فعل من تمرد و عصيان

أرض جوش

للملك ، إنما كان ينتظر تنفيذ حكم الإعدام عليه بإيمان و صبر قويين ، كان مشغولا بالتفكر في الدار الآخرة ، كان يتمنى أن تشيد له مقبرة عظيمة من الجرانيت كمقابر الملوك و العظماء ، و كان يحلم بأنه سوف تقام له شعائر جنازية مهيبة ، يحضرها جميع أهل كيميت ، و تكتب ذكراه على جدران المعابد و البرديات ، كانت تراوده أحلام كثيرة ، كانت بعضها تقوي من عزمته ، و تشحنه بالأمل و الخلاص من السجن ، و كان بعضها يرى فيه أن روحه تصعد الى الملاء الأعلى ، و في إحدى الأيام استيقظ حابيس فزعا من نومه ، و راح يصرخ بشدة ، فاقترب منه المسجونين ، و طفقوا يهدأون من روعه ، و يسألونه عما رأى ، و في ذلك اليوم اقترب ذلك الرجل العبراني من السور الحديدي الفاصل بين غرف السجن ، و أخذ ينادي على حابيس بإسمه الذي لم يكن يعرفه ، فالتفت إليه حابيس ، فسأله الرجل العبراني أن يدنو إليه ليتمكن من التحدث معه ، دنا منه حابيس ، و صار على مقربة منه ، فسأله الرجل العبراني عما رأى ، فأخبره حابيس بما رأى .

قال حابيس : " رأيت انني أسبح في الملكوت ، لكنني كنت ثقيلًا للغاية ، و كانت روحي تشتد ثقلا كلما ارتفعت في السماء ، حتى

أرض جوش

جاء رجل دميم الوجه شديد سواد البشرة كأنه حبشي ، و كان يمتلك جسد صقر ، و كان له جناحين عظيمين يملآن السماء ، يحجبان الضوء في الأفق السحيق ، و أخذ ذلك الرجل بذراعي ، و كان يشدني بقسوة ، بينما طار بي بعيدا بعيدا في الملكوت ، حتى وصل بي الى أحد الأبواب الضخمة ، كان ذلك الباب العظيم موصد بسلاسل حديدية محكمة ، و لكن ذلك الرجل كان يملك مفتاح الباب ، ففتحه لي ، و أمرني أن ادخل ، فولجت عبر ذلك الباب الكبير ، فوجدت رجلين عظيمين يانتظاري ، احدهما يحمل وجه تمساح ، و الآخر بوجه طائر ذي منقار طويل ، و كانا يقفان في وجه بعضها البعض ، و بينهما ميزان ضخم ، في إحدي كفتيه ريشة ، و في الكفة الأخرى للميزان وجدت جعران صغير ، ثم جاء كلب ضخم برأس تمساح ، و كان يحاول إيذائي ، لكن إمراة برأس تمساح وقفت إلى جانبي ، و أبعده عني ، ثم وقفت في منتصف الميزان ، وكانت كلتا كفتيه تتمايلان بشدة ، و اخذت تنظر لي تلك المرأة ، و تعيد النظر إلى الميزان ، و بينما هي كذلك إذ أمرت الرجلين الذين يقفان على الميزان بالإنصراف ، ثم نادى على الباب لينفتح ، فانفتح الباب ، و دفعتني خارجه ، و أغلقته

أرض جوش

ورائي ، لكنني استمررت بالوقوف خارج الباب أنظر يميني و يساري فلم أجد الرجل الأسود بجسد صقر ، ثم رأيت نجما صغيرا يتلألأ في الأفق ، و كان يقترب مني بشدة ، فتحول ذراعي الى جناحين هائلين ، فأخذت أسبح في الأفق مسرعا ، حتى ابتعد عن ذلك النجم المتوهج ، الذي كاد أن يقترب مني و يحرقني ، و فجأة اختفى ذلك النجم و ضاع في الأفق ، فأخذت أسبح في الملكوت من جديد ، حتى رأيت نارا عظيمة في مكان بعيد ، و كانت تلك النيران تبدو و كأنها تخرج من فوهة جبل شاهق الارتفاع كأنه البركان ، و شعرت بأن شيئا ما يدفعني للتوجه نحو فوهة ذلك البركان ، حتى أقتربت منه ، و أصبحت فوق فوهته تماما ، و فجأة شعرت بقوة عظيمة تجذبني الى داخل ذلك البركان ، فاخذت أسقط من أعلى بسرعة كبيرة ، و كدت ان أقع بداخل ذلك البركان ، لولا أنني صرخت بقوة هائلة ، فاستيقظت من نومي فزعا على الفور " .

أخفض الرجل العبراني رأسه ، فور أن انتهى حابيس من سرد رؤيته ، و بدا عليه أنه علم امرا ما يريد اخفائه ، كان ذلك الرجل في العقد الرابع من عمره ، و قد بدا عليه الوقار و الهيبة ، كانت

أرض جوث

لديه لحية طويلة ، و قد انتشر الشيب في لحيته ، بينما شعر رأسه الطويل ظل أسودا كالح السواد ، لم يصب الشيب إحدى شعراته ، و لما ظل ذلك الرجل صامتا ، سأله حايبس عن سبب صمته ، فلم يجيبه الرجل العبراني ، و ظل خافضا رأسه ، حتى أن حايبس ظن أنه أخذه النوم ، ثم رفع الرجل العبراني رأسه ، و قال : " اسمع يا بني !! .. إنني أقبع هنا في هذا السجن منذ عشرات السنين ، و لقد وفد الى داخل هذا السجن اكثر من الرجال ، ياه لقد أمضيت دهرا طويلا بين تلك الجدران ، و لكنني في داخلي أشعر بالحرية ، لم تعد تلك الجدران العالية و لا تلك الأبواب الموصودة تشعرني بالخوف ، لقد كثا الشيب لحيتي بداخل هذا السجن ، و صار الرجال يدخلون الى ذلك السجن و يخرجون ، و أبقى انا بداخله ، حتى انني اظن أن حراس السجن نسوني ، و انه لم يعد احدا يراني ، انظر حولك لن تجد احدا ينظر لي ، ليس هنالك سواك الذي ينظر لي و يحدق بي كثيرا ، و هذا يعني بالنسبة لي أمرا عظيما "

حايبس : " و ماذا يعني لك ذلك ؟ "

الرجل العبراني : " لا يهم ان تعرف كل شئ في وقت واحد ...

أرض جوش

لكنك حتما ستعرف كل شيء .. و سينكشف لك كل شيء .. و سينجلي الظلام من حولك .. و سيتحرر قلبك المقيد بأصفاد العبودية و أغلال السخرة .. سيعلو قدرك في البلاد .. و سيرتفع شأنك على العباد .. ستكون فوق كل هامة .. و ستقطع عنق كل ظالم و جبار في الأرض .. إني أرى في عينيك أمرا عجيبا .. لم أراه في حياتي من قبل .. لكنني أخشى ان أنباك بهذا الأمر فنركن إليه و لا تسعى لتحقيقه .. "

حابيس : " إني لأرى في كلامك غموضا و ريبه .. و لا أستطيع الصبر على فك شفرة هذا الكلام و حل ألغازه .. أرجوك يا رجل فلنخبرني هل سأموت حقا و تقوم قيامتي ؟ .. أم انني سأنجو؟"
الرجل العبراني : " ستعرف مستقبلا كل شيء .. لكن اولا عليك أن تكون صابرا حتى تنول حريتك و تحصل على ما تريد .. إن الصبر هو مفتاح خروجك من هنا .. و كلما رآك الرب صابرا كلما أوشك على فك قييدك و تحرير إرادتك "

حابيس : " و إني لأراك صابرا .. فأخبرني ماذا منحك الصبر سوى المزيد من الشيب الذي يغزو لحيتك في هذا المكان ؟ "
الرجل العبراني : " و من أخبرك يا بني أنني سألت الرب الخروج

أرض جوش

من هنا .. إني لا أرغب في الخروج من هنا ..
فقاطعه حايبس قائلا: " كم انت غريب أيها الرجل ! .. أنرغض
ان تنول حديتك و ترغب أن تقبع هنا خلف أسوار السجن ؟ "
الرجل العبراني: " و ما أدراك لعل السجن أفضل لي من الزن و
الهوان خارجه .. انظر يا فنى .. إنك مازنت يافعا .. و لم تعلمك
الحياة الكنير بعد .. هل سمعت في المدينة عن رجل وقف في
وجه الظلم و الفهر فعاقبه الملك بالصلب حتى تأكل الطير من
رأسه ؟ .. ثم رأى الملك في المنام ذلك الرجل ميتا و قد خرجت
من فمه طيوراً مخيفة .. و ترمي قصر الملك بوابل من الحجارة
الصغيرة .. حتى صارت تلك الأحجار تنساقط على نافذه غرفه
نومه .. فكسرت النافذه .. و دخلت منها الطير و أخذت تقذفه
بالحجارة حتى سالت الدماء من رأسه .. و لما اخبر أحد وزرائه و
مستشاريه بتلك الرؤويه شأروا عليه بأن يدخلوا ذلك الرجل الى
السجن ... و أخبروه بتأويل تلك الرؤية .. بأن ذلك الرجل إن مات
فسيجرح من صلبه أبناء يصارعون الملك فأرناه صريعا .. فأمر
على الفور بإيذله عن المصلب ، و إيداعه السجن ... ؟ "
حايبس : " و هل ذلك الرجل الذي تحكي عنه هو انت ؟ "

أرض جوش

الرجل العبراني: " نعم .. هو كذلك .. !! "

حاييس : " و لكن ماذا كانت تهمتك اني تستحق عليها ذلك

العقاب؟"

الرجل العبراني : " لم تكن هنالك تهمة سوى أنني كنت ادافع

عن رجل عبراني من أهلي و قلت للملك أن تريد أن تفنل رجلا لأنه

يقول لك ربي الله ؟ .. و رفضت السجود للملك .. و رفضت تقديم

الفرايين للألهه .. فكان عقابي أن أصلب حتى تاكل الطير من

رأسي .. و كان الناس يمرون بي و ينظرون الي ... و أنا مصلوبا لا

حول لي و لا قوة .. و استمررت مصلوبا هكذا حتى مرت أيام

عديدة .. و الناس يمرون بي و يقذفونني بالحجارة حتى أمر

الملك بإدخالي السجن لأنجو من ذلك العذاب الأليم"

عقب حاييس قائلا : " و إبه لشر عذاب .. إبي سمعت أن

العبرانيين يؤمنون بإبه آباءهم ... و يقولون انه إبه واحد خالق

عظيم .. و انه رب السماوات و رب الأرض و رب العرش العظيم

.. و إنني لما سمعت ذلك الكلام استحسنته .. فأبني لطالما كنت

امقت عبادة إبه تلك المدينة ست إبه الشر .. و إني علمت أن

أرض جوش

آبائي قد مقنوا عبادة ست في أرض كيميت أيضا .. و نادوا بعبادة
حورس العظيم إبه أرض الفبط .. و هو الذي أعلى و هو الذي
فوق كل شئ .. و رمزوا له بالصقر الفوي .. و إن إدهنا حورس
العظيم لهو الإبن البار لأبيه الإبه أويزوريس إبه الخير .. و هو الذي
انتقم لوالده من ست الملعون الشرير .. بعد ان ساعدته امه
إيزيس إهة الوفاء على هزيمة ست الشرير .. و حور هو إبه
الرحمة و الحق و العدل و النظام .. و هو رب الإبه حاي إبه النيل
الذي وهب الحياة لشعبنا .. و إبه رب الإبه جب إبه الأرض الذي
يخرج الخير لنا و رب الإهة نوت إهة السماء النى تحوطنا في
احضانها و تغطينا فوق رؤوسنا .. و هو رب آبائنا و أجدادنا بناة
الاهرامات العظماء .. لكنني لا أعلم بذلك الإبه الذي تعبدون ..
لكن ما أعرفه انه إبه رحيم قوي و عزيز لا يحب الظلم و لا يرضى
به و هو منتقم جبار و قد انتقم من الظالمين في العصور الماضية
و دمر مدنهم و قراهم و أهلكتهم اجمعين و إن بطشه بالمفسدين
لشديد .. و رحمته بالصالحين تفوق كل شئ "

الرجل العبراني : " و إني على علم بأنه سينتقم من ذلك الملك
الجبار قريبا .. عليك بالصبر يا بني .. عليك بالصبر !! "

أرض جوش

قضى حابيس في السجن شهورا عديدة ، و كان طيلة تلك الفترة يتقرب الى كل السجناء و يتودد اليهم ، مصبرا إياهم على الظلم ، مؤكدا لهم على ضرورة التمسك بالأمل في الخلاص ، و قد صار جميع نزلاء السجن يعرفونه ، و يحكون عن بطولته في الوقوف في وجه الحاكم الظالم ، و ذاع صيته في كل أركان السجن ، و أصبح حديث الجميع ، حتى أن العبرانيين و الأقباط على حد سواء صاروا يعظمون قدره و يعتبرونه رجلا قائدا لهم ، و التف حوله الجميع ، فكان يتحدث الى المذنبين و يعرفهم الصواب ، كما كان يتحدث الى المسجونين السياسيين المظلومين ، و كان يقول لهم أن السجن هو قبر الأحياء و بيت الأحزان ، و السجن هو دار الابتلاء و ملازمة الإخوان ، و مكان ندم المذنبين و الأعداء ، و كان حابيس يستمع الى وعظ الرجل العبراني الذي كان يخطب في المسجونين ، و يعرفهم بربهم و خالقهم ، و كان يسمع الرجل العبراني يقول لهم أنهم من الخواص المخلصين ، و أن الرب يبتلي الخاصة أكثر من العوام ، و كان يحدثهم عن إله آبائهم و أجدادهم ، فكان الجميع ينصت اليه في وقار ، و قد أشادوا بحكمته و بلاغته ، و آمن له الكثير ، فكان كلما آمن له رجل ظهرت براءته

أرض جوش

، و انفك قيده و خرج من السجن ، حتى صار الجميع يظن ببركته و قدرته على تحريرهم ، و صاروا يؤمنون له حتى يخرجوا من السجن ، لكن حابيس رغم اعتقاده بصدق هذا الرجل ، إلا انه كان لا يؤمن بأنه السبب في نجاتهم من السجن ، حتى كان يوم من الأيام ، نادى عليه ذلك الرجل العبراني ، و اخبره أنه يريد أن يتحدث اليه في أمر عظيم .

الرجل العبراني: " اسمعني يا بني !! .. إني رأيت لك رؤيا عظيمة .. و إنك إشاء الله لمن الناجين .. "

حابيس: " أخبرني اذن بما رأيت ...! "

الرجل العبراني: " لقد رأيتك محمولا على جناح ملاك عظيم .. و كان يحلق بك فوق بحار عظيمة ، و كنت أقف على قارب في وسط البحر و في يدي شباك قوية .. أنظر اليك في فرح و سعادة .. فرميت بالشباك في البحر .. ثم رفعتها فأخرجت سمكا كثيرا .. فأخذت سمكين و رفعتهما عاليا في السماء .. فإذا بالملاك العظيم الذي يحملك ينخفض بجناحيه و يطير تجاهي .. حتى صار يحلق فوق مستوى البحر مباشرة .. ثم اقنرب مني بشدة .. ثم وجدتك تمد يديك للننقط السمكين من يدي .. فأخذنهما

أرض جوش

.. و صرت تدعولي و تشكرني .. ثم طار بك الملاك بعيدا .. حتى

اخفى أثرك في السماء "

حاييس : " أخبرني أيها الرجل الحكيم ما هو تفسير تلك الرؤيا ؟ "

الرجل العبراني : " إن الرب قد قدر لك النجاة من السجن .. و قد

أمرني أن أساعدك على الخروج من هنا .. "

حاييس : " هل تظن أن الملك سوف يصدر أمرا بالعفو عني ؟ "

الرجل العبراني : " لا لن يحدث ذلك أبدا .. فإن الملك لا يمكن له

الإفراج عنك لأن ذلك سوف يعظم شأنك بين الناس و سيلنف

حولك العوام ليرفعونك على الأعناق و يعتبرونك بطلا لهم .. و

ذلك ما يخشاه الملك و لا يريد له أن يحدث .. "

حاييس : " إذن أخبرني أيها الحكيم كيف سأنجو من هنا ؟ "

الرجل العبراني : " إن الرب يأمرني أن أساعدك على الهروب .. و

إنك سوف تتمكن من الهرب .. لكن عليك ألا تبقى في هذه

المدينة .. و يجب أن تفر بعيدا عن المدينة و ترحل إلى الجنوب

.. إلى مدينة طيبة .. و هناك سوف يكون لك شأننا عظيما "

حاييس : " ما تقول أيها الرجل ؟ .. أتريدني أن أهرب من هذا

السجن الموصد المحكم الغلق شديد الحراسة ؟ .. كيف يعقل

أرض جوش

ذلك؟"

الرجل العبراني: " يا بني لا تقمط من رحمة الرب .. إنه لا يبأس من رحمة الرب إلا القوم الكافرين .. إني على يقين يا بني أنك على قدر كبير من الإيمان ... أخبرني أولا هل تنق في قدرة الإبه على إخراجك من هنا؟ "

حاييس: " بالطبع .. فالإله قادر على كل شيء .. و لا راد لكلمته و قضائه .. و إنه إن شاء أمرا يقول له كن فيكون "

الرجل العبراني: " إذن عليك و قبل كل شيء أن تؤمن بإيهي و إيه آبائي ابراهيم و اسحاق و يعقوب إيهما واحدا و لا شريك له و لا منازع له على ملكه و لا منافس له على حكمه و بعدها سأخبرك كيف ستتمكن من الهروب ... "

حاييس: " إن كان الأمر كذلك فإني آمنت بإيهك و إيه آبائك .. " الرجل العبراني: " الآن و قد انفكت أول أصفادك .. فإني سأخبرك كيف لك أن تهرب من هنا .. إسمعني يا بني !! .. إني سأعطيك خاتمي و قلنصوتي .. فلناخذ غطاء رأسي الصغير المستدير هذا .. و لنضعه فوق رأسك .. فيه لا يجوز ذكر إسم الرب على فم من كان رأسه مكشوفاً .. ثم تلبس هذا الخاتم في يدك .. و إني

أرض جوش

لمعلمك كنمات مما علمني إياها آباي و أجدادي .. فإن ذكرتها
على هذا الخاتم فسوف تحيطك هالة عظيمة تخفي أنرك عن
العيون .. و لن يتمكن أحد من الحراس أن يراك ببركة هذا الدعاء
.. و لكن عليك أن تكون واثق تمام النفقة و مؤمن تمام الإيمان
في قلبك بأن ذلك الدعاء سوف يحجب أعين الحراس عنك " .

أرض جوش

الجزء الثالث

طيبة 1573 قبل الميلاد



المشهد الأول

(الهروب الكبير)

جاء أحد الحراس الى باب السجن ، حيث الغرفة التي يقضي فيها حابيس حبسه ، و صاح بصوت مرتفع : " أيها المساجين !! .. إن رئيس السجن جاء ليطلع على مجريات الأمور داخل السجن .. و لذا فيإسي أدعوكم لأتزم الهدوء حتى تنتهي الزيارة " ، و في تلك الأثناء أوما الرجل العبراني بطرف عينه الى حابيس ، في إشارة منه على بدء الإستعداد للهروب ، حسب الخطة المتفق عليها فيما

أرض جوش

بينهما مسبقا ، ثم نزل رئيس السجن إلى قبو السجن ، و أخذ يتفقد الغرف كل على حده ، و أمر بتفتيش المساجين ، و التأكد من استتباب الأمن و استقرار المور بداخل الغرف ، حتى وصل الى الغرفة التي يقبع بها حابيس ، فأشار رئيس السجن على حابيس ، ففتح الحراس باب المحبس الحديدي ، و دخل رئيس السجن الى الغرفة ، و وقف أمام حابيس ، و أمره بالنهوض ، فنهض حابيس على مهل ، و قال له رئيس السجن : " لعد وصلنني بعض التقارير الني تشير إلى تزعمك حملة للنمر داخل السجن .. ما هو ريك على هذه الإدعاءات ؟ " ، فنظر إليه حابيس في ثقة ، و قال: " أما و إن كانت قد وصلنك تلك الأخبار فاعلم أنها غير صحيحة .. إيني لا أرغب في إحداث تمر داخل السجن كما تقول .. و لكنني أقوم بحملة و عي للمسجونين لنعريفهم بحقوقهم كمسجونين الني يجب أن يحصلوا عليها .. و إن هذه الحقوق كما تعلم يا سيدي فإيها حقوق مشروعة تنص عليها الفوانين .. و لا خلاف على ذلك .. كل ما هنالك أنني أرغب في تطبيق تلك الفوانين على المسجونين .. و العمل على تمكيننا من الحصول على حقوقها في داخل السجن " .

أرض جوش

انفعل رئيس السجن ، و غضب غضبا شديدا ، و صاح في وجه حابيس قائلا : " و ما تلك الحقوق التي تنوي الحصول عليها إذن؟" ، فأجابه حابيس في كبرياء و شموخ : " إن من حق المسجونين رؤية أهلهم و زويهم في يوم أو يومين بالشهر على أقل تقدير .. و إن هذا الطلب ليس بمخالف لفوانين إدارة السجن .. و ما كنت لأطالب بأمور مخالفة للفوانين و الأحكام .. إن ما أطلب به هو تحقيق العدل و المساواة على الجميع داخل السجن و خارجه .. و إعطاء كل ذي حق حقه ، و من ضمن تلك الحقوق الني أطلب بها حقوق المساجين و المعتقلين .. و الني تكفلها لهم الفوانين و التشريعات .. الني تنص على ان من حق المسجين الجنائي أو المعتقل السياسي رؤية أهله من مرة الى مرتين شهريا .. أما فيما يتعلق بالطعام فإن المساجين يشنكون من فساد الأطعمة المقدمة لهم .. و لقد أصيب في وقت سابق أحد المساجين بحمى شديدة و سعال حاد.. و تعنتت إدارة السجن في توفير العلاج المناسب لهذا المريض و عرضه على الطبيب المختص .. حتى تدخلت إدارة السجن أخيرا بعد أن ساءت الأمور لخشيتها من تفشي العدوى بين المساجين .. و

أرض جوش

لقد أنقذت عدوى المرض الى عدة أشخاص .. بينما توفي أحدهم .. و بعد وفاة ذلك السجين أمرت إدارة السجن بعزل المصابين و توفير العلاج لهم .. و إن كل ما نطلبه هو التحقيق في ذلك النقصير و الإهمال بحق المساجين .. فإن كان ذلك النقصير متعمدا من قبل الحراس من دون أوامر عليا فعليك محاسبتهم .. اما و إن كان الحراس ينفذون أوامر عليا تفرض عليهم تعمد الإهمال فيبني أنهمك أنت شخصا بمحاولة القيام بالفنل البطئ للمساجين .. و هذا كل ما لدي !! " .

و لما انتهى حابيس من كلامه ، جن جنون رئيس السجن ، و أمر بتوقيع عقوبة الجلد عليه أمام المساجين ، ليكون عبرة لكل من تسول له نفسه التمرد على سياسات السجن و إدارته ، و أمر بإخراج حابيس خارج المحبس ، فأخرجه الحراس فورا ، و أخلعوه ملبسه ، ثم انهالوا عليه ضربا بالسياط ، لكن حابيس كان صامدا صلبا ، فلم ينطق ببنت شفة ، غير أنه كان يتألم دون أن يصدر صوتا ، طمعا منه في ألا تتحقق لرئيس السجن غايته في بث الرعب و الخوف في صدور المساجين ، ثم انتهى الحراس ، بعد ان جلدوه ثلاثين جلدة ، و أمر رئيس السجن بإعادته مجددا إلى

أرض جوش

محبيه ، و انصرف الرئيس ، و بعد لحظات عاد الحارس الذي قام بجلد حابيس ، و قد كان قبليا و أحد المتعاطفين معه ، و طلب من حابيس أن يسامحه على ما فعله به ، و أقسم له انه ما كان لينفذ أوامر قائده إلا خوفا على حياته من الهلاك ، لكن حابيس أخبره بأنه لا يأبه لتلك الوسائل الخسيصة المتبعة في تعذيبه ، و أنه لن يرضخ أبدا لتلك السياسات القذرة التي تهدف لإرغامه على السكوت عن المطالبه بحقوق المساجين ، ثم طلب حابيس من هذا الحارس أن يفتح له باب السجن ليتمكن من الذهاب الى دورة المياة ، فوافق الحارس ، و فتح له .

خرج حابيس من المحبس ، و ربط الحارس يديه بقيد من الخلف ، و أوصله الحارس الى دورة المياة ، و عند الباب طلب منه حابيس أن يفك قيد يديه ليتمكن من قضاء حاجته ، فامتثل الحارس الطيب لرغبته ، و حل عقدة القيد المربوط في يديه ، فشكره حابيس كثيرا ، و دخل حابيس الى دورة المياة ، فيما انشغل عنه الحارس الذي ظل واقفا خلف الباب ينتظره ، لما سمع أحد الحراس ينادي عليه ، و يأمره بالذهاب في إحدى المأموريات ، فانصرف الحارس من أمام الباب ، بينما كلف أحد

أرض جوش

الحراس الآخريين يَنتظرون خروج حابيس بدلا عنه ، و على الفور ارتدى حابيس قنصوة الرجل العبراني ، ثم دفع بالخاتم في إصبغه ، و راح يردد على الخاتم تلك الكلمات و الأدعية التي حفظها من الرجل العبراني ، ثم سأل الإله بأن يحجبه و يخفيه عن نظر الحراس ، و فتح حابيس باب دورة المياه ، و خرج مغلقا الباب من ورائه ، فلم يجد أحدا واقفا بالخارج ، فسار في الممر الضيق داخل سرداب السجن ، و كان كلما مر بإحدى الشعلات المضائة على جانبي الممر أطفأها ، و ظل يعبر الممر دون أحد يراه أحد ، حتى وصل إلى باب السرداب المؤدي إلى أعلى القبو ، فوجد عليه حارسا مدججا بأسلحته ، لكن الحارس كان يجلس على مقعد صغير ، مطئطئا رأسه كأنه مغشي عليه ، فوقف حابيس إلى جانبه ، و مد يده في جيب الحارس ، و تناول المفتاح ، و دون أي شعور من الحارس بحابيس ، فتح حابيس باب السرداب ، و ركض نحو السلالم العالية المؤدية الى المخرج ، فصعد سلالم القبو ، حتى وصل الى باب الخروج ، فوجده مواربا قليلا ، فدفعه حابيس الى الورا ، فانفتح له الباب ، ثم ركض حابيس مسرعا خارجا الى بهو المعبد ، حيث وجده ممثلا

أرض جوش

بالعديد من الناس الذين كانوا يؤدون طقوسهم الدينية ، شعر حابيس بالإرتياح لعدم ملاحظة أحد له ، و كان يمضي في طريقه مخترقا حشود المتعبدين في المعبد دون قلق ، حتى انه ظن أن روحه رحلت عن جسده ، و ما ذلك إلا طيفه يسير بين الناس في خفة رائعة ، لم يكن حابيس يلتفت الى احد ، كان قلبه مطمئنا بنصر الإله له ، و عزم على المضي في طريقه دون تردد ، محاولا قمع وساوس الشيطان بداخله الذي كان يحاول تشييط عزمته ، و هزيمة قوته الداخليه الروحية التي حصل عليها من ادعية الرجل العبراني الحكيم ، حتى اخترق حابيس باب المعبد ، و استنشق نسائم الحرية التي دبّت فيه الروح من جديد ، في تلك اللحظة تقين حابيس من أن خطته قد نجحت بكل براعة ، و ان عليه ان يسرع لتنفيذ باقي الخطة ، قبل ان يكتشف الحراس أمر هروبه ، و يشرعون بالبحث عنه في كل مكان .

أسرع حابيس الى داره ، و أخرج من صندوق ملابسه بعض الثياب الجديده ، و استبدلها بملابس السجن القديمة ، و خرج على الفور من الدار ، و كان قد وجد جواده الأمين في مكانه المعهود ، في الأسطبل خارج الدار ، فقام بفك مربط الفرس ، و

أرض جوث

صعد على ظهره ، و انطلق به مسرعا نحو الصحراء ، كانت الخطة تنص على ضرورة شراء حابيس لبعض الثياب الخاصة بكهنة المعبد ، و إخفاء هويته عن طريق تقمص شخصية كاهن معبد ، و تغيير شكله تماما حتى يصبح مشابها لشكل الكهنة ، لذلك فقد قام حابيس بحلاقة لحيته ، التي نمت في فتره مكوثه بالسجن ، و بالفعل فبينما كان حابيس بداخل داره ، قام بقص لحيته و شعر رأسه الطويل بإستخدام المقص الخشبي ، ثم أحضر الموس الحديدي ، و قام بحلاقة ذقنه تماما ، حتى صارت ناعمة كذقون الكهنة ، ثم جاء بالمكحلة ، و طفق يمررها حول عينيه كي يبدو مثل كهنة المعبد المألوفين ، و قد تغير شكل حابيس تماما الآن ، و صار يبدو كأحد رجال الدين ، لكن عليه بإرتداء ملابس الكهنة كي لا يكتشف أحد أمره ، و لم يكن حابيس يملك ملابس كهنة ، و في نفس الوقت لا يمكنه الذهاب الى السوق و الظهور الى العامة ، في الوقت الذي علم حابيس بأن أمر هروبه قد انكشف ، و صار الجنود يبحثون عنه في الشوارع و الأسواق ، لذا قرر الذهاب الى سارة ، تلك الفتاه العبرانية التي دخل حابيس السجن دفاعا عن أخيها ، و بالفعل انطلق حابيس

أرض جوتش

على ظهر جواده ، مخترقا عباب الصحراء ، متوجها الى البادية القريبة من أطراف المدينة ، حيث خيام العبرانيين هناك .

وصل حابيس إلى دار سارة ، بعد أن ربط حصانه في شجرة بعيدا عن الدار ، و قبل ان يدخل الى الدار ، خلع غطاء رأسه ، و نزع الخاتم من إصبعه ، و ألقى السلام و التحية على أم سارة ، فصرخت المرأة حين رأته ، فاندفع حابيس نحوها ، و أقسم عليها ان تهدأ و تخفض صوتها ، حتى لا يشعر به احد ، فعملت المرأة بأمر هروبه ، و ذهبت لتبحث عن سارة ، بينما ظل حابيس منتظرا داخل الدار ، و قد كان خائفا ، يخشى أن يأتي احد و يراه فينكشف أمره ، و ربما يأتي الجنود الى هذه المنطقة بينما يبحثون عنه ، لذلك اضطر حابيس للإختباء خلف إحدى الستائر بالدار ، و بعد مدة قصيرة ، عادت المرأة العجوز و معها سارة ، و حين رأته سارة ، اندفعت نحوه ، و أمسكت بيده ، و قد غمرت السعادة وجهها ، فصار مشرقا نضرا لرؤيته ، ثم أمسك حابيس بيدها ، و شدها الى داخل إحدى الغرف ، و همس في أذنيها قائلا : " سارة !! .. إن جنود الملك الآن يبحثون عني في كل مكان .. ليس أمامي المزيد من الوقت .. سأطلب منك طلبا هاما .. عليكى بالإسراع

أرض جوث

في تنفيذيه .. " ، فأسرعت سارة تسأله عن طلبه ، فأخبرها :
" سوف تذهبين الان و بسرعة الى السوق .. ثم تقومين بشراء
ملابس كهنة جديدة و قيمة .. و شعر مستعار .. و تخنارين لكي
أفضل النياب و أغلاها كملابس النساء من علية المدينة .. ثم
تشندين بعض الطعام ليكون مؤونة و قوتا في السفر .. " ،
تعجبت سارة من حديث حايبس ، و قاطعته في دهشة سائلة :
حايبس .. أخبرني ماذا تنوي ان تفعل ؟ " ، فأجابها و هو يضع
نقودا معدنية في يدها قائلا : " سارة أرجوكي ليس هناك وقت
.. إن الجنود يقلبون المدينة رأسا على عقب بحثا عني ..
سأنتظرك عند النخلة حيث المكان الذي تواعدنا عنده من قبل
.. إذهبي الان بسرعة و لاتناخري " .

عاد حايبس إلى جواده الرابض عند الشجرة ، و هم بركوبه ، و
انطلق متجها نحو نخلة الميعاد ، ثم نزل عن فرسه ، و استراح
أسفل النخلة ، ثم تناول شرفة ماء من إربة المياه التي يحملها
معه ، و ما نسي أن يلبس قلنصوته و خاتمه ، حسبما أوصاه
الرجل العبراني ، خشية أن يراه الجنود الباحثون عنه في شتى
أركان المدينة و أطرافها ، حتى غلبه النوم في الظل تحت النخلة

أرض جوش

، و بعد عدة ساعات استيقظ حابيس فزعا من نومه ، عندما سمع صوت الفتاة العبرانية تنادي عليه عند النخلة ، فما كانت الفتاة العبرانية لتشعر بوجوده و هو يرتدي الخاتم و اللنصوة السحرية ، لذا أسرع حابيس بخلعهما ، بينما كان مستلقيا خلف النخلة ، فنادى عليها ، نظرت سارة خلفها ، فوجدت حابيس مستلقيا لجوار النخلة ، اندهشت أيما اندهاش ، كيف ظهر لها فجأة ، و قد كانت تبحث عنه حول النخلة وقتا طويلا ، لم يفسر حابيس لها الأمر ، و نظر فيما حملته معها ، فوجدها قد اشترت الملابس و الطعام كما أخبرها ، فأمرها بأن تسرع بإرتداء الملابس الجديدة على الفور ، رفضت سارة ذلك رفضا تاما ، و قالت له :
لماذا تريدني أن أرتدي تلك الملابس الجديدة ؟
حابيس : " سارة إنني أرغب بالزواج منك .. فهل توافقين ؟ "
سارة : " ماذا تقول ؟ .. هل أصابك الجنون ؟ .. هل انت تعي ما تقوله جيدا ؟ .. حابيس إنني لم أفكر في أمر كهذا مطلقا .. ليس لأنني لا أرغب بك ... بل لأنني عبرانية على دين آبائي و أجدادي و لا يمكنني الزواج بغير عبراني! أرجوك يا حابيس تفهم ذلك "
حابيس : " سارة .. إنك سوف تأتيين معي .. دون تردد .. و سوف

أرض جوش

أنزوج بكى .. سنهرب معا الى مدينة منف .. و هناك يمكننا العيش دون خوف او قلق .. سننكر في رجل دين و زوجته .. و لن يتمكن احد من كشف أمرنا .. عليكى ألا تفكري كثيرا في الأمر يا عزيزتي .. فإن انفذ نبوءة رجل عبراني كان معي بالسجن .. و قد تحدثت معه عنكي كثيرا .. فنبأ لي بالزواج منك و نصحني بذلك .. و قال لي ستكون لك زوجة من بني إسرائيل عونا لك في غربتك .. و ستكون لك سندا في رحلتك .. و لقد آمنت له بدين آبائك و أجدادك .. و صار بالإمكان أن أنزوج بكى ... هيا بنا يا حبيبتي .. و إني لأشهد رب العالمين على أن أحافظ عليكى و أراكي ما دمت حيا " .



المشهد الثاني

(أون ذات العماد)

في الشهر الثالث من شهور فصل "أخت" فصل الفيضان العظيم ، كان حابيس قد عزم أمره ، و قرر الهروب من مدينة أواريس ، التي أمضي فيها شبابه و صباه ، لقد كانت تلك اللحظة التي يخرج فيها حابيس من مدينته هاربا لحظة شديدة القسوة عليه ، كان يمتلأ حبا لتلك البلدة التي شهدت طفولته ، بينما كانت سارة تشعر بالحزن الشديد لمغادرتها المدينة ، و رحيلها عن أمها

أرض جوث

و أهلها و قومها ، الذين عاشت و ترعرت بينهم ، لكنهما الان قد وجدا نفسيهما تحولا إلى هاربين يضلان السبيل ، و لا يعرفان الى أين سينتهي بهما المطاف ، كان حابيس يلتفت خلفه كثيرا ، بينما كانت سارة تركب خلفه على ظهر جواده القوي الرشيق ، و شد حابيس لجام فرسه ، فأخذ يعدو عدوا في الصحراء ، متجها جنوبا ، حيث طرف المدينة الجنوبي ، و كان غرضه من ذلك هو البعد قدر الإمكان عن المدينة ، لأن جنود الملك كانوا في ذلك الوقت يجاهدون في البحث عنه في كل مداخل و مخارج المدينة ، لذا فإن الصحراء جنوب المدينة كانت الطريق الأكثر أمانا ، و الذي سوف يؤدي به الى الفرار من المدينة دون أن يعثر عليه الجنود ، لكن الصحراء برمالها الصفراء وقت الظهيرة ، و أشعة الشمس الحامية ، تركت على حابيس و سارة آثار التعب و لإرهاق ، و بعد ساعة العدو السريع ، رأى حابيس واحة صغيرة في واد عند سفح إحدى الهضاب ، فقررا التوقف عندها ، للراحة و إمداد الجسد بقليل من الطعام و الشراب ، و إطعام الفرس ، كي يتمكنوا من استكمال رحلتهم الشاقة ، نزل حابيس و سارة عن الفرس ، بينما ربطه حابيس في جزع النخلة ، و أنزل الأمتعة

أرض جوش

التي كانا يحملها على ظهر الفرس ، و أخرج منها إربة الماء ، فشربا و ارتويا ، و رويا فرسهما المجهد من عناء السفر ، ثم أخذنا قسطا من الراحة أسفل النخلة التي أظلت عليهما ، و بينما هما كذلك ، رفعت سارة رأسها الى السماء ، و صاحت في حابيس قائلة : " حابيس .. أنظر فوقك .. ماذا وجدت ؟ " ، فنظر حابيس عاليا ، فوجد النخلة الشاهقة التي كانا يستريحان أسفلها ، يتداعى الرطب من سعفها ، فقالت له سارة : " يا إيهي إيهي ناضجة !! .. إيهي إشارة من الرب بأنه سوف يبارك رحلتنا .. لقد أخبرني والدي قبل وفاته بأن تلك الرطب تذهب بالظمأ و تروي البدن و تشفي الروح .. هلم بنا نسقط الكنير منها ، ليكون لنا زدا و عوناً في سفرنا " ، فطفق حابيس يهز جزع النخلة بقوة ، فأخذت حبات الرطب الناضجة تتساقط فوق رؤوسهما ، و قد غمرتهما السعادة و الفرحة ، فطفقا يأكلان منها حتى تتملأ بطونهما و تقر أعينهما ، ثم جمعوا منه الكثير ، و حملوه معهم ، و أستكملوا الرحلة .

كان حابيس يحمل معه خريطة لأقليم أرض جاسان ، و بما أنه كان يعمل في الجيش فقد تمكن من الحصول على أدق الخرائط

أرض جوش

لجغرافية البلاد ، فأخرج حابيس تلك الخريطة من أمتعته ، و أخذ يملي النظر فيها بإمعان ، ثم قال : " انظري يا سارة .. إيه يتوجب علينا السير جهة الجنوب غرب .. حتى نصل إلى تلك الجزيرة الواقعة على قناة سيزوستوريس جنوب أرض جاسان .. و من ثم سنتمكن من إيجاد قارب يوصلنا إلى تلك المدينة الكبيرة التي تسمى بوباسطس (الزقازيق) و التي تقع على فرع بوبسطة الشرقي .. هناك سنجد بالطبع الكثير من المراكب الخشبية الضخمة .. و التي يمكننا السفر عبرها الى مدينة أون (هليوبوليس) و من ثم يمكننا عبور الضفة الأخرى للسيل حتى نصل الى مدينة منف الرائعة ... " ، ثم أضاف مشيراً في الخريطة : " انظري إنا الآن نفع في تلك المنطقة بالتحديد .. و عليه فإنا سوف نوجه غرباً في رحلة طويلة حتى مدينة بوباسطة الكبيرة .. " ، فأجابته سارة قائلة : " لكن سيكون هناك حتماً جنوداً و حراساً كثر .. و ربما قد وصل الخبر الى تلك المدينة المحصنة .. و ربما أمر الملك بالبحث عنا في تلك المدينة أيضاً " ، فطمئنها حابيس قائلاً : " نعم و لكن لا تقلقي .. لن يتمكن أحد من اكتشاف أمرنا .. لأننا قد تمكنا في شخصيات أخرى .. و سوف

أرض جوش

تساعدنا تلك الملابس الني نرتديها على تفمص شخصية كاهن عظيم و زوجته المرعوفة .. و بهذه الطريقة فسوف يسارع الكنيرون بمساعدتنا في إيجاد إحدى الرحلات النهرية الى مدينة أون ذات المسلات العالية .. لكن الآن عليكي ألا تنحذي مطلقا باللغة العبرانية .. و عليكي أن تخاطبينني بإسمي الجديد .. حتى لا يشك أحد في أمرنا"، فقطعته سارة ضاحكة: " و ما هو ذلك الإسم الجديد يا ترى ؟ " ، فاجابها حابيس قائلا: " إنه سوباك خادم الإبه رع الأمين و أنني زوجتي المخلصة تاوسرت " ، فعقبت سارة على كلامه قائلة: " يا لها من أسامي رائعة حقا .. الآن لقد صرنا من نبلاء الفوم و لن يكشف سرنا أحد " .

و عندما حل المساء ، كان حابيس و سارة قد وصلا إلى الجزيرة الواقعة جنوبا على قناة سيزوستوريس ، و هناك قابلا رجلا ريفيا فصيحاً ، فحياهما تحية عظيمة في إجلال ، و قد بدا عليه أنه خائفا منهما ، على الرغم من أنهما هما الذين كانا خائفين منه ، ثم طلبا منه أن يمكثوا بداره على الأرض المزروعة حتى الصباح ، فما كان على ذلك الفلاح إلا أن وافق في التو و اللحظة ، و قضيا في داره تلك الليلة ، ثم أستأنفا السير عندما أصبح الصباح ، و قد شكرا

أرض جوث

ذلك الفلاح على كرمه و حسن ضيافته ، و قدرا ترك الفرس له كهدية شكر و امتنان لكرمه ، فحملا امتعتهما على اعناقهما ، و عبرا فرع النيل في قارب لا دفة له ، بفضل الرياح التي كانت تهب من جهة الشرق ، حتى وصلا الى الجهة الأخرى من النهر ، و هناك وجدا قافلة متجهه الى مدينة بوبسطة المحصنة ، و قبل الظهر كانا قد وصلا الى تلك المدينة ، فوجدا جدارا مهيبا شديد لصد البدو و سحق ساكني الرمال ، و لما رأيا حراس الحصن هنالك ، كورا نفسيهما بين الحشائش خوفا من أن يراهما الحارس الذي كانت عليه المراقبة في ذلك اليوم ، و استأنفا السير حتى دخلا الى المدينة ، و هناك ساعدهما أحد التجار في العثور على إحدى القوافل النهرية المتجهة الى مدينة أون ، فاستقلا مركبا خشبية شراعية كبيرة ، كانت تحمل الكثير من العتاد من الأسلحة و الدواب و الغلال ، لنقلها الى مدينة أون ذات المسلات الضخمة ، و كان على متنها الكثير من التجار الذين يعيشون في تلك المدينة ، و قد كان التجار ينظرون اليها في مهابة و تقديس ، و قد تجعوا حول حابيس و سارة لمباركتهم ، فيما كان حابيس يبدو عليه أنه كاهنا ذي هبة عظيمة ، و قد كان البعض يطلب منه

أرض جوش

بعض الاستشارات الدينية ، فكان حابيس يجيب عليهم بما عرف من علوم الدين ، و بما أخبرته السيدة نانيس عن الطقوس الدينية القديمة التي توارثتها من أجدادها ، و قد أطلق عليه التجار إسم الكاهن المبارك ، لما وجدوه منه من توقيير و إجلال للإله رع معبود مدينة أون الذي كانوا يعبدونه ، و كانوا يحملون إليه الطعام تعظيما لمكاته ، و تكريما له ، و ترحيبا بوجوده على متن قاربهم ، و عند الفجر كان قد وصل حابيس و سارة الى مدينة أون العظيمة ، و فيها قررا أن يمكثا يومين قبل استكمال مسيرتهما الى مدينة منف الرائعة ، المحطة الثانية في رحلتها .

كانت مدينة أون مركز عبادة الإله رع ، و كان حابيس يعرف الكثير عن رع معبود مدينة أون ، و كان يقده و يجله إجلالا كبيرا ، و كان السكان يسمونها بمدينة الشمس ، و كانت اون تسمى أيضا بذات العمدان ، نظرا لأمتلائها بالمسلات الكبيرة الشاهقة الإرتفاع ، و كانت المدينة العاصمة للإقليم الثالث عشر من أقاليم مصر السفلى ، و كان في المدينة الكثير من المعابد الضخمة المشيدة من الصخور الطبيعية ، و كان الإله رع هو المعبود الرئيس في المدينة ، و هو إله الشمس ، و كان و كان

أرض جوش

يرمز له في شكل رجل يعلو رأسه قرص الشمس ، فكانت المدينة مركزا تجاريا و حضاريا و ثقافيا و دينيا عظيما ، و وجد فيها الناس يرددون اسطورة عظيمة ، و تحكي تلك الأسطورة عن الإله رع الذي كان يلقب بأبي اللاهة ، و قد خلق نفسه بنفسه ، و استقر فوق العرش ، و لما وجد نفسه وحيدا في الكون بدأ بخلق زوجين هما الإله شو إله الهواء و الإلهة تفتوت إلهة الرطوبة و الندى ، و قام هذان الزوجان بإنجاب زوجين آخرين هما الإله جب إله الأرض و الإلهة نوت إلهة السماء ، و الذين كانا ملتصقين ، ففصلهما الإله شو إله الهواء ، و في أثناء التصاقهما أنجبا أربعة ابناء هم الإله أوزير و الإله ست و الإلهة ايزيس و الإلهة نفتيس ، و بذلك اكتمل التاسوع الإلهي لمدينة أون ، و قد خلق الإله أتوم (رع) البشر من دموعه ، و كان الناس يمجدون الإله رع أكثر من غيره من الآلهة ، و كانت المدينة مقرا للعلم والحكمة ، حيث كان يوجد بها جامعة عريقة ، جذبت اليها العديد من الدارسين للإلتحاق بها ، و كان يدرس بجامعتها العديد من العلوم منها الحكمة و الفلسفة و الفلك والطب و الرياضيات و الدين و التاريخ ، و كان يطلق على كبير كهنتها إسم كبير العرافين

أرض جوش

المستبصرين ، و هو لقب مرتبط بعلم الفلك ، و قد كان في مدخل المدينة مسلة عظيمة بناها الملك سوسرت الأول قبل عدة سنوات ، و قد زار حابيس تلك المدينة العظيمة مرة واحدة من قبل ، و كان يعلم عنها الكثير ، كما كانت سارة تعرف الكثير عن تلك المدينة ، مما حكاها لها أجدادها العبرانيين الذين جاؤوا الى أرض القبط منذ زمن ، و قد نزل حابيس و سارة في ضيافة أحد التجار الذين تعرفا عليه أثناء رحلتها النهرية على متن القارب الشراعي الكبير .

كان الزوجان الجديان منهكان أشد الانهاك من آثار السفر ، لذا كان عليهما المكوث في مدينة أون يومين ، حتى يتثنى لهما استكمال رحلتها اليى مدينة منف الرائعة ، و لقد كانت سارة سعيدة في وجودها في تلك المدينة ، أما حابيس فكان يفكر كثيرا في كيفية التحضير للإنتقال الى مدينة منف ، و بينما كانا يتناولان العشاء ، سألته سارة عما يفكر به ، و يجول في ذهنه ، فقال لها :
" لقد كانت رحلة شاقّة للغاية .. لكن علينا عدم البقاء في تلك المدينة كثير من الوقت .. إن خبر هروبنا ربما يكون قد وصل الى هنا .. و أخشى أن يكون بقائنا هنا فيه خطر على حياتنا " ،

أرض جوش

فأجابته سارة قائلة: " لا عليك يا عزيزي .. لا ترهق ذهنك بكنزة
النفكير .. إن الرب معنا و إبه راعينا و حامينا في تلك الرحلة
الشاقة .. " ، فعقب حابيس على كلامها قائلا: " هل تشعرين
بالأمان معي؟ " ، فأسرعت قائلة: " هل من شك في ذلك؟ " ،
، اغتبط حابيس كثيرا، ثم قال لها: " و ما رأيك في هذه المدينة؟"
، فأجابته سارة قائلة: " إنها مدينة رائعة جدا .. إن لها مكانة كبيرة
عندي .. فقد ولدت فيها "إسنات" تلك المرأة التي أعطاها ملك
مصر زوجة لنبي الرب يوسف إبنة "فوطي فارغ" كانهن أون
العظيم .. و أون هي من المدن العظيمة التي شارك العبرانيين
في تحصينها مع كنير من المدن الأخرى مثل فيثوم و رعمسيس
و تانيس و أواريس الجميلة .. " ، ثم عقب حابيس على كلامها ،
فقال: " نعم .. و لقد كانت أون ذات شأن عظيم في عهد الملك
سنوسرت الأول .. و كانت تمثل مركزا لوحدة الإمبراطورية
القديمية متراامية الأطراف .. و لقد بنيت اون على حافة الصحراء
التي تراجعت حوالي ثلاثة أميال نحو الشرق .. ننتيجة لإرتفاع
حوض النيل من طمي الفيضانات .. " .

أرض جوش

استطردت سارة قائلة: " ولقد كان كهنة أون يخضعون ليوסף الذي أصبح رئيسا للوزراء بعد وفاة بوتيفار الذي كان عزيز مصر من قبله .. و لقد كان بوتيفار رئيسا للوزراء و قائدا للجيش .. و كان رجلا مخلصا في عمله و كان موضع ثقة للملك في ذلك الوقت .. و لقد اشترى بوتيفار يوسف و أخذه الى بلاط الحكم عندما كان صغيرا .. و لم يعامله معاملة العبيد .. بل أوصى زوجته زليخة بالإحسان اليه لما وجد فيه من الفطنة و الذكاء و الرأي الناقب .. و ترعرع يوسف في بلاط العزيز بوتيفار مدة أحد عشر عاما الى أن اشند عوده .. و صار شابا حسن الوجه حلو الكلام شجاعا قويا و ذا علم و معرفة .. و كان لا يمضي يوم إد و يزداد شغف زليخة زوجة بوتيفار الخائنة بيوسف .. الى أن راودته عن نفسه ظنا منها أنه سوف يطيعها في معصية الرب و خيانة العزيز .. إذ أن يوسف كان من المخلصين و أبي أن يرتكب تلك المعصية .. و هرب تجاه الباب ناويا الخروج .. لكنهما وجدا بوتيفار عند الباب .. و عندما رأى بوتيفار العادل أن قميص يوسف تم شده من الخلف أيقن أن زوجته زليخة هي الخائنة .. و هي من راودت يوسف عن نفسه و هي من مكرت به .. ثم

أرض جوش

قامت زليخة بعد ذلك بالعمل على سجن يوسف حتى ينصاع لرغبتها و يطيعها .. لكنها فقدت ثقة زوجها بوتيفار بعد أن انفضح أمرها .. و لبث يوسف في السجن عشر سنين .. لكن بوتيفار ندم بعدها على سجن يوسف و حزن من خيانة زوجته له .. و اعتلت صحته .. ثم توفي بعد خروج يوسف من السجن بقليل .. فصار يوسف عزيزاً لمصر خلفاً لبوتيفار .. و قام يوسف بالعمل على انقاذ أرض الفيظ من المجاعة و الفحط .. كما قام بهداية الناس بعبادة الرب الواحد حتى صار دين أبينا يعقوب هو الدين الرسمي للدولة .. و قد أمر بتحسين مدينة أون.. و عظم مكانتها بين المدن .. فأحببه أهل الفيظ حبا جما حتى مات .. فننازع شيوخ القبائل الرعاة الأسيويين على حكم بلاد الفيظ .. و حاربوا دعوة يوسف في البلاد .. و عاثوا في الأرض فسادا .. فصاروا يذبحون الأطفال من أهل يوسف و يستحيون نساءهم و يستعبدون الناس في الأرض .. و في ذلك غضب عظيم من الرب علينا و بلاء شديد لأرض الفيظ'.

فجأة طرق أحد الباب ، فأسرع حابيس بإرتداء ملابس الكهنوتية ، و ذهب لفتح الباب ، فوجد أمامه التاجر القبطي الذي يقضيان

أرض جوش

ليلتها في داره ، تعجب حابيس لأمر ذلك التاجر الذي جاء ليسأل عليهما في تلك الساعة المتأخرة من الليل ، و ظن أن هناك امرا ما يجول في رأسه ، فسأله حابيس عن الأمر الذي دعاه للقدوم إليهما في تلك الساعة المتأخرة ، أجابه التاجر بأن زوجته تعاني من ألما شديدا بالبطن ، و لا تستطيع النوم ، فأوصاه حابيس بغلي أوراق نبات حب العزيز ، ثم تناوله دافئا ، كما أوصاه بزيت الحبة السوداء و مغلي بذور اليانسون ، لكن التاجر أصر على اصطحابه الى زوجته ، لقراءة بعض التعاويذ و الأناشيد الدينية عليها ، حتى تذهب عنها آثار الشر الذي مكر بها كما أعتقد التاجر.

قال التاجر لحابيس : " يكاد إبراء الجسد من علنه يعتمد على مطارنة روح الشر .. و إجبار تلك الروح على ترك الجسد .. بإستخدام عزائم السحر .. أكنر من الإعتماد على علاج الجسد نفسه " ، و كان ذلك التاجر يؤمن بقدرة السحر العظيمة على الشفاء ، و ان أفضل العلاج انجح ما يتمثل في رقية تؤتي فعلها فورا ، و أنه لن يقدر على فعل ذلك سوى واحد من العرافين الكهنة المرتلين ، الذين تخصصوا في معرفة كتب السحر القديمة ، و قد ظن التاجر أن حابيس من أولئك الكهنة العرافين ، و الذين

أرض جوث

كانوا منتشرين بكثرة في ذلك العهد ، و عملوا على بث أفكارهم و معتقداتهم في نفوس العامة ، في ذلك الوقت ، ليتمكنوا من التسلط عليهم و السيطرة على عقولهم ، و حتى يكون لهم نفوذا كبير حتى على الملوك و الأمراء ، و لقد كان عامة الشعب يعتقد أن الكاهن يبرأ و يشفي بإستخدام السحر ، و أن هناك ارتباط وثيق بين السحر و الطب و العلاج ، لكن حابيس كان يعلم حقيقة الأمر ، و هو ان العلاج و الشفاء كان يأتي من العلوم الطبية ، و ليس من السحر الأسود و الخزعبلات كما كان يعتقد العوام من الناس في ذلك العصر ، الذي انتشر فيه الجهل و الفقر و المرض بين الناس ، و استشرت فيه قوة و نفوذ و سلطة الكهنة و خدام المعابد ، فصار الناس يمتثلون لأوامرهم ، و يتبعون كلامهم ، كقطعان من الغنم ، لذلك أراد حابيس توعية التاجر بأن قال له :

” إنه نوع آخر من السحر لا علاقة له بالشياطين أيها الناجر الطيب .. و لا يتم من خلاله إحراق الضرر و الأذى بالآخرين .. إنه السحر العلمي .. الذي يسخر فيه الكاهن العالم بربه الطبيعة بوسائل و طرق آنية و ميكانيكية و نظريات فيزيائية و كيميائية لصالح

أرض جوش

الإسنان و البشرية .. و قد عرف هذا النوع من الطلاسم و السحر العلمي بإسم السيمياء .. لكن كهنة هذا الزمان يعملون كسحرة و دجالين محاولين إغناع الناس بقدرته سحرهم الفوي على الشفاء و العلاج .. و لقد عملوا على إخفاء تلك الأسرار و حجبها عن عامة الناس .. حتى يتثنى لهم السيطرة على عقولهم و أفكارهم .. و حتى يتمكنوا من الوصول الى عقول الملوك و الأمراء فيغدقون عليهم بالهدايا و العطايا الكنيرة .. لأن النداء و نشر الجهل بين الناس هما أدواتهم الفوية للسلطة ... و قد لجأ بعض الكهنة إلى طريقة يحفظون بها علومهم حتى لا تندثر بعد موتهم .. فاخترعوا الرموز و الطلاسم و الشفريات و الأرقام لنسجيل تلك العلوم بعد أن قاموا بتعليمها للكهنة الصغار .. هذه الطلاسم هي النبي يعتقد فيها عامة الناس بأنها من انواع السحر .. و يعتمد بعض الكهنة في تنبيت ذلك المعتقد لديهم .. ليزعموا أنهم يملكون ان يدخلوا الرجل إلى العالم الآخر (الجنة) بسلام عند استقباله بعد موته .. فنرعب تلك الأفكار العامة من الناس .. فيأخذون بتقديم العطايا و القرابين لهم .. و لكنهم يخنلسون تلك العطايا و القرابين لهم .. و هم بذلك ينصبون

أرض جوش

أنفسهم أوصياء على الدين .. و ليبسطوا سلطنتهم و يفرضوا
هيمنتهم على الدولة .. حتى صاروا دولة داخل الدولة .. إذهب
أيها الناجر الطيب المتدين .. و عد إلى زوجتك .. و أعطها مما
وصفت لك .. و سوف تكون بخير بإذن الإله في الصباح .. لكن
عليك أن تثق في قدرة الإله على الشفاء."

إنصرف التاجر و قد ارتسم على وجهه علامات الإقتناع ، و قد
أشاد بعلم حابيس الفائق ، و أثنى على حكمته البالغة ، أما
حابيس و زوجته سارة فطفقا يتعبدان بداخل الدار ، و قررا
إعتزال عامة الناس ، و عدم الإختلاط بهم ، حتى يتمكنوا من
مغادرة المدينة في صباح اليوم الثالث .



المشهد الثالث

(منف الرائعة)

جاء صباح اليوم الثالث ، فاستعد الزوجان للرحيل ، و قد هما بالإسراع للحاق بالقافلة النهرية المتجهة إلى مدينة منف ، خرجا الزوجان على الفور ، و توجهوا صوب ضفة النهر ، حيث وجدا السفينة الشراعية الكبيرة في انتظارهما ، و ما ان قابلهما الركاب

أرض جوش

، حتى صاحوا فيهما منادين عليهما ، و قد رحب بهما الركاب
ترحيبا عظيما يليق بمكانتهما بينهم ، و كان الجميع يكن لهما
كل توقير و إحترام ، و لقد ذاع صيت سوباك كثيرا ، بعد أن تناقل
التاجر أخباره بين أهله و جيرانه ، و قد تحدث لهم كثيرا عن فضله
و علمه العظيم ، بعد ان تمكن من علاج زوجته التي كانت تتالم
بشدة ، و قد صار جميع الركاب يتحدثون عن سوباك فيما بينهم
، و كان الجميع يتوافد لإلقاء التحية عليه و على زوجته تاوسرت.

تحركت السفينة الشراعية ، و قد توجه سوباك و زوجته تاوسرت
بالدعاء الى الرب ، ليبارك لهما في رحلتها الجديدة إلى مدينة
منف ، كانت الرحلة جميلة للغاية ، و كان الفيضان في ذلك العام
كبيرا و هائلا ، و كانت مياة الفيضان الخصبة هي تلك القوة التي
تمنح الأرض الخصوبة و الحياة ، فكانت السفينة ترتفع بهم كلما
تعمقت في وسط النيل ، فأضحت تبدو كهضبة عالية ، و كانت
ضفاف النيل تبدو كسهولا و وديانا جميلة ، فكان سوباك يحب
كثيرا الوقوف عند طرف السفينة في وقت الظهيرة ، متأملا
الشمس العظيمة التي وهبت الحياة و الحضارة لأهله و أجداده
، و كانت تاوسرت تقف إلى جانبه ، فكان كلا منهما يردد بعض

أرض جوش

التلاوات المقدسة ، و الصلوات للخالق العظيم المبدع ، كان سوباك يقدر الشمس تقديسا خاصا ، و كان يرى انها الضياء الذي ملأ الكون نورا ، و أشعته بالرسل الذين يحملون العلم للبشر ، و كان الركاب لا يحاولون قطع صلاة سوباك ، بل كانوا كلما وجدوه في حالة تضرع و خشوع انصرفوا عنه وتركوه ، اعتقادا منهم بأن تلك الصلوات ستحمل لهم بركة الألهة و رضائها عليهم ، و قد لقبه الركاب بالكاهن الكبير الذي شاهد الإله رع .

و في عصر اليوم التالي ، كان قد وصل سوباك و تاوسرت إلى مدينة منف الرائعة ، فنزلا عن السفينة ، و راحا يتجولان في أزقة المدينة الجميلة ، تلك المدينة التاريخية العظيمة ، التي بناها الملك نارمر موحد الشمال و الجنوب قبل مئات السنين ن و قد اتخذها عاصمة لمملكة كيميت الموحدة الجديدة ، و أصبحت منف بعد ذلك التاريخ مفتاحا لحركة الحياة في كيميت (الأرض السوداء أو مصر حاليا) ، ففي ظلها ازدهرت الحياة الثقافية و الإقتصادية و الإجتماعية ، و نهضت العمارة و الفنون و الفكر الديني ، و كانت المعبر الرئيسي من شمال البلاد إلى جنوبها و العكس ، و شهدت اول عمارة حجرية ، و أول مقبرة ملكية على

أرض جوش

شكل هرمي ، و صارت جباناتها و مقابرها أشهر مقابر كيميت قاطبة ، و كان المعبود بتاح المعبود الرسمي للمدينة ، و سعى معظم الملوك على مر العصور يشيدون الأبنية و القصور و المعابد الضخمة على أرضها ، و إقامة اكبر مخازن للغلال فيها ، و ظلت بمثابة المرأة التي تعكس وجه كيميت الحضاري العريق ، و عندما تعرضت كيميت لرياح عاتية ، متمثلة في كل الذين حاولوا غزوها ، كان لمنف دورها البارز في الصمود و الكفاح ، فكانت بمثابة المفتاح لكل بوابات كيميت ، فما استطاع مستعمر للبلاد أن يصل الى عمق البلاد إلا إذا تمكن من السيطرة على منف ، و أدرك الغزاة و المحتلون قيمة و مكانة منف في عقول و نفوس الكيميتيين ، فصاروا يسعون إليها سلما او حربا ، مدركين ان السيطرة على منف هي السيطرة على كل كيميت ، حتى احتلها ملوك الرعاة الأجانب (الهكسوس) ، و قد توج الملك ساليبتس (أول ملوك الهكسوس) بها .

إن عظمة منف و ما بلغته بين مدن كيميت القديمة ، لأمر تشهد عليه الأجيال المتعاقبة ، فقد عاشت على مر العصور في ذاكرة الأمة ، و قد تعلق بها القدماء تعلقا شديدا ، فقرضوا الشعر و

أرض جوش

النثر في جمالها و مفاتها الطبيعية ، و معبدها الكبير الصرح الضخم ، و هرمها المدرج العظيم ، و معبودها الإله بتاح الكريم ، رب كل الصفات الجليلة و الحميدة ، و ما كان يعتري أحيائها المختلفة و سكانها متنوعي الجنسيات من بهجة عارمة إبان الأعياد بشتى انواعها ، و قد كان من شدة حب اهل القبط لها ما جعل الكثيرون يطلق أحد اسمائها الشهيرة على أطفالهم سواء كانوا ذكورا أم إناثا ، و كان من ضمن أسمائها المدينة ذات الجدران البيضاء ، حيث كانت المدينة تتميز بجدرانها البيضاء و اسوارها البيضاء في لوحة فنية رائعة ، أضفت على المدينة طابعا جماليا خاصا بها ، كما سميت بالحصن الأبيض ، و ذلك لأن سور المدينة كان مشيدا من قوالب من الطوب اللبن ، و التي تم كسوها بعد ذلك بالحجر الجيري الأبيض ، و ذلك تمجيدا للون تاج الصعيد الأبيض ، الذي استطاع أصحابه ان يتموا وحدة كيمييت ، و كما تعددت أسماء منف او من نفر ، تعددت كذلك معانيها ، فمنها باب الخير أو المكان الجيد أو الموقع الممتاز ، و أيضا تعددت صفاتها مثل ميزان الأرضين ، و ذلك لأنها تقع في نقطة إتصال بين كيمييت العليا و السفلى ، كما وصفت بإشراقة

أرض جوش

الأرضين ، و مقر روح الإله بتاح ، و كان الإله بتاح هو رب المدينة و معبودها و حاميتها ، و في معبده يتم تتويج الملك ، و بإسمه تجري امور الدولة ، و قد شاركه في منطقة إقليم منف المعبود سوكر ، و الذي صور على هيئة شكل آدمي برأس صقر ، و اعتبر إلهها حاميا لجانة سوكر (سقارة) ، و التي تقع على حافة الصحراء غرب المدينة ، فكانت المدينة تعج بالمعابد العتيقة .

تمكن سوباك و تاوسرت من إيجاد مسكن يقيمان فيه طيلة فترة مكوثهما في مدينة منف ، و قد ساعدها بعض التجار في ذلك ، و كان سوباك ينوي الإقامة في منف لبضعة أشهر ، بينما كانت تاوسرت تحبذ فكرة استكمال الرحلة إلى الجنوب بأسرع وقت ممكن ، كانت تاوسرت تخشي من اكتشاف أمرهما في تلك المدينة ، و التي كانت تتبع لحكم ملك أرض جاسان في تلك الفترة ، لكن سوباك كان متاكدا من أن أمرهما لا يمكن له أن ينكشف ، و ذلك لأمرين أولهما أنهما قد أصبحا يعيشان بأسماء أخرى و شخصيات جديدة ، و الثاني لأن الناس صاروا يعظمون أمرهما ، و باتوا مصدقين و مقتنعين بشخصياتهم و صفاتهم الجديدة التي انتحلاها ، و على ذلك كان الرأي الأرجح لسوباك ،

أرض جوش

فبقيا في تلك المدينة لعدة أيام ، كان سوباك في خلال تلك المدة يسعى جاهدا في البحث عن مصدر رزق له و لزوجته ، لكن أحد الجيران الجدد أشار عليه بالعمل في معبد المدينة الأكبر ككاهن مختص ، و هي مرتبة وظيفية عليا في العمل الكهنوتي ، حيث سيكون عليه العمل في وظائف محددة ، تخص الخدمة و الطقوس و و أعمال النظافة اليومية ، و إكساء و تزيين التماثيل الإلهية ، و المحافظة على قاعات الطقوس ، و على الموارد المخصصة للإستعمال اليومي كالحلي و الثياب و متطلبات العبادة ، و يشتمل هؤلاء الكهنة المختصون بصورة عامة على عدة وظائف و تخصصات ، منها الكهنة الذين يختصون بأعمال الختان ، و الكهنة المرتلون ، و الكهنة المجنحون ، نسبة الى الريشتين اللتين تزينان غطاء رأسهم ، و هم الكهنة القراء و الكتاب الذين كانوا يمارسون عملهم فيما يسمى بحقول العلم المقدس أو العلم الإلهي ، الذي كان يشمل مختلف الحقول الخاصة بالأدب و الحكمة و الكيمياء و الطب في بيت ملحق بالمعبد يسمى بيت الحياة ، و لم يكن كتبة المعبد هؤلاء من الكهان فقط ، بل كانوا يشكلون الطبقة المثقفة و المتعلمة في

أرض جوش

المدينة آنذاك ، و لذلك قرر سوباك بالذهاب الى المعبد ، و العمل في وظيفة الكاهن القارئ .

في اليوم التالي توجه سوباك الى المعبد الكبير بالمدينة ، و قابل كبير الرائيين (كبير الكهنة) ، و في ذلك اليوم كان المجلس الملي الكهنوتي منعقدا ، لترشيح عدد من صغار الكهنة للعمل بالمعبد ، حيث كان هناك وظائف شاغرة يسعى المجلس الكهنوتي لشغلها ، و كان هناك عدد من الكهنة الجدد يرغبون بالإنضمام للخدمة الدينية ، فقد درجت العادة على أن يتم تعيينهم من قبل المجلس الكهنوتي ، كان سوباك مستعدا لإجتياز إختبارات التعيين ، و قد كان من أهم شروط الخدمة الدينية أن يكون الكاهن قد قام بالختان بقصد النظافة ، فقد كان ذلك تقليدا متصلا بالطهارة الجسدية ، إذ كانوا يضعون النظافة و الطهارة فوق كل القيم الجمالية ، و كانت من طرق الطهارة أيضا الإغتسال بالماء البارد مرتين نهارا و مرتين ليلا ، و غالبا ما يكون التطهير في البحيرة المقدسة الملحقة بالمعبد ، فقد كان الكهنة قبل بدء خدمتهم الصباحية ينزلون الى الماء فيريقونه علي أنفسهم في غزارة ، فإذا لم يكن هناك بركة او بحيرة ، يحل محلها

أرض جوش

حوض من الحجر ، و كان يجب أيضا أن يغسل الكاهن فمه بقليل من مذاب النطرون قبل أن يطرق المكان المقدس ، و قد كان سوباك على علم كبير بحياة الكهنة الخاصة ، و قد استعد جيدا لهذا اللقاء بأن قام بإزالة الشعر من جسده ، فقد كانت النظافة و الطهارة الجسدية أهم ما يشترط أن يتوفر في الكاهن ، و لقد كانت تلك العملية اضطرارية ، إذ بلغت قيمة الغرامة على كل من يهملها 1000 درهم ، بل إن بعض الكهنة وصل بهم أمر المبالغة في ذلك بالتخلص من شعر رموشهم و حواجبهم ، كما لم يكن يسمح لهم بتذوق الطيبات من طعام الموائد ، فقد كانوا يحرمون على أنفسهم بعض اجزاء الذبيح ، إذ كان عليهم ان يتحاشوا الرأس أحيانا و الأرجل أحيانا اخرى و الأعضاء الأمامية أحيانا ثالثة ، و قد كانت لحوم الماعز و البجع و الحمام و الأسماك البحرية و الخنزير من المحرمات ، و كذلك الفول الذي كان يحرم على الكهنة تناوله ، و كان يقصد بذلك غجتنا ب الغازات المعوية التي يسببها أكل الفول ، أما النبيذ فقد كانوا يتناولون منه قدرا قليلا ، أو لا ينالون منه شيئا ، كما ان الملح كان من غير المرغوب ان يظهر على موائهم ، و كذلك البصل و الكرات و الثوم و كل

أرض جوش

ما يصدر عنه روائح كريهة ، و قد ذهب سوباك إلى المجلس الكهنوتي مرتديا ثوبا من الكتان الأبيض الناصع البياض و حذاء من البردي ، و قد كان هناك بعض الأقمشة المحرمة على الكهنة مثل الأقمشة الصوفية ، لأنها مستخلصة من مخلوقات حية ، تصيب لابسيها بالقدارة ، و تحط من قدسية المكان الذي يؤدون فيه واجباتهم ، و قد كانت تلك القاعدة قاطعة لا استثناء فيها و لا هوادة ، و لكن على الرغم من كل تلك القواعد المشددة و الصارمة التي كان يجب على جميع الكهنة الإلتزام بها ، إلا إن كبار الكهنة كان من حقهم ان يخالفوا تلك القواعد المنصوص عليها في دستور العمل بالمعبد ، فكبير الكهنة كان يرتدي رداء من جلد الفهد ، و يحمل قلادة ذات شكل خاص ، و كان معظم كبار الكهنة مصابين بالتحمة ، و يعانون من السمنة المفرطة ، و أمراض تصلب الشرايين ، و السبب هو كثرة تناول الأطعمة الدسمة التي كانت تقد كقرايين للألهة ، بالإضافة للثراء الفاحش الذي تمتعوا به .

اجتاز سوباك إختبارات المجلس الكهنوتي ، و قد بدا أن أعضاء المجلس قد أعجبوا بعلمه الكهنوتي الغزير ، و إلتزامه بتقاليد

أرض جوش

المعبد المتبعة في ذلك الوقت ، و قد تم تنصيب سوباك كاهنا قارئاً في حضور جميع أعضاء المجلس الكهنوتي ، و تسلم مهام عمله الرسمية في اليوم التالي ، و لقد كان السحر و علوم ما وراء الطبيعة (الباراسيكولوجي) من ضمن العلوم الكهنوتية المقدسة التي يجب أن يتعلمها الكاهن عند دخوله إلى السلك الكهنوتي ، و لقد كانوا يستخدمون السحر في الطقوس و في العلاج و غيره من أمور الحياة ، و كان هناك بعض الرموز و الطلاسم على أشكال طيور و حيوانات في اللغة الهيروغليفية تكتب على بعض الجداريات ، لكن تلك الرموز لم يكن يعرف معناها و لا شفرتها سوى القليل من الكهنة ، و كانت تلك الرموز بمثابة طاقة روحانية خفية جدا ، و كانت تسمى الكتابات أو المتون المقدسة باورع (روح الإله) ، و لقد كانت تلك الطلاسم يعتقد أنها هي التي تنقذ روح المتوفي من العوالم الأخرى ، و هي التي تحمي المتوفي من الأرواح الشريرة في العالم الآخر ، لذلك كان يتوجب على سوباك أن يتعلم تلك الطلاسم لقراءتها على روح الموتى قبل دفنهم ، و لقد كان هناك تقليد خاص متبع يقوم به الساحر أو الكاهن في ذلك الوقت ، فلقد كان يقوم بوضع تلك

أرض جوتش

الرموز و الطلاسم في الماء بعد كتابتها على ورق البردي ، حتى إذا ما ذابت تماما في الماء ، يقوم الساحر بشرب ماءها ، حتى تنتقل القوى الخفية لتلك الكتابات الي جسده ، و لقد تعلم سوباك كل تلك التقاليد الكهنوتية ، لكن سوباك كان يمتلك بعض الأسرار الخفية الخاصة به ، و التي كان قد تعلمها من قبل من الرجل العبراني في السجن ، و كانت تلك الأسرار و العلوم لا يعرف بها كثير من الكهنة ، مما أثار بعض الضغائن و الأحقاد عليه في نفوس بعض كبار الكهنة بالمعبد .

كان كهنة مدينة منف يتبعون مدرسة بتاح في السحر ، و قد كان أولئك السحرة متخصصين في إخفاء الأشخاص و الأشياء و إعادتها مرة أخرى أمام الناظرين ، و في يوم من الأيام أمر حاكم إقليم منف بجمع سحرة المدينة أمام قصره ، ليقوموا بمباراة عظيمة في السحر أمام حشد كبير من اهل المدينة ، و قال لهم أنه سوف يهب عطايا بلا حدود لمن يتمكن من إعادة الحياة لأحد السجناء بعد فصل جسده عن رقبته ، كان ذلك تحدي كبير لسحرة المدينة ، الذين اشتهروا بقدراتهم الخارقة في أعمال السحر ، و كان كل كاهن ساحر يرغب في المنافسة و إثبات قدراته

أرض جوش

في السحر ليحظى بعطايا الحاكم ، و احضر الجنود السجين فوق المنصة ، ثم أمر الحاكم ببدأ المباراة ، و صاح فيهم هل من متنافس ؟ ، فصعد عدد من كبار الكهنة إلى المنصة ، و قاموا بقراءة الطلاسم و التعاويذ المقدسة ، ثم أمسكوا بالسيف ، و فصلوا رأس السجين عن جسده ، و وضعوا الرأس في جهة و الجسد في جهة أخرى ، ثم أمروا الرأس بأن تعود إلى الجسد ، لكن بعد عدة محاولات متفانية لم ينجح معهم الأمر ، فغضب الحاكم غضبا كثيرا ، و أنكر عليهم قدراتهم الخارقة في السحر ، ثم رفع سوباك يده ، و طلب من الحاكم أن يتقدم للمنافسة ، فصعد سوباك إلى المنصة ، و أغمض عينيه ، و أخذ يقرأ على الرأس بعضا من الأدعية التي تعلمها من قبل ، فأخذت الرأس ترتفع في الهواء ، و تدنو ببطء من الجسد ، حتى إلتحمت تماما بالجسد ، ثم نفخ فيه سوباك نفخة قوية ، فانتفض الجسد ، و استعاد السجين حياته من جديد ، وسط ذهول عظيم من الحاضرين جميعا ، انبهر الجميع بما قام به سوباك ، و قاموا بالتصفيق له بشدة ، و كان الحاكم لا يستطيع تصديق ما رأى ، فتقدم نحو سوباك ، و سأله كيف أمكن له أن يعيد الروح بعد أن انفصلت

أرض جوتش

الرأس عن الجسد ، فقال له سوباك : " سيدي الملك .. إنه ما كان لي أن أعيد الروح إلى الجسد .. وإن تلك القدرة أخصها إليه لنفسه .. و ما انا إلا عبد ضعيف أعطاني الإله بعضاً من علمه و أسرار، الإهية .. سيدي الملك !! .. إنني لم أغير طبيعة الكائن الحي أمامكم .. و لكنني استطعت أن أقنع أعينكم و حواسكم لنرى ذلك .. و إن ذلك مما علمني إياه ربي ... و إن ربي لذو علم عظيم .. " ، امتلاً الحاكم إعجاباً بسوباك ، و قد غمره شغف كبير لإكتشاف سر قدرة سوباك العظيمة في السحر ، فعاد ليسأله : " أخبرني أيها الساحر العظيم .. ما إسمك ؟ " ، فأجابه سوباك قائلاً: " إنني العبد الفقير للإله سوباك .. " ، فقال له الحاكم: " و أين تلفيت علومك الكهنوتية العظيمة تلك ؟ " ، فشعر سوباك بالارتباك الشديد ، و لم يكن في استطاعته أن يخبر الحاكم بالحقيقة ، فاضطر لأن يكذب عليه ، فقال له : " لقد تلفيت علوم السحر على أيدي أحد كبار الرائيين من كهنة امون في معبد سيوة .. و لقد عرف عن هؤلاء الكهنة العظماء البراعة في الاستشارة .. و لقد ذهب إليهم الكثير من الملوك و الأمراء لاستشارتهم في كثير من الأمور .. و ما أنا إلا كاهن صغير متواضع بالنسبة لهؤلاء

أرض جوش

الكهنة العظماء ... " ، حاذ كلام سوباك على إعجاب و تقدير الحاكم ، و امر الجنود فأغدق عليه بالعطايا و الهدايا الكثيرة ، و أمر بأن يكون سوباك الكاهن الخاص به ، كما أوصى بأن يكون سوباك هو الكاهن الذي يقرأ على روحه التلاوات بعد وفاته ، و أمر له بمسكن عظيم في المدينة ، فذاع صيت سوباك في المدينة ، و أصبح من أشهر الكهنة بالمدينة ، بل ان الناس من العوام صاروا يتوافدون عليه بكثرة ، ليأخذوا رأيه في الكثير من المسائل الدينية ، مما أثار حفيظة كبار الكهنة في المدينة ، الأمر الذي دعاهم للتخلص منه ، نظرا لسلطته المتزايدة في المعبد .

مكث سوباك و زوجته تاوسرت في مدينة منف أشهرها عديدة ، تجاوزت الستة أشهر ، و أصبح سوباك يتمتع بالكثير من النفوذ في المعبد و بلاط الحاكم ، و كانت تاوسرت تخشى على زوجها من ذلك النفوذ المتنامي ، و لقد حدثته في ذات يوم قائلة: "إسي أخشى عليك يا حبيبي من مكر كبار الكهنة بك و حقدهم المتزايد عليك .. لقد سمعت إحدى زوجات كبار الكهنة بالمدينة تنحدث عنك و عن نفوذك العظيم لدى حاكم المدينة .. و ربما ينصبون لك المكائد حقا من عند أنفسهم .. " ، فأجابها سوباك

أرض جوش

في ثقة قائلا: " لا تخافي يا عزيزتي !! .. ما هم بقادرين على إحراق الضربي و لا دفعه عني إذ بمشيئة الرب الفوي العليم .. إني لا أخشى منهم و لا من سلطانهم المتغلغله في البلاد .. ما أخشى عليه هو أن يمكربنا أحدهم لإخراجنا من المدينة .. " ، فأعقت تاوسرت على كلامه قائلة: " أفهم من كلامك أنك تخطط للرحيل عن المدينة ؟ " ، فقال لها سوباك : " إني تعلمين أنه لا رغبة لي في السلطة و النفوذ .. و لا في السيطرة ، و تحقيق المصالح الشخصية .. و أن كل تلك النروات الني أصبحت امتلكها لا تعنيني في شئ .. و أن تلك الدنيا الزئنة لا تهمني كثيرا .. إني أخشى عليك و على ما تحملين في رحمك .. و لقد علمت أن احد الكهنة قد قام بوشاية حاقدة عني لدى الملك .. و إني لنعلمين أن جميع الكهنة في موضع شك عند الملك .. لذلك فإن من مهام الوزير الإشراف على المعابد و الكهنة .. لنحكم في نفوذهم الفوي داخل البلاد .. و أشعر أن هنالك خطبا ما يحاك ضدي .. و لقد شاهدت رؤية تخبرني بالحذر و الخروج من المدينة .. فماذا أنني بقائلة في ذلك ؟ " ، صمتت تاوسرت لبضعة دقائق ، و قد بدا عليها التفكير العميق ، ثم عادت لتقول : " الأمر

أرض جوش

يا عزيزي .. فإن كنت تشعر بأن هنالك مكيدة عظيمة تحاك
ضدك في الخفاء .. فعلينا الإسراع بالخروج من المدينة في
الصباح" ، لم يعقب سوباك على قولها ، فيما بدا عليهما الإتفاق
على مغادرة المدينة في أسرع وقت ممكن .

4



المشهد الرابع

(الطريق إلى أرض الأجداد)

أرض جوتش

أخذ سوباك و تاوسرت قرارهما على عجل ، و لم يكن هناك المزيد من الوقت للتفكير في ذلك الأمر ، فلقد كان في بقائهما في مدينة منف خطورة عظيمة على حياتهما ، لما وصل إلى مسامع سوباك من معلومات مؤكدة لتدبير احد كبار الكهنة مكيدة عظيمة للإيقاع به ، و على ذلك فكان من الضروري ان يسرعا في مغادرة المدينة في الصباح دون أدنى تردد .

كان سوباك و تاوسرت مستعدين للرحيل قبل بزوغ الصبح ، و شدا الرحال حاملين معهم القليل من الأمتعة و الطعام ، و كان عليهما أن ينزعا عن أنفسهما لباسهما ، و يستبدلاه بلباس آخر لعامة الشعب ، و ذلك لأن الزوجان صارا معروفين و مشهورين في المدينة ، و لذلك قام سوباك بإرتداء شعر مستعار فوق رأسه ، و ارتدى ثيابا كانت تسمى النقبة و هي كساء من الكتان الأبيض الفخم يلتف حول الخصر و يمتد حتى أعلى الركبة بقليل ، ثم ربط حزاما فوق هذا الكساء الفخم ، و زين صدره بطوق من الكتان المطرز على الجودة و الفخامة ، و أما تاوسرت فقد ارتدت قميصا مزركشا من الكتان مصبوغا باللون الأزرق النيلى القبطي المميز ، و تزئيت بالعديد من الحلي و المجوهرات ، حتى أصبحت

أرض جوش

على اتم الإستعداد للرحيل ، خرج سوباك و تاوسرت فجرا من البيت ، و سارا قليلا حتى وصلا إلى وسط المدينة ، حيث الأسواق و المتاجر و المحال ، و كان الصباح قد أشرق عليهما ، و أقبل التجار على محالهم ليفتحوها ، و بينما كانت تاوسرت تتفقد مدينة منف الرائعة ، و تلقي عليها نظرة الوداع ، نظرت إلى سوباك ، و قالت له : " كم يحزني مغادرة تلك المدينة الرائعة !! .. لقد مضينا فيها أياما جميلة هائلة .. فوالله ما وجدنا فيها غير الحب و السعادة ... ماذا بك يا سوباك ؟ .. أأست حزينا لنرك تلك المدينة الرائعة ؟ " ، فأجابها سوباك قائلا : " لو أنكى اطلعتي على فؤادي لوجدتية يدمى حزنا على فراق منف .. لكنني أحترق شوقا إلى مدينة الأجداد العظماء .. إلى مدينة الأوائل و الفاتحين .. أشتاق إلى طيبة الحنين .. " ، عقببت تاوسرت قائلة : " إسي سأشئاق كنيرا لمنف ضعف شوقك و حنينك لطيبة .. و لذلك أرغب في زيارة مقبرة سقارة الهرمية قبل مغادرة المدينة .. " ، فأسرع سوباك قائلا : " لا مانع من ذلك .. و بعدها سنرحل مع إحدى الفوافر النجارية البرية المتجهة جنوبا .. " .

أرض جوش

توجه سوباك و تاوسرت غربا إلى الصحراء ، حيث مقبرة سوكار الهرمية الكبيرة (هرم سقارة) ، ذلك الهرم المدرج الذي صممه المهندس المعماري القبطي العبقري إيمحوتب ، وكان ذلك في عهد الملك زوسر العظيم قبل ما يشارف على الألف عام ، كان سوباك في حالة فخر و زهو بأجداده القدماء ، عندما وصلا الى الهرم المدرج العظيم ، و كان الهرم عبارة عن ستة مصاطب متراصة بإحكام فوق بعضها البعض ، و كان أسفل ذلك الهرم الكبير نفق طويل ينحدر إلى موقع دفن الملوك و الأمراء ، و بينما كان سوباك ينظر مختلا بحضارة أجداده العظاماء ، إذ توقف فجأة أمام الهرم الشامخ و قال : " يا له من تصميم عبقري و مذهل .. لقد كان إيمحوتب أول مهندس معماري عظيم عرفه البشرية بعد خلق آدم .. " ، فأعقبت تاوسرت على كلامه قائلة :

" نعم .. لقد كان كذلك حقا !! .. و لقد أشاد نبي الرب يوسف بذكائه و عبقريته الفذة الني لم يخلق مثلها في البلاد .. و لقد استغل نبي الرب يوسف هذا البناء الضخم لإنقاذ أرض الفيض من الهلاك في زمن الجفاف و الفحط .. لقد أمر يوسف بحفر إحدى عشرة حفرة حول ذلك الهرم لتخزين الغلال استعدادا

أرض جوش

لموسم للسهب سنوات العجاف .. و لقد كانت تلك الحفر
مصممة ببراعة نادرة .. تكشف عن مدى ذكاء و فطنة يوسف ..
فلقد صممت تلك الحفر بطريقة تكفل لها أن تكون مرتبطة مع
بعضها البعض بأنفاق .. بحيث عندما يتم سحب الحبوب من
إحدى الحفر .. يتم تغذيتها مباشرة من إحدى الأنفاق .. و لقد
صار الناس في فترة الفحط يتوافدون من كل فج عميق .. من
جميع البلدان و المدن .. و كانوا يصطفون في صف واحد طويل
أمام ذلك الباب رغبة في شراء الحبوب الني تكفل لهم الحياة في
تلك الفترة الصعبة .. ثم يمرون في ممر ضيق .. و كانت هناك في
تلك الممرات بين الأعمدة مساحة تكفي لشخص واحد .. و كان
هؤلاء هم المحاسبين الذين عينهم يوسف .. فكانوا يأخذون
الدرهم من الناس و يعطونهم أكياس كبيرة .. ثم يمرون في ممر
آخر و ينزون الدرج .. ليجدوا شخصا آخر يعبئ لهم الكيس ..
حتى إذا ما انتهوا يخرجون من الباب الخلفي .. إن ما فعله
يوسف من أجل مصر كان السبب الرئيسي الذي جعل شعب
الفيط يهيمون حبا له ... حتى أنه بعد وفاته اخلف الناس على
تحديد مكان دفنه .. و كادت أن تنشب فنة عظيمة بين أهل

أرض جوش

المدينة .. حتى نصحهم أحد الحكماء المحايدين بأن يتم وضع جثمانه في تابوت ثم يقومون بإفناء ذلك النابوت في قاع النيل .. و بذلك سوف تحل البركة على ماء النيل الني يشرب منها الجميع .. و بتلك الفكرة الرائعة الني اجتمع حولها الجميع تحول يوسف في عقيدة أهل الفبط الى بطل شعبي عظيم .. و لا تزال رغبته موجودة في قاه النيل العظيم حتى يومنا هذا .

حان الوقت للرحيل ، و قد تظاهر سوباك بأنه طبيبا عالما مرموقا بالمدينة ، و غير إسمه إلى " خيتي " و إسم زوجته إلى " ميريت " ، و توجهها سويا إلى حيث القافلة المتجهة جنوبا إلى مدينة أهنيس (مصر الوسطى) ، و التي كانت عاصمة لأرض القبط في عهد الأسرتين التاسعة و العاشرة لمدة قاربت قرنين من الزمان ، إنضم خيتي و ميريت إلى القافلة ، حتى استعدت القافلة للرحيل ، كانا يمتلكهما شعورا عميقا بالخوف ، و ذلك نظرا للمجهول الغامض الذي ينتظرهما ، لكنهما و بفضل قوة إيمانهما تغلبا على ذلك الشعور السئ ، انطلقت القافلة ، و كانت رحلة طويلة جدا عبر الصحراء الغربية ، مرا خلالها على مدينة كبيرة كانت تسمى ب " إئت تاوي " (اللشت حاليا) ، و التي تعني القابضة

أرض جوش

على الأرضين ، لقد كانت مدينة كبيرة شهدت على فترة عظيمة من حكم البلاد .

تم تأسيس تلك المدينة على يد مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وهو ملك ولد من أم نوبية و يدعى أمنمحات الأول ، و الذي كان يشغل منصب وزير آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة ، فقام بإزاحة ذلك الملك و تنصيب نفسه ملكا على البلاد ، و لقد تكبدت هذه الأسرة -الثانية عشرة- مشاق جسيمة ، لفرض سيطرتها و شرعيتها على المواليذ للأسرة السابقة لها ، و استطاعت أن تحقق نجاحا على الرغم من بعض الزمات الخطيرة في ذلك الوقت ، مثل تلك التي أسفرت عن اغتيال مؤسسها الملك إمنمحات الأول ، فالبرغم من أنه ولد في مدينة طيبة ، إلا أنه قرر إختيار مدينة جديدة للبلاد ، و أسماها إئت تاوي ، و التي تعني المدينة القابضة على الأرضين ، بإعتبارها عاصمة إدارية قريبة من مدينة منف ، حيث يمكن الإنتفاع بإشعاع منف الثقافي في الفنون و العلوم الدينية العريقة ، حيث أعتبر موقعها إلى جهة الجنوب من منف موقعا مميزا ، يمثل نقطة للإتصال بين الشمال و الجنوب ، مما سمح بإحتفاظها بذاتيتها ، و بعد

أرض جوش

إغتيال الملك غمنمحات الأول ، خلفه إبنه الملك سنوسرت الثاني ، و الذي في عهده حدث تغير كبير في اجهزة الدولة ، حيث تكونت وظائف جديدة ، و طبقة جديدة ، و ألقاب مستحدثة ، و أعيد كذلك تقسيم المهام و المسئوليات الملقاة على عاتق القوى العاملة ، و إدارة الإنتاج ، و تلاشت تقريبا طبقات الحكام على النمط القديم ، و حل محلهم محافظون على مستوي المدن ، و ليس على مستوى الأقاليم ، و ألحق بهم فئة من المراسلين لمساعدتهم و مراقبتهم في نفس الوقت ، و هم يتبعون الوزير مباشرة ن و قسمت البلاد إلى ثلاث مقاطعات يديرها أيضا بعض المراسلين ، و لقد لاقى الأيدي العاملة عناية و اهتماما فائقا ، و خاصة أنها لم تكن وفيرة العدد ، و أنشئ مكتبا لتوزيع القوى البشرية العاملة ، و آخرا للخدمات الخاصة بالسجون ، و كانا يختصان -آنذاك- بإدارة شئون المساجين ، و الخاضعين للقانون العام ، و المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ، و العديد من الآسيويين و المهاجرين و أسرى الحروب ، و عمال النحت و البناء الذين كانوا يسارعون دائما بالفرار من المحاجر التي كانوا يجبرون على العمل بها ، و أما النظام الأمني فكان يسود بواسطة

أرض جوث

مجموعات الميليشيا المنظمة ، و التي قسمت إلى فرق مختلفة ، تختص بدعم الامن في البلاد ، و قد ساعدت هذه الإصلاحات على ظهور طبقة متوسطة من قيادات أجهزة الدولة ، الذين يتقاضون مرتبات كبيرة تسمح لهم بإملاك المنشآت الجنائزية المنقوشة و المزخرفة ، و التي كانت حكرا على الصفوة من سادة القبل قبل ذلك ، و قد ساعدت هذه الأسرة بوجه عام على توسيع رقعة حضارة كيميت ، عن طريق صياغة سياسة خارجية فعالة ، تركز على معرفة البلاد المجاورة معرفة جيدة ، و قد توطدت العلاقات التقليدية مع مدينة جبيل ، للدرحة التي ساعدت على تكوين أسر في تلك البلاد يتبعون لملوك القبط إلى أبعد مدى ، و قد تم تعزيز النشاط التجاري مع بلاد الفينيقيين و الكنعانيين ، و من خلالهما مع شعوب بحر إيجه ، و في نفس الوقت هاجر العديد من الآسيويين إلى أرض القبط ، و لقد استمرت تلك الأسرة ممسكة بزمام السلطة أكثر من مائتي عام ، و لم تفقد السيطرة إلا بعد ان آل الحكم إلى إحدى الملكات في ظروف غامضة ، و كانت تدعي نفرو سوبك ، و هي أخت إمنمحات الرابع ، و بنت إمنمحات الثالث ، و كانت الوريثة الوحيدة لحكم البلاد ،

أرض جوتش

لن الملك إمنمحات الرابع لم ينجب ذكورا ، فولها مقاليد الإشراف على حكم البلاد ، ثم صارت ملكة متوجة على البلاد ، و قد أصاب البلاد خلال فترة حكمها ضعف شامل و انحلال و تفكك ، و نتيجة لما حل بالبلاد من فساد الإدارة ، و اضطراب الأمن ، و اشتداد بأس أعداء البلاد من الأسيويين الكنعانيين الرعاة في الشمال الشرقي ، و الليبيين في الغرب ، و الكوشيين في الجنوب ، انهارت الأسرة الثانية عشرة في العام 1760 قبل الميلاد ، و خرج ملك أرض القبط على يد أسرة جديدة ، هي الأسرة الثالثة عشرة من أبناء طيبة ، و التي شهدت تآكلا لوحدة البلاد ، و تدهورا في الإستقرار السياسي .

إن الأسرة الثانية عشرة كانت من أزهى العصور ، و كانت مدينة إيث تاوي تحوي إحدى أكبر الجبانات في مقابر الدولة الوسطى ، و التي أمر بنائها الملك إمنمحات الأول ، كما كان بها العديد من الأهرام المتوسطة الإرتفاع و المعابد الضخمة ، هذا بالإضافة إلى عدة تماثيل تخلد ذكرى ملوك الأسرة الثانية عشرة من أبناء الملك إمنمحات الأول ، و منها تمثال عظيم للملك سنوسرت الثالث الذي حفر قناة سيزوستريس ، و هناك أيضا هرما

أرض جوش

متوسط الإرتفاع يحمل إسمه ، و لقد كانت الدولة في تلك الحقبة تتميز بالحضارة العظيمة الرائدة و الفن و الثقافة المزدهرة.

توقفت القافلة للإستراحة في تلك المدينة ، و جاء احد العرافين إليهم ، و هو ينادى على أي شخص يريد التنبأ بالمستقبل ، ثم أقبل ذلك العراف نحو خيتي ، و قال له : " *المجد كل المجد للإبه الحامي .. يا بني إني أرى في عينيك نظرة عظيمة .. و أنبأ لك بأن يكون لك شأننا عظيما في البلاد .. فهل تسمح لي بقراءة كفك ؟ ..* " ، لم يكن خيتي متحمسا لذلك كثيرا ، لكنه و مع ذلك لم ينهر العراف ، و لبى له طلبه ، تناول العراف يد خيتي ، و أخبره بأن أمورا عظيمة تنتظره في رحلته ، و عليه ان يتصف بالحكمة و الصبر ، كما تنبأ له بجمع شمله مع أهله ، ثم أخبره بأمر كبير بث الخوف في قلب جادي ، فقال له : " *أرى يا بني انك تهرب من حاكم ظالم .. ثم سيكنب له الإبه نصرا مؤزرا عليه .. فنعود إلى ديارك و قد حققت النصر .. و يصبح لك شأننا عظيما في البلاد .. إنك تملك قلبا مؤمنا صادقا .. و إن تلك المرأة ستهديك إلى سبيل النجاة .. فكن لها عوننا كما أنها ستكون عوننا لك على مصاعب الحياة .. إمض في طريقك .. ففي نهاية الطريق فرج*

أرض جوث

عظيم" ، ثم مضى العراف بعيدا ، دون ان يحصل على أية اموال ، توجس خيتي رعبا من كلام العراف ، و خشى أن يسمع به أحد المسافرين معه بالقافلة ، فينكشف أمره ، ثم نادى قائد القافلة على المسافرين ، فتجمعوا من جديد لإستكمال الرحلة.

وصل خيتي و ميريت إلى مدينة تسمى "أهنيس" بعد يومين من السفر الشاق ، و فيها قررا قضاء ليلتهما قبل استكمال الرحلة إلى الجنوب ، و لقد أتاح الموقع الجغرافي و الإستراتيجي لتلك المدينة أن تلعب دورا مهما في تاريخ أرض القبط ، و أن تصبح عاصمة البلاد خلال الأسرتين التاسعة و العاشرة ، و ان تحتل مركزا مرموقا في الآداب و الديانة و الأساطير المصرية القديمة ، و لقد وجدا فيها الأهالي يتداولون فيما بينهم قصة القروي الفصيح ، و تروي القصة أن قرويا يسمى "خون إنبو" خرج من بلدة تسمى "غيط الملح" (و هي بلدة من نواحي الفيوم) ، و ترك زوجته و أولادها ، و ترك لهم جانبا مما كان يدخره من الغلال ، و حمل حميره ببضاعة متواضعة من نظرون ، و أعشاب و جلود و احجار كريمة ، ابتغاء أن يتجر بها في مدينة أهنيس ، عاصمة الملك في عهده ، و مر في طريقه على قرية

أرض جوش

تسمى "برفيفي" ، كان يتولى أمرها موظف فاسد يدعى "تحوتي نخت" أو "نمتي نخت" ، و قد طمع تحوتي نخت في تجارة القروي و حميره ، و أراد أن يكون له نصيب منها ، فأعترضه على طريق زراعي ضيق كان لابد ان يمر عليه ، و اوعز الى خادمه أن يبسط على الطريق قماشاً يغطيه بالعرض ، و لما تقدم القروي على الطريق ، نهاه نمتي نخت ان يمر على قماشه المبسوط ، فاعتذر القروي ، و ابتعد عن القماش ، و سار قرب الزراعة ، فنهره مرة اخرى ، و فجأه قضم احد حمير القروي قضمة من سنابل الغلال ، فاعتبرها نمتي نخت فرصته ، و أصر على ان يستولي على الحمار جزاء جرمه ، فاحتج القروي ، و هدد بإبلاغ الأمر إلى صاحب الأرض ، فغضب نمتي نخت غضبا شديدا ، و اخذته العزة بالإثم ، و استولى على بضاعة الرجل و حميره كلها ، فبكى القروي ، و اشتد عويله ، فنهره نمتي نخت في صفاقة غريبة قائلا له : " لا ترفع صتك يا فلاح ! انت قروي من بلد السكون .. " ، و كان رب السكون هذا هو المعبود "أوزير" ، و يبدو أنه كان له ضريح قريب من "برفيفي" يهابه الناس و يحترمونه ، و لكن القروي لم يهتم به ، و قال بلهجته الريفية اللطيفة : " تضربني و تنهب متاعي و

أرض جوتش

توقف الشكوى على لساني ؟ .. يا رب السكون أعطني اذا حاجتي
حتى أبطل الصراخ الذي يغضبك " ، و استمر القروي طيلة
عشرة أيام يشكو حيناً و يسترحم حيناً ، لكن بغير طائل ، فاتخذ
سبيله إلى العاصمة أنهيس ليشتكيه الى المسئول الكبير
"رنسي" ، فقابل القروي المسئول ، و وجه إليه استعطافاً رقيقاً
لينا ، و حاول أن يستشير في أمره نخبته ، و كان من قول القروي
له : " اذا كنت حقاً أبا لليتيم .. و زوجاً للأرمل .. و أخاً للمطلقة ..
و رداً لمن لا ام له .. فهذا أنا ذا أقول و انت تسمع .. أقم العدل
يمدحك المادحون .. و أزل معاناتي فقد ثقلت .. و احمني فقد
ضعت " ، ففعل استعطاف القروي و مديحه فعله لدى
المسئول ، فاعجب به ، و أسرع الى الملك و هو يقول : " مولاي
وجدت واحداً من اولئك القرويين جيد الكلم يتحدث الصواب ..
نهبت امتعته و أتاني يتظلم إلى .. " ، و قص القروي على الملك
قصته ، و تصور القروي "خون إنبو" أن الحاكم يشبه دفة
السفينة التي تحدد مسيرتها ، و يشبه السند الذي يعتمد الناس
عليه ، و هو الميزان الذي بأمره يحكم بالعدل في البلاد ، و قال
للملك و هو يشكوه الى نفسه : " أيها الدفة لا تنحرف .. و يا أيها

أرض جوش

السند لا تميل .. و يا أيها الميزان لا تتذبذب " ، و أطال القروي في شكايته ، و لما فرغ منها ، استدعاه الملك ، فتوقع القروي ان تكون الدعوة لمقتله ، و أخذ يروض نفسه على ملاقة الموت في شجاعة ، لكن الملك طمانه ، و أراه شكواه منسوخة على برديات جديدة ، و قد تم عرضها على الملك شخصيا ، و أمر الملك بأن يتكفل برزق زوجة القروي و عياله طيلة المدة التي سوف يبقى فيها في أهنيس .

انتقل خيتي و ميريت بعد ذلك إلى مدينة تدعى "قوص" ، و كان فيها معبدا كبيرا ضخما للإله حورس (دير العذراء المحرق حاليا) ، و قد كان هناك دخانا كثيفا ينبعث من ذلك المعبد ، حيث كان الكهنة يقومون بحرق الكثير من الغاب و الحشائش الضارة امام ذلك المعبد ، و الذي كان بمثابة مدرسة لتعليم السحر ، و كان كهنة ذلك المعبد متخصصين في علاج الأمراض بالسحر ، و كان من الأقاويل التي تحكى عن ذلك المعبد و مكائنه العظيمة ، أنه كان هناك أميرة فينيقية من مدينة بيتان (سوريا حاليا) تدعى "بنتريش" ، و قد كانت تعاني من مرض البرص ، و حاول معها جميع الأطباء في بلادها آنذاك لكنهم فشلوا جميعا في علاجها ،

أرض جوش

فنصحها أحد الحكماء بزيارة ذلك المعبد في أرض القبط ، و لما ذهبت الى هذا المعبد ، تمكن كهنة المعبد من علاجها ، فشفيت شفاء تاما من ذلك المرض ، بفضل أولئك الكهنة الذين عرفوا بقدرات خارقة في علاج الأمراض .

لم يمكث خيتي و زوجته كثيرا في مدينة قوص ، و ما أن استقر بهما المطاف في تلك المدينة ، حتى استكملا رحلتها جنوبا ، حتى وصلا إلى مدينة تدعى "أبيدوس" ، واقعة على الضفة الغربية لنهر النيل ، و كانت تلك المدينة هي عاصمة البلاد في عصر ما قبل الأسرات منذ مئات السنين ، و كان تمتلئ بالعديد من معابد الإله أزوريس "إله الخير و النماء و حارس الحياة الآخرة" ، إذ كانت مركزا لعبادة الإله أزوريس ، و قبلة للحج على مر العصور ، و بذلك و منذ فجر التاريخ اكتسبت تلك المدينة مكانة دينية مقدسة ، و منها خرج أول ظهور لتصميم المقابر ذات المصاطب في عصر الأسرة الأولى ، و فيها أقد جبانة جرى بناؤها في تاريخ كيمييت ، كما كانت تعج بالآثار المختلفة التي تمتد من عصور ما قبل التاريخ ، و كان معبد المدينة الكبير يتكون من سبعة مقصورات ، و صالتين للأعمدة تشتمل على

أرض جوش

إثنى عشر عمودا من الجرانيت ، بالإضافة إلى الصالة المامية التي كانت ذات نقوش ملونة غائرة و بارزة ، و كان المعبد يتميز بدقة التصوير و روعة الإبداع ، كانت مدينة جميلة للغاية ، و قد انبهر خيتي و ميريت بجمالها الذي فاق كل الحدود ، و بتاريخها العظيم الضارب بجذوره في عمق التاريخ ، لكن الوصول إلى تلك المدينة لم يكن يسيرا ، حيث كانت تلك المدينة غير تابعة لحكم الهكسوس ، و قد تمكن ملوك طيبة من طرد الهكسوس ، و إبعادهم خارجها ، لذلك فقد تعرضت قافلتها لتفتيش دقيق و غير مسبوق ، و أنزل جنود الهكسوس كل أمتعة الركاب ، و قاموا بتفتيشها معنفين الركاب ، و تم استجوابهم عند بوابة المدينة ، حتى تأكدوا من هويتهم جميعا ، ثم سمحوا لهم بإستكمال الرحلة إلى الجنوب .

ثم كانت وجهتهما الأخيرة قبل الوصول إلى مدينة طيبة أرض الأجداد ، حيث وصلا إلى مدينة تسمى "دندرة" ، و التي تبعد ستين كيلومترا شمال مدينة طيبة ، و التي يعود تاريخها إلى عصر ما قبل الأسرات ، و كان معبودها الرئيسي هو الإلهة حتحور ، و بها معبدا كبيرا و ضخما يسمى معبد حتحور ، و كان يوجد

أرض جوش

غرب ذلك المعبد بحيرة مقدسة ، ينمو فيها النخيل ، بالإضافة الى العديد من الآبار المحفورة في الأرض ، و من ضمنها مقياس النيل ، كما كان هناك بيتا للولادة يقع الى الشمال من معبد حتحور ، هذا بالإضافة الى العديد من المعابد الصغيره حول ذلك المعبد الكبير ، و قد كانت تغطي الجدران و الأعمدة تماثيل محفورة بالغة الدقة و الجمال ، و التي تعبر عن مجد القدماء.

شارفت الرحلة على الإنتهاء ، حينما اقتربت القافلة التي تحمل خيتي و ميريت من مدينة طيبة الخالدة ، و بذلك يطوي خيتي و زوجته صفحة طويلة من شقاء الترحال ، ليستقرا في أرض السلام و المحبة ، تلك الأرض التي تعيش فيها أسرة خيتي و أقاربه ، و بعد ان وصل خيتي و زوجه إلى مدينة طيبة ، كان عليه أولا ان يسعى جاهدا في البحث عن منزل أسرته ، لكن لم يكن ذلك الأمر باليسير ، فلقد مضى زمنا طويلا منذ أن جاء أهله إلى تلك المدينة ، و حان الآوان ليلتئم شمل الأحبة في دار السلام .



المشهد الخامس

(مدينة السلام)

كانت مدينة طيبة تنقسم إلى قسمين رئيسيين ، هما مدينة الأحياء و دار الحياة ، و التي تقع إلى الشرق من نهر النيل ، حيث

أرض جوث

تبدأ الحياة بشروق الشمس ، و فيها يسكنون الناس و يعيشون و يذهبون للتعبد في المعابد المجاورة لهم ، القسم الثاني هو دار الممات أو مدينة الأموات ، و التي تقع على الشاطئ الغربي من النيل ، حيث غروب الشمس و رحيلها عن الحياة ، لذلك بنيت فيها المدافن و المقابر و الأضرحة ، إنها طيبة السلام مدينة النور و هي كذلك مدينة المائة باب و مدينة الصولجان ، كانت المدينة تحتوي على الكثير من القصور الفخمة الكبيرة ، و يرجع تأسيسها إلى عهد الأسرة الرابعة في الزمنة البعيدة ، و يرجع الفضل لتلك المدينة في توحيد العبادة على أرض كيميت ، و ذلك بعد دمج عبادة الإله آمون مع عبادة الإله رع ، فأصبح آمون رع هو رب البلاد و حاميتها الأوحد .

و بعد سقوط الأسرة الثانية عشرة في العام 1760 قبل الميلاد ، تولت الأسرة الثالثة عشرة مقاليد الحكم ، و خرجت تلك الأسرة من رحم مدينة طيبة العريقة ، لكن البلاد كان أصابها الوهن الشديد و الضعف الشامل ، و تمزقت أوصال البلاد تمزقا عنيفا ، فكانت هناك عدة بيوت قوية تحكم في انحاء البلاد في وقت واحد ، في وسط البلاد و غرب الدلتا و شرقها ، و لكن أهم هذه

أرض جوتش

البيوت هو البيت المالك للأسرة الثالثة عشرة التي كانت تحكم في طيبة ، و لذلك فقد استغل بعض حكام البراري الاجانب اللآسيويين و زعماء القبائل الكنعانية البدوية تلك الظروف ، و الذين هاجروا من الشرق إلى أرض القبط في مجموعات كبيرة بحثا عن فرص أفضل للعيش ، و تسللوا عبر سيناء ، و استقروا في أرض جاسان فترة من الوقت ، حتى صارت لهم قوة عظيمة ، و قد تمكنوا من تطوير قدراتهم القتالية ، فشكلوا جحافل كبيرة بأسلحة جديدة للحرب ، لم يكن يعرفها أهل النيل في ذلك الوقت ، و كان منها العربات الحربية و الخيول و الدروع و الأقواس الكبيرة ، و لما اشتد بأسهم في البلاد اعلنوا سيطرتهم على الجزء الشمالي الشرقي ، و اما الجزء الغربي من الدلتا فقد سيطرت عليه الأسرة الرابعة عشرة على يد أحد الملوك ، ثم زحف بعد ذلك الملوك الكنعانيون الساميون الرعاة على الدلتا ، و بدأ استيلائهم على الحكم في شمال البلاد تدريجيا و على مراحل ، و استمر الزحف قرابة الخمسين عاما ، حتى انتهى في العام 1675 قبل الميلاد بإسقاط الأسرة الرابعة عشرة في غرب الدلتا ، و الإستيلاء على مدينة منف في العام 1660 قبل الميلاد ، حتى وصلوا إلى

أرض جوتش

مشارف إقليم طيبة ، و الذي كان لا يزال متماسكا ، و كان يحكمه في ذلك الوقت الملك توتي ميوس ، لكن سلطة خلفائه من بعده انحصرت في شكل محلي على مدينة طيبة ، و قد شكل الملوك الساميون الأسرة الخامسة عشرة و على رأسها الملك سالييتس ، و أخذ هؤلاء الملوك يتشبهون بملك كيميت في ألقابهم و ملابسهم و هيئات تماثيلهم ، و شيّدوا عاصمتهم الجديدة أو اريس على الفرع الثاني للنيل ، على أطلال المدينة القديمة التي بنيت في عهد الدولة الوسطى ، لكنهم أعادوا إليها الحياة ، لتصبح الميناء النهري المؤدي إلى كنعان و الجبيل ، و حصنها تحصينا قويا لتكون عاصمة لإمبراطوريتهم الناشئة .

في عام 1990 قبل الميلاد حكم طيبة أحد ملوك الأسرة السابعة عشرة ، و هو الملك سقنن رع الثاني ، و كانت طيبة محاصرة من الهكسوس شمالا و من ملوك النوبة الكوشيين جنوبا ، لكن طيبة في عهد سقنن رع الثاني بلغت من القوة و المكانة السياسية شأنا عظيما ، جعل الصدام مع الملوك الساميين أمرا لا مفر منه ، و كان ملك الهكسوس أبو فيس قد اجتمع مع قواده و مستشاريه ، و ناقش معهم كيفية إيجاد طريقة للتصعيد مع

أرض جوتش

سقنن رع ، و جره إلى حرب مبكرة ، فأخبره أحد المستشارين بوجود بحيرة جاموس نهري في الجنوب ، تحدث أصواتا مزعجة أثناء الليل ، تصل إلى آذان سكان الشمال فتؤرقهم ، و تمنع عنهم النوم ، فأشار على الملك بأن يرسل رسولا إلى سقنن رع ينقل له شكوى أهل الشمال ، و طلب الملك بأن يقتل أفراس النهر ، فاستحسن أبو فيس الاقتراح ، و أرسل رسوله إلى طيبة ، و وصل رسول ملك الهكسوس إلى طيبة ، و التقاه سقنن رع ، و عرف من فحوى الرسالة أن أبو فيس يضعه في اختبار صعب ، فيما أن يستجيب لطلبه بقتل أفراس النهر ، و في ذلك شبه إذعان و خضوع و استسلام للملك المحتل ، و إما أن يرفض فتشتعل الحرب ، صمت سقنن رع طويلا أمام الرسول ، و لم يعطه اجابة واضحة ، و أمر بأن يقدم له الطعام و جميع سبل الراحة ، ثم طلب منه العودة الى سيده ، و بعد رحيل رسول أبو فيس ، اجتمع سقنن رع بقواد جيشه ، و عرض عليهم الأمر ، فأصابهم الوجوم ، و صمتوا لمدة طويلة ، حتى قرروا أن يعلنوا الثورة و الحرب على ملك الهكسوس ، فبدأت حرب استنزاف بين أهل طيبة و الهكسوس ، و أعلن سقنن رع بداية ثورة التحرير ، و لقد

أرض جوش

كان سقنن رع رجلا شجاعا رفض الخضوع لبيجاجة أبو فيس ، و بدأ في الإعداد لحرب الإستنزاف ، و قد حقق سقنن رع في هذا الصراع بعض النجاح ، إلا انه سقط صريعا عام 1575 قبل الميلاد ، في معركة خاضها ضد الهكسوس ، و التي أصيب خلالها بجروح و إصابات قاتلة في جمجمته ، ثم خلفه في عرش طيبة ابنه الأكبر كاموس ، و هو آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة ، و امتد حكمه عشر سنوات فقط ، تابع فيها الحرب التي شرعها أبوه ، فشن هجوما مفاجئا بقوات من الجيش و أسطول نيلى كبير على معاقل الهكسوس المتاخمة لحدود طيبة ، و بسط نفوذه على إقليم أبيدوس الذي تمكن من السيطرة عليه لاحقا ، و تمكن من إزاحة الهكسوس حتى مدينة قوص ، و لقد تمكن ذلك الملك عظيم من الإستيلاء على ثلاثمائة مركب مصنوعة من خشب الأرز مشحونة بالأسلحة و الذهب و الفضة و المون ، و قبض رجاله في تلك الأثناء على رسول بعث به ملك الهكسوس إلى امير النوبة في كوش (السودان) ، يحثه فيها على مهاجمة أراضي طيبة من الجنوب ، فلم يتردد كاموس في إرسال قوة إلى أرض كوش محبطا خطط أعدائه ، ثم ارتد عائدا إلى طيبة بإنتهاء موسم

أرض جوش

الحملة ، بعد ان قضى على تمرد قام به أحد أتباعه ، و بعد مقتل الملك كاموس في ظروف غامضة ، انتقل الحكم إلى أحمس الأول في مطلع العام 1575 قبل الميلاد ، الذي لم يكن يبلغ من العمر سوى عشرة أعوام ، لكن والدته العظيمة الملكة "تيتي شيري" قامت بحثه على التدريب على القتال مع المحاربين القدامى ، كانت امرأة عظيمة حقا ، و هي أرملة شهيد و أم شهيد ، لكنها لم تيأس أبدا في مواصلة الكفاح الذي بدأه زوجها البطل ، فعملت على زرع روح الفداء و المقاومة في قلب ابنها الملك الصغير أحمس ، حتى نضج أحمس عند عمر العشرين ، و إشتد عوده ، و حان وقت الحصاد و الثأر لدماء الشهداء ، و صار قادرا على مجابهة الهكسوس ، و تحرير الوطن ، بعد أقل من عشر سنوات ، و أقسم على الثأر لأبيه و أخيه ، و مواصلة حروب الاستقلال ، حتى يطرد الهكسوس تماما خارج أرض القبط .

في عام 1573 قبل الميلاد كانت مدينة طيبة تحت حكم الملك أحمس ، عندما وصل إليها خيتي و ميريت ، و سعى خيتي جاهدا في البحث عن دار أهله بالمدينة ، فأخذ يجوب شوارع المدينة و

أرض جوش

أزقتها و ضواحيها ، أملا في الوصول إلى دار أهله ، حتى كان في يوم من الأيام أن طرق احد الأشخاص باب الدار الذي نزل فيه خيتي و زوجته ، و أخبره ذلك الرجل بأن الملك أحمس وافق على مقابلته في القصر الملكي ، و في الصباح ذهب خيتي و ميريت إلى القصر الملكي ، و أدخلهما الحراس إلى غرفة الملك ، فأنحنيا أمام أحمس ، و ألقيا عليه التحية ، قربهما أحمس منه ، و سألهما ما خطبهما ، فقص عليه خيتي حكاية خروجه و زوجته العبرانية من أرض جاسان ، و المصير الذي واجههما تحت حكم الطاغية ملك الهكسوس ، كما روى له كل تفاصيل الرحلة من أرض جاسان حتى وصوله إلى مدينة طيبة ، و كان الملك أحمس العظيم يستمع إليه بحكمة و إنصات ، و لما إنتهى خيتي من روايته ، أثنى أحمس على بطولة و شجاعة خيتي العظيمة التي لا مثيل لها ، و رفعه مكانا عليا ، حيث أمر بتعيينه قائدا لفرقة العجلات الحربية ، و طلب منه المساعدة في تحرير البلاد من الهكسوس ، كما أمر الملك بالبحث عن أسرة خيتي في المدينة ، و وعده بتوفير مسكن ملائم له و لزوجته في المدينة ، كما وعده بالعثور على أهله في أقرب وقت .

أرض جوتش

كان خيتي لا يستطيع تصديق عينيه ، عندما رأى والديه أمام لأول مرة منذ سنين طويلة ، لكن على الرغم من ذلك فإن امه العجوز قد تمكنت من التعرف عليه ، كان لقاء حميميا للغاية ، احتضنت فيه الأم ولدها ، و الدموع تنهمر كالمطر من أعينها ، و خرت ساجده للإله الذي جمعها بولدها ، أما والد خيتي فكان لا يستطيع التحكم في عواطفه التي فاضت عندما ضمته أمه إلى صدرها ، فراح يبكي بشدة ، بينما أخذ خيتي بإحتضانه في موقف مؤثر ملأته مشاعر الحنين و الشوق ، إلتئم شمل الأسرة مجددا ، بعد أن اضطر أهل خيتي لتركه مع المربية الأمانة نانيس ، خوفا عليه من بطش الهكسوس بعد سقوط منف ، و هربوا مع بعض الأمراء و النبلاء في المدينة آنذاك إلى مدينة طيبة ، خشية تعرضهم للقتل على يد الهكسوس ، لكن إرادة الإله كانت أقوى من إرادة المحتل الغاصب ، و ها هو ذا خيتي يلتقي بأمه و أبيه من جديد ، و يعيش بين احبائه و أقربائه ، و هو ما كان يحلم به خيتي منذ زمن بعيد .

و في يوم من الأيام ، قام بعض من رجال أحمس بإلتقاط رسالة مبعوثة من ملك الهكسوس إلى ملوك النوبة الكوشيين

أرض جوش

يحثونهم بالزحف على طيبة ، مما أدى إلى قيام أحمس بالهجوم على الهكسوس و هزمهم في عدة معارك ، و قام بشن عدة هجمات خارجية عليهم في أراضيهم الأصلية ، و لم تقتصر جهود أحمس الحربية على مقاتلة الهكسوس ، فقد تحول بعدها إلى جنوب مصر فقاد حملات كبيرة متوالية ، استهدف فيها بلاد النوبة لتأديب ملك الكوشيين ، الذي تأمر مع الهكسوس عليه لإسقاط طيبة ، حتى صارت طيبة في عهد أحمس ثكنة عسكرية كبيرة ، تؤرق مضاجع الهكسوس ، و شوكة مؤلمة تقف في حلقهم ، و في لقد شارك خيتي في غحدي المعارك مع الكوشيين ، بعد أن عينه احمس قائدا لقوات سلاح العربات الحربية ، و تعرض خيتي لإصابة بالغة في الصدر ، و تم نقله على الفور إلى طيبة ، و أجرى الأطباء المهرة له جراحه عاجلة لإنقاذ حياته ، لكن الإله كتب له عمرا جديدا ، بأن أنقذه من الموت المحتم نتيجة تلك الإصابة الغائرة ، و كتبت له النجاة .

لم تدم فرحة خيتي بعودته إلى حضن امه كثيرا ، فما أن إلتقى بها حتى وافتها المنية ، و أمر الملك أحمس بدفنها في البر الغربي من مدينة طيبة ، في مقابر الملوك و الأمراء العظام ، و قد كان

أرض جوش

يوما مشهودا ، حيث قام بتشجيع جثمانها المئات من أهل طيبة حتى مثواها الأخير ، و بعدها تفرغ خيتي للخدمة في الجيش ، و كانت ميريت تساعد أهل بيته ، فقامت على رعاية أبيه العجوز الذي صار طاعنا في السن ، و كان والد خيتي قد فقد ساقه في إحدى المعارك التي شارك فيها مع الجيش ضد الكوشيين ، و قد تم تعويضه بطرف صناعي ، لكنه كان لا يقدر على الحركة ، و لزم فراشه مدة طويلة ، و كانت ميريت تعمل على خدمته و رعايته في الأوقات التي يتغيب فيها خيتي عن البيت ، فقد كان خيتي يقضي معظم وقته على جبهات الحرب ، لمراقبة الحدود و صد هجمات الهكسوس المتتالية على طيبة ، و عندما كان خيتي يعود من جبهات القتال ، كان يحرص على الذهاب إلى المعبد الكبير في البر الشرقي لطيبة (معبد الكرنك) للصلاة فيه ، و طلب المغفرة و العفو لروح أمه ، و كان يحب أن ينزل إلى مغطس المعبد المقدس ، حيث كان يظن أن تلك البحيرة الإصطناعية مقدسة و مباركة ، تمنح البركة لكل جسد ينزل بها ، و تغسل الذنوب و المعاصي ، كما تغسل الهموم ، و تذهب الغم و الحزن عن الروح ، ثم يمضي أياما قليلة مع زوجته و

أرض جوش

والده ، و بعدها يعود إلى جبهة القتال لمتابعة العمل ، و لقد صار الجيش الذي طره احمس قويا و مهيبا ، و حان الوقت لتحرير الوطن من قبضة الهكسوس .

أخذ أحمس قراره السياسي بالإغارة على جيوش المحتلين ، عندما جاءه رسول متعاون من الشمال يخبره بأن فرعون أواريس يواجه تمردا عنيفا من قبل العبرانيين -آل إسرائيل- ، و لقد تزعم ذلك التمرد رجل يقال له موسيه ، و دعا زعيم العبرانيين فرعون إلى عبادة إلهه و إله آباءه العبرانيين ، و هدده بعقاب شديد من الرب إن لم يتوقف عن ظلمه و طغيانه في البلاد ، و لقد أمر فرعون أواريس فجمع جنوده و كهنة المعابد و سحرة المدينة ، لمواجهة موسيه و أخ له يدعى هارون ، ثم كانت المفاجأة بأن آمن السحرة لموسيه ، و كفروا بإله أبو فيس ، كما آمنت زوجة الملك برب موسى و هارون ، و لذلك امر الملك بصلبها و تعذيبها عذابا أليفا ، و طلب موسى من الملك الإذن بإطلاق قومه من أرض جاسان ، ليعبدوا ربهم في البرية ، لكن الملك رفض الإذعان لطلبه ، و اشتد قلب الملك ، و أمر بالتنكيل بشعب إسرائيل ، كما أخبر الرسول بأن أرض جاسان قد ضربها

أرض جوش

إله موسى عدة ضربات متتالية موجعة ، و لقد بدا إله المدينة ست عاجزا أمام إله موسى و هارون ، و لم يكن بمقدور الملك التصدي لإله موسى ، فخرج موسى للقاء الملك في الصباح ، و قال له إن الرب إله العبرانيين أرسله إليه مجددا ليطلب منه إخراج شعبه من المدينة ، فرفض فرعون مجددا ، فتتابعت الضربات الموجعة ، و ضرب موسى الماء بعصاه ، فتحول النهر دما ، و مات السمك الذي في النهر ، و نتن النهر و صار عفنا ، و لم يقدر احد أن يشرب منه ، و كان الدم في كل مكان من أرض جاسان ، و اشتد الظمأ بالناس ، لكن الملك أبى ان يسمع له مجددا ، فأصاب القحط المدينة ، و نقصت الثمار ، و مرضت الدواب ، و لقد هاجم الجراد المدينة ، و الذي نزع الفرحة قبل الحصاد بإتلافه الزرع من بين أيديهم ، و ذهب بأحلامهم بجني الخير الوفير منه ، كما أصاب القراد أراضيهم و زروعهم ، ففسدت المحاصيل ، و قل الإنتاج ، و نزل عليهم السيل المنهمر ، و امتلأت مياة الأنهار بالضفادع بعد إنحسار مياة السيول ، فتكاثرت و تضاعفت ، فصارت وبلا عليهم ، تزاخمهم في مياة شربهم ، و في اماكن عيشهم ، و عكرت بنقيقتها صفو ليالهم ،

أرض جوش

ثم تعكرت مياة النهار ، و اصطبغت بلون الدم الأحمر ، فهزول أبو فيس إلى موسيه ، و طلب منه أن يسأل ربه فيرفع عنهم البلاء الذي حاق بهم ، فقال له موسيه أنه لن يرفع عنه البلاء حتى يأذن لشعب إسرائيل بالخروج من أرض جوش ، و ختم الرسول كلامه بأن الملك يشاور صفوته و مختصيه في هذا الشأن ، و ربما تشهد الأيام المقبلة تحولا كبيرا.

انتشر خبر رسول أرض جوش في مدينة طيبة انتشارا كبيرا ، و لما علمت سارة بهذا الخبر ، أسرعت إلى حابيس لتطلب منه العودة سريعا إلى أرض جوش ، بعد عودة موسى إلى أوارييس ، و أخبرته بأن ذلك الأمر يعني أن الرب قد أمر قوم إسرائيل بالخروج العظيم ، و يجب عليها اللحاق بأهلها و الخروج معهم ، لكن حابيس رفض طلبها رفضا تاما قاطعا ، و أصر على البقاء في المدينة حتى إستكمال حرب التحرير ، و أخبرها بأن النصر على الهكسوس سيكفل لهم العودة إلى أرض جوش منتصرين مرفوعي الرؤوس ، و حينها سيتخلص آل إسرائيل من ظلم ذلك الملك المغتصب ، و سيرفع عنهم البلاء العظيم ، و لا حاجة لهم للخروج من أرض جوش ، لكن سارة أكدت له أن قرار الخروج

أرض جوش

ليس بيد أحد ، و إنما هو قرار الرب لهم بأن يرحلوا عن أرض جوش ، و يعودوا إلى الأرض المقدسة في كنعان ، لم يلق خطاب سارة استحسان حابيس ، و عاندها كثيرا ن و أصر على موقفه برفض العودة إلى أرض جوش قبل هزيمة الهكسوس ، و وعدها بأن ذلك الأمر بات قريبا جدا ، و أنه سوف يعيدها إلى أهلها ، و سيقضى بقية عمره على أرض جوش ، و مع ذلك فإن سارة باتت أكثر عزما و اصرارا على العودة إلى أرض جوش ، و توسلت إليه لتخرج معه في معركته القادمة ضد الهكسوس في مدينة أبيدوس ، مؤكدة له على أن ذلك استجابة لأمر الرب لها بالعودة ، و ما ذلك إلا تفسير الرؤيا التي رأتها في منامها ، حيث رأت أبيها يمد إليها يده من مكان بعيد ، مناديا عليها بأن تأتي معه .



المشهد السادس و الأخير

(العبور)

خرج حابيس في جيش كبير إلى مدينة أبيدوس ، لملاقة الأعداء ،
وإزاحتهم بعيدا عن حدودهم الشمالية ، و لقد خرجت معه سارة
لتقاتل جنبا إلى جنب مع زوجها ، فكانت تساعد المصابين
بالتمریض و ضمادة جراحهم ، و هب أهل طيبة الشجعان بقيادة

أرض جوش

ملكهم أحمس العظيم البار بأمه ، لطرده الهكسوس عن أوطانهم ، و كان حابيس و سارة من أبطال تلك المعركة المحترمة ، التي ثارت على الظلم و الطغيان ، و لقد فاض النيل و ارتفع ثأرا للشهداء ، و صارت صيحات الجنود المدوية في أركان المعركة تقذف الرعب في قلوب الأعداء ، فتقدم جيش أحمس القوي كأنه جذوة من نار ، و كانت طلائع الجيش في مقدمة الصفوف ، للكشف عن الآسيويين الساميين الرعاة ، و تدمير مواقعهم ، ثم قضي الجيش الليل على السفينه ، حتى تنفس الصبح ، فأنقضوا على الأعداء كالصقر فحرقهم ، و دمر أسوارهم ، و قتل قومهم و جنودهم ، و أسر منهم الكثير ، و كان نصرا مؤزرا .

و بعد انتهاء المعركة ، أخذ حابيس يبحث بين الجنود عن سارة ، فلم يجدها ، حتى أخبره احد الجنود ، أن بعض الجنود الفارين من المعركة قام بأسر عدد من قواتهم ، و من ضمنهم سارة ، فأسرع حابيس بقوة و معه عدد من الجنود خلف جنود الهكسوس المهزومين الهاربين ، و صاح حابيس في جنده صيحة قوية ، و أمرهم بالحقاق بهم ، و إستعادة الأسرى ، و ظل حابيس يطاردهم بجنوده حتى وصل إلى مشارف أبيدوس ، و عندها لم

أرض جوش

يكن بمقدوره إستكمال المطاردة بعدد قليل من الجنود ، حيث جيوش الهكسوس ستكون بإنتظاره و ستفتك بهم ، و لقد علم حابيس أن أسرى الهكسوس من الجنوبيين ، يتم شحنهم مباشرة إلى أواريس عاصمة الهكسوس ، فقرر حابيس التخفي ، و العودة إلى أواريس في سفينة نهرية كبيرة من بلدة تقع خلف أبيدوس ، و تتبع لسيادة الهكسوس ، و ركب حابيس في السفينة ، بعد ان تنكر في رداء رجل من عامة الناس ، و مضى أياما عديدة على متن السفينة ، قبل ان يتمكن من الوصول إلى أرض جوش.

وصل حابيس أخيرا إلى أرض جوش ، و هناك وجد أن المدينة قد تغيرت تغيرا جذريا ، و طرأ عليها عدة أمور أبدلت وجهها الجميل بآخر قبيح ، كانت المدينة في حالة فوضى عارمة ، و كانت شوارعها مليئة بالبرك الصغيرة و القازورات ، و أما السكان فكانوا على درجه كبيرة من الوهن و المرض ، انتشرت الأمراض في المدينة ، نتيجة لإنتشار البعوض بسبب البرك و المستنقعات ، و كان السكان يثنون في كل مكان من فتك الذباب و البعوض و القراد و القمل و الجراد بهم ، كانت المدينة في حالة يرثى لها ، و كان يجب على حابيس أن يحاول إنقاذ زوجته من الأسر ، و من

أرض جوش

المؤكد أنها سيتم احتجازها في سجن المدينة الكبير أسفل المعبد ، و في تلك الأثناء سمع حابيس صراخا مدويا في كل أرجاء المدينة ، و خرج الناس إلى الشوارع يصرخون و ينتحبون ، فمنهم من كان يصرخ لموت بكر أبنائه ، و منهم من كان يصرخ لموت بكر ماشيته ، و كان صراخا عظيما ، لأنه لم يكن هناك بيت ليس فيه ميت ، فأسرع حابيس نحو مساكن العبرانيين شرق المدينة ، حيث بيت زوجته سارة ، و لما وصل إلى هناك وجد بعضا من العبرانيين مجتمعين فيما بينهم في دار أم سارة ، فاقترب منهم و ألقى عليهم التحية ، و عرفهم بنفسه ، فتذكروه جميعا ، و هموا بمصافحته مصافحة حارة ، و لما سألهم على سارة ، أخبره أحد العبرانيين بأنها قد رحلت عن المدينة منذ زمن ، فهمس حابيس في أذن أم سارة ، و طلب منها أن يتحدث إليها بعيد عن رجال قومها ، و لما انفردا ببعضهما البعض ، أخبرها حابيس بحقيقة الأمر ، فلما علمت أم سارة بأن ابنتها قد تم أسرها و ايداعها المعتقل ، أسرعت الى قومها ، لتعلن لهم الأمر ، فانتفض الرجال العبرانيون ، و أسرعوا بالذهاب إلى دار زعيمهم العبراني موسيه

أرض جوش

، و طلبوا منه التوسط لدى الملك لإخراج المعتقلين العبرانيين من السجن .

خطب النبي موسى في قومه ، و قال لهم : " إن الرب يقول إني قد رأيت مذلة شعبي في أرض جاسان .. و سمعت صراخهم من أجل مسخريهم .. فالآن هلم لإرسلك إلى فرعون .. ليخرج شعبي بني إسرائيل من أرض جاسان " ، فلم ينتظر موسى حتى الصباح ، و ذهب مسرعا إلى قصر الملك ، و سأله الإفراج عن قومه الموجودين في المعتقل ، و السماح لشعب إسرائيل بالخروج إلى البرية ، حتى يرفع الرب البلاء عن المدينة ، و سرعان ما استجاب الملك له ، فخرج جميع المعتقلين العبرانيين من السجن ، و عادت سارة إلى دارها ، فوجدت حابيس في انتظارها ، فإرتمت بين أحضانها ، و اخذت تبكي بكاء شديدا ، ثم أسرعوا جميعا للخروج من المدينة قبل طلوع الشمس ، فجمعوا أواني كثيرة من ذهب و فضة ، و حملوا مواشيهم و امتعتهم معهم ، و هموا بالإستعداد للخروج العظيم.

كان عدد الناس الذين خرجوا من المدينة نحو نص مليون شخص من الرجال و النساء و الأطفال ، هذا بالإضافة إلى الدواب

أرض جوش

و الماشية الكثيرة ، فخرجوا جميعا و على رأسهم موسى و هارون زعماء العبرانيين ، و أما حابيس و سارة فكانا يسيران إلى جنب بعضهما البعض ، و قد حمل حابيس الكثير من الامتعة فوق عنقه ، بينما كانت سارة تقود قطيعا من الغنم ، و توجهوا جميعا إلى الجنوب نحو بادية الصحراء على أطراف المدينة، حيث قبضة الملك في الجنوب أقل من الشمال ، و كان لا يسمح لأحد بالسفر إلى شمالا أو شرقا إلا إذا أعلن عن إسمه و مهنته و سبب سفره ، و لذلك لم يسمح لهم الرب بالعبور من جهة الشرق ، رغم أنه كان الطريق الأيسر و الأقرب إلى أرض كنعان ، حتى وصلوا إلى منطقة أطلقوا عليها إسم سوخييت بمعنى الخيام أو المظلات ، و لقد كان مكانا معدا للإستراحة على طريق المسافرين ، و تقع جنوب شرق جاسان ، و لما فرغوا من استراحتهم ، توجهوا صوب منطقة تدعى إيتام ، على الجهة الغربية من بحيرة تسمى "بحيرة التماسيح" فعسكروا فيها لبعض الوقت ، و من ثم استكملوا السير حتى وصلوا إلى برزخا بين قناة سيزوستوريس و البحر المر جنوب جاسان ، فاتخذوا منها مكانا للبقاء إلى حين ، و كان الرب يسير أمامهم نهارا في

أرض جوش

عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، و ليلا في عمود نار ليضئ لهم ، فكانوا يسيرون ليلا و نهارا في معية الرب .

و في تلك الأثناء هرع الجنود الى الملك ، و أخبروه بأن نحو نص مليون شخص في المدينة قد رحلوا عنها ، و صارت المدينة بها فراغ سكاني هائل ، فلما علم الملك بأن شعب إسرائيل قد هربوا ، تغير قلب الملك ، و صاح من أمرهم بالخروج عن خدمتنا ، و أخذ ست مائة عربة حربية و جنودا و عتادا هائلة ، و هرول خلف شعب إسرائيل لإعادتهم إلى أرض جاسان ، كان الشعب الهارب في تلك الأثناء قد وصل برزخ بين قناة سيزوستوريس و البحر المر ، ف ضربوا بأوتادهم في الأرض ، و رفعوا خياما ليملكثوا فيها بعض الوقت ، ثم علموا بتعقب الملك و جيشه لآثارهم ، فهموا بالإسراع للهروب ، لكنهم وجدوا أنفسهم محاطين بالمياة و الجبال من كل جانب ، و لم يكن هناك مفرا عدا الطريق الذي جاؤوا منه ، فإذا سلكوا ذلك الطريق فسيلاقون الملك و جيشه أمام وجوههم ، فعم الهرج في صفوف الشعب الهارب ، و أخذت النساء و الأطفال يصرخون بشدة ، و صاح البعض من القوم في وجه موسى قائلين : " هل لأنه ليس هناك قبورا لنا في جاسان

أرض جوش

أخذنا لنموت في البرية .. ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من جاسان .. أليس هذا و الكلام الذي كلمناك به في جاسان .. ألم نقل لك كف عنا فخدم الملك و قومه .. لأنه خير لنا أن نخدمه من أن نموت في البرية ؟ " ، فصاح موسى في قومه قائلا : " لا تخافوا .. قفوا و انظروا لخلص الرب الذي سوف يصنعه لكم .. فإن الرب لمنجينا اجمعين " ، و مد موسى يده على البحر ، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة ، فجعل البحر يابسة ، و انشق الماء ، فدخل الشعب الهارب في وسط البحر على اليابسة ، و كان الماء سورا لهم عن يمينهم و عن يسارهم ، و عبروا جميعا البحر ، حتى وصلوا جميعا إلى الضفة الأخرى ، بينما كان جيش الملك يعبر قاع البحر من خلفهم ، فضرب موسى البحر مجددا بيده ، فالتحمت فرقتي الماء من جديد ، و رد الرب عليهم البحر ، فغرق الملك و جيشه و خيله في الماء أمام اعينهم ، و أخذوا ينظرون للمعجزة التي فعلها الرب لهم ، فلم يقدرُوا على تصديق أعينهم من هول المعجزة .

استمر الشعب في السير قدما باحثين عن مصادر الماء ، فاستبد بهم العطش بعد قطع مسافة كبيرة من مكان انشقاق اليم ،

أرض جوش

فأمر الرب موسى أن يضرب بعصاه الحجر ، فانفجر منه اثنتا عشرة عينا ، و علم كل فريق مكان مشربهم ، و كانت المياه متفرقة حتى لا يتكالبوا جميعا عليها دفعة واحدة ، ثم اتخذوا سيلا بين ساحل خليج السويس و صحراء سيدة الفيروز (سيناء) ، حتى وصلوا إلى منقطة بها جبل صغير مستطيل الشكل مسطح الرأس تسمى سربوت (قرب ميناء ابو زليمة حاليا) ، و هناك وجدوا معبدا كبيرا على قمة الجبل ، و كان القوم في تلك المنطقة يعبدون الإله حتحور و لكنهم لم يعترضوا لهم بأي أذى ، فاستراحوا في تلك المنطقة الى حين ، ثم استكملوا السير بمحاذاة الساحل ، حتى وصلوا إلى جبل موسى بعد أربعة و أربعين يوما من الحل و الترحال و المشقة و العناء .

ترك النبي موسى قومه ، بعد أن عين أخيه هارون وزيرا عليهم ، و ذهب لتلقي ألواح الشريعة من فوق جبل موسى ، لكنه غاب أربعين ليلة ، فاستطول الشعب الهارب غيبته ، و لم يصبروا على غيابه ، و فقدوا المل في عودته ، و انتهز الفرصة رجلا عبرانيا من قوم موسى يدعى السامري ، و كان صانعا ماهرا ، فأمر القوم أن يعطوه الحلي و المجوهرات التي استعروها من نساء المدينة

أرض جوش

، فاستجابوا له ، فجمعها جمعا ، ثم قام بصهرها تماما ، و صنع لهم عجلا له خوار ، و أقنعهم ان النبي موسى لن يرجع إليهم ، و كان البعض منهم قد طلب سابقا من موسى أن يصنع لهم إلهها ، و رفض رفضا تاما ، و وصفهم بالجهل و الجحود ، و لقد استجاب له فئة من الناس ، و صاروا على عجل السامرين يعكفون ، و قد نهاهم هارون عن ذلك ، لكنهم لم يستجيبوا له ، و خشى هارون ان تحدث فتنة بين القوم إذا أمر فريقا منهم بنهر الفريق الآخر الذي سجد للعجل ، و خشى أن يتسبب ذلك في حدوث شرخ عظيم و انشقاق بينهم ، لكن سارة لم تتحمل ما صنع السامري ، الذي أراد أن يشعل نار الفتنة بين القوم ، فخرجت على قومها ، و خطبت فيهم قائلة :

" أيها القوم !! .. لقد نجاكم الرب من الإستعداد في أرض جوش .. و كنتم على ذلك من الشاهدين .. ثم أغرقت الملك و جنده امام أعينكم .. و امر البحر فانشق لكم .. و كان كل فرقة كالطود العظيم .. و هداكم سبيل الرشده و الصلاح .. و أنزل عليكم المن و السلوى .. و غشيتكم السحائب و الغمام .. فكانت رحمة من الرب لكم .. لنقيكم الحر و حرقة الشمس فوقكم .. و في ليالكم

أرض جوش

أرسل إليكم الرب عمودا من نار لييرشدكم في الظلام .. و لقد
دخلتم إلى مصر و كنتم لا تنعدون الخمسة و السبعين فردا .. ثم
بارك الرب فيكم فصرتم امة على أرض جاسان .. و كان فضل
ربي عليكم عظيما .. ثم ها انتم بعد ذلك .. تصنعون بأيديكم
عجلا صنما لا يسمع و لا يرى و لا ينفع و لا يضر .. و تخروا له
سجدا .. و تقدمون له الفرائين كما كان يفعل الفوم في أرض
جوش لإدهم ست .. و تطوفون حوله و له ترقصون و تغنون و
تعزنون الألحان ... و الله ربي و رب موسى و رب هارون أولى
بالشكر و المديح من ذلك النمثال .. يا قوم إكم والله لجاهلون
.. و إكم لأنفسكم تظلمون .. و إن لم تنهوا ليصبنكم عذابا من
الرب عظيم .. و إني و زوجي لكم و لما تعبدون من دون الله
لمعتزون .. حتى يعود موسى إليكم .. و يحكم بينكم فيما فيه
تخنصمون"

قررت سارة إعتزال قومها ، و أخبرت حايبس انها ذاهبة خلف
الجبل لإعتزال القوم ، فلم يشأ حايبس أن يدعها وحدها في تلك
البرية ، فذهب معها ، ليتفرغوا لعبادة الرب ، و رحلوا بعيدا عن
القوم ، و استقروا خلف الجبل ، حيث وجدوا عند سفح الجبل

أرض جوش

مغارة صغيرة ، فدخلوا إليها ، و كانت تلك المغارة تقود إلى ممر ضيق طويل ، فدخل حابيس و سارة إلى هذا الممر ، و طفقوا يسرون بداخله حتى انتهى بهم الممر بباب كبير ، تعجبت سارة كثيرا ، عندما وجدت ذلك الباب مفتوحا جزئيا ، كان بابا كبيرا من حجر الكوارتزيت الطبيعي ، و كان ثقيلًا للغاية للدرجة التي لا يمكن لأحد أن يدفعه ، لكن حابيس أصر على اختراق ذلك الباب ، فحاولا أن ينسبا من خلاله بخفة ، حتى عبرا الباب ، و عند إذ أصابهما الوجود ، عندما اكتشفا حجرة ممتلئة بالجماجم و الهياكل العظمية ، كادت سارة ان تتقيأ ، لكن حابيس أسندها إليه ، و وجدا بابا آخرًا خشبيا داخل الغرفة ، لكن ذلك الباب كان مغلقا بإحكام ، فحاول حابيس دفعه إلى الوراء ، فاندفع بقوة كبيرة ، و دخلا اليه ، كان ذلك الباب ينفتح على سرداب صغير ضيق ، فدخل حابيس إلى ذلك السرداب ، و من ورائه سارة ، و كانا خائفين كثيرا ، لكن شعورهما بالفضول كان اعظم ، فأزال شعور الخوف و الرهبة لديهم ، و تابعا السير في الممر الضيق ، الذي كان بداخله الكثير من العظام المبعثرة المندثرة في التراب تحت قدميهما ، و عظام اخرى طافية فوق التراب ، فكانا يحاولان

أرض جوش

تفادي تلك العظام ، لكن حابيس تعثر في احدى تلك العظام ، و سقط على وجهه ، كان المكان حالك الظلمة ، فتبدل الفضول بالرعب ، و قررا العودة من حيث جاء ، فاستدارا الى الورا ، و طفقا يتحسسان الجدران ، محاولين عبور الظلام ، و العودة مجددا ، لكنهما و في هذا الظلام الشديد بدلا من ان يعودا عبر الممر الذي دخلا منه ، عبروا ممرا آخر متفرعا منه ، ظانين انه الممر الذي دخلا منه ، و فجأة تعثرت قدم سارة هذه المرة في احدى الاحجار الكبيرة ، و قد كانت تقود حابيس في العودة ، فسقطت في الظلام ، و حاول حابيس مساعدتها على النهوض ، و بينما يحيي يمسك بيدها ، اذ تحركت الارض من تحتها ، و انهارت فجأة ، فسقطا في جرف كبير .

حاولت ليليان أن تساعد يحيي و راشيل على استرداد الوعي ، و كان معها رجلان من أبناء الدير ، فحمل أحدهما يحيي ، بينما حمل الآخر راشيل ، و أخرجاهما من تلك الحفرة الكبيرة ، و بعد فترة من الزمن ، استعادت راشيل وعيها ، بينما دخل يحيي في سعال متواصل لا ينقطع ، و فتحا عينيها ، ليجدا أنفسهما مستلقيان على أريكة ممددة في حجرة رئيس الدير الأنبا

أرض جوش

إستيڤانيوس ، فأخذنا ينظران إلى بعضهما البعض ، و كأنهما يريدان ان يسألا بعضهما البعض : " هل رأيت ما رأيت ؟ " ، لكن يحيي تفهم من عين راشيل أنها تشاركه نفس الشعور ، و صمتا تماما ، و لم يحدثا أحدا بما جرى لهما في الأزمنة السحيقة ، حاولت ليليان إقناعهما بالبقاء حتى تتحسن حالتيهما ، لكنهما طفقوا يضحكان و يقولان لها : " و هل نبدو في حالة سيئة ؟ .. إننا بخير على كل حال .. إننا نظن أننا أفضل بكثير من السابق .. و نحمد الله على انه هداننا إلى السبيل الصواب و إلى الصراط المستقيم .. " ، و أصرا على السفر إلى مدينة شرم الشيخ ، ليلحقا بالطائرة التي كانت بانتظارهما في مطار شرم الشيخ الدولي ، و عاد يحيي و راشيل إلى القاهرة ، و بعدها قررا الزواج سرا دون إخبار أحد ، كما قررا السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعيش فيها ، لبدءا سويا حياة جديدة في ظل عبادة دينا جديدا واحدا ،
يعم من خلاله السلام على كل البشرية .

تمت